

# نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الصَّافَاتِ إِلَى سُورَةِ الْحَاشِيَةِ

تَأْلِيْفُ  
السَّيِّخِ مُحَمَّدِ بْنِ قِرَاءَتٍ

الْجُلْدُ الثَّامِنُ

دَارُ الْمَوْئِجِ الْعَرَبِيِّ

بَكْرِيَّة





# مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أيّ طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق  
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .  
(الإمام الصادق (ع))

[moamenquraish.blogspot.com](http://moamenquraish.blogspot.com)

نَفْسِ النَّوَى





# نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الصَّافَاتِ إِلَى سُورَةِ الْحَاشِيَةِ

تَأْلِيفُ  
الشيخِ مُحَمَّدِ بْنِ قِرَاءَتٍ

ترجمة  
محمّد حسن زرقط

ترجمة  
السيد عليّ الموسوي

المجلد الثامن

دار المشرق العربي  
بيروت - لبنان

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع  
المركز الثقافي للدروس القرآنية

دار المورخ العربي



بيروت - حارة حرثيت - قرب جامع المحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢

تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص ب: ١٢٤ / ٢٤

البريد الإلكتروني: al\_mouarekh@hotmail.com

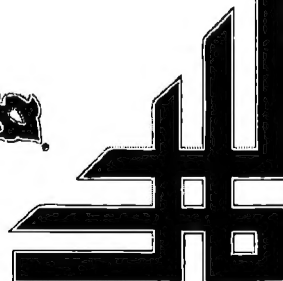
www.al-mouarekh.com



# سُورَةُ الصَّافَّاتِ

السورة: ٣٧ الجزء: ٢٣

عدد الآيات: ٨٢







## ملامح سورة الصفات

سورة الصفات مكية وآياتها مئة واثنان وثمانون.

اسم هذه السورة مأخوذ من أول آية فيها، حيث ورد فيها القسم بالصفات، وهم مجموعة من الملائكة يقفون صفّاً لتنفيذ الأمر الإلهي الموجه إليهم، كما هو الحال في الآية ١٦٥ من هذه السورة أيضاً حيث ورد فيها مفردة «الصفون». وتشابه هذه السورة في الاسم مع سورة «الصف»، والتي تُشير إلى الصفوف المحكّمة للمقاتلين في ساحة الحرب.

وهذه السورة هي أول سور القرآن الكريم التي تبدأ بالقسم. وكما هو الحال في سائر السور المكية فإن أكثر آيات هذه السورة تتحدّث عن المبدأ والمعاد، وتمتاز بلسان التذكير والإنذار.

كما تُشير هذه السورة إلى تاريخ الأنبياء كنوح، إبراهيم، إسحاق، موسى، هارون، إلياس، لوط ويونس، وقصة إبراهيم عليه السلام هي الأكثر تفصيلاً من بين قصص هؤلاء الأنبياء.

كما تُدين هذه السورة العقائد الباطلة للمشركين في ما يرجع إلى العلاقة بالله ﷻ وبالجن والملائكة، وتؤكد أن النصر سوف يكون في النهاية للحق على الكفر والشرك والنفاق.

ورد التأكيد على قراءة سورة الصفات في يوم الجمعة، وورد أن تلاوتها توجب سعة الرزق وحفظ المال والولد من الشيطان<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًا ۝١ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾

### إشارات

□ تبدأ هذه السورة بثلاثة أقسام إلهية، والله ﷻ وإن كان غنيًا عن القسم والمؤمنون مسلمون لكلامه دون حاجة إلى القسم، ولكن القسم يؤتى به للدلالة على أهمية وعظمة المحلوف به والاهتمام به. ولذا يُقسم الله ﷻ في كتابه بأمور عديدة.

□ المراد من «الصفات»، و«الزاجرات»، و«التاليات»، الملائكة المنتظمة في صفوف لتنفيذ الأوامر الإلهية، فهي التي تزجر الناس عن الوسوسة وتتلو ذكر الله باستمرار؛ نعم، قيل إنَّ المراد من هذه الآيات المجاهدون الذين يقفون في صفوفٍ منتظمة للدِّفاع عن حريم الحق ويسعون لتقوية عزائمهم بذكر الله وتلاوة آياته.

□ كلمة الزاجرات يمكن أن تكون من الزجر بمعنى المنع، والمراد المنع من الوسواس والمعاصي ويمكن أن تكون من الزجرة بمعنى الصراخ، أي يكون القسم في الآية بهؤلاء الذين كانوا ينادون بالحق في الناس على مر التاريخ.

### التعاليم

١ - من الأهمية بمكان تنظيم الأمور بنحو يخدم الهدف في هذه الحياة (وقد ورد الحديث عن النظم والانضباط في سورتين من القرآن الكريم هما الصفات والصف، وورد القسم بذلك فيهما)، ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًا﴾.

٢ - النظام، الوحدة، القدرة، الانسجام الفكري والتعاون والتي تتجلى في الصف الواحد هي من خصائص وعلائم العاملين لله، ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًا﴾.



٣ - لا بدّ من أن تتوافر في المجتمع عوامل تمنع من المعصية وتنهى عن المنكر، ﴿فَالزَّيْجَرَتِ زَخْرًا﴾.

٤ - لا بدّ لكل نظام إلهي أن يستمدّ العون من ذكر الله من خلال تلاوة القرآن، ﴿فَالثَّلَاثَتِ ذِكْرًا﴾، والدفاع عن الحقّ ﴿فَالزَّيْجَرَتِ﴾، على أن يترافق ذلك مع نظم الأمور والجهوزيّة التامة، ﴿وَالْعَبَقَتِ مَبْقًا﴾.

٥ - لا بدّ عند القيام بأيّ عمل من أن يكون غاية في الإتقان، وبأفضل نظم ﴿صَفًا﴾، وبأفضل القدرات ﴿زَخْرًا﴾، وبأفضل ذكر لله ﴿ذِكْرًا﴾.

٦ - أطلق شعار التوحيد بثبات وإحكام وبلغة بليغة وبديعة قبل أيّ شيء آخر، (ففي هذه الآيات بعد أن بدأ بالقسم بتناسق جميل جاءت كلمة التوحيد، ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾).

٧ - لا نقسم لأيّ شيء، (الأقسام في القرآن الكريم إنّما ترد في القضايا المهمة والرئيسة كالمبدأ والمعاد). ففي سورة الذاريات وبعد عددٍ من الأيمان يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي سورة المرسلات وبعد عدد من الأيمان يتعرّض بالحديث عن يوم القيامة، فيقول هناك: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهنا بعد عدد من الأيمان يأتي الحديث عن التوحيد فيقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ (نعم، لا بدّ في مواجهة من يتمسك بالشرك بشدة من الإتيان بالقسم تلو القسم).

٨ - يرى المشركون فرقاً بين الألوهيّة والربوبية لله ﷻ، ولذا جاءت الآية لتؤكد على أنهما شيء واحد، ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٩ - الوجود كلّ خاضع للربوبية الإلهية، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

١٠ - ليس لكلّ شيء ربّ؛ لأنّ ربّ الوجود كلّ واحد لا شريك له، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

١١ - من أدلة التوحيد: وحدة نظام السموات والأرض وسائر مخلوقات عالم الوجود، ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

١٢ - الأرض كروية الشكل؛ (فكلمة المشارق تدل على اختلاف شروق الشمس وغروبها، وفي هذا دلالة على كروية الأرض).

١٣ - للشمس ونورها دور مؤثر في حياة الإنسان؛ (فعلى الرغم من كون الشمس جزءاً من السموات؛ ولكنه جاء على ذكرها في المشارق وذلك للدلالة على أهمية طلوع الشمس)، ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾.

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا زِينَةً الْكَوْكَبِ ۖ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ﴾

### إشارات

□ تُطلق كلمة مارد على كل شيء لا خير فيه ولا بركة، فيقال للشجر الذي لا ورق فيه: شجر أمد.

### التعاليم

١ - تزيين السماء هو من مظاهر الربوبية الإلهية، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ... إِنَّا زَيْنَّا﴾.

٢ - الميل إلى الزينة والجمال هو جزء من الميول الفطرية لدى الإنسان، والقرآن يؤكد على ذلك حيث يقول: ﴿زَيْنَّا السَّمَاءَ﴾.

٣ - الزينة والجمال أصل من الأصول؛ فخلق الله كله يتصف بالجمال، ﴿زَيْنَّا السَّمَاءَ﴾.

٤ - في العالم العلوي أسرار يسعى الشياطين للوصول إليها؛ ولكنهم عاجزون عن ذلك، ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾.

٥ - للجن وللشياطين من الجن القدرة على الوصول إلى الغيب؛ ولكنهم مُنعوا من ذلك، ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَى وَيُقَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَائِبٌ ﴿١٠﴾

## إشارات

- القذف هو رمي الشيء من مكانٍ بعيد. وتعبير الملاء الأعلى يشير إلى المكانة العليا للملائكة.
- دحوراً بمعنى السَّوق قهراً مع الذُّلة والضَّعة، والواصب الدائم. الخطفة هي أخذ الشيء بسرعة، والثائب هو النافذ في الشيء.
- عن النبي ﷺ في حديث طويل (عن المعراج) قال: «فَصَعِدَ جِبْرِيلُ وَصَعِدْتُ مَعَهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا - وَعَلَيْهَا مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ صَاحِبُ الْخَطْفَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَائِبٌ﴾ وَتَحْتَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَحْتَ كُلِّ مَلَكٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»<sup>(١)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - الملائكة يعلمون بأخبار أهل الأرض ويحدث بعضهم بعضاً بهذه الأخبار، كما أن الشياطين تتمكّن من الاستماع لحديث الملائكة، ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَى وَيُقَدُّونَ...﴾.
- ٢ - استراق السمع من عمل الشيطان ولا بدّ من محاربته، ﴿وَجِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ﴾.
- ٣ - جند الله حاضرون في كل مكان، ﴿وَيُقَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾.
- ٤ - لا بدّ من الثورة على شياطين المجتمع، ﴿وَيُقَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾.
- ٥ - الشياطين موجودات مكلفة وهي في معرض العقاب والسؤال الإلهيين، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.



٦ - المواظبة على حفظ الأسرار واجب، ﴿وَحِفْظًا... وَيَقْذِفُونَ... دُحُورًا... فَأَتْبَعُهُ شِهَابٌ﴾.

٧ - للاطلاع على أسرار العالم العلوي أهميته بالنسبة للشياطين، ويظهر ذلك من استراقهم للسمع حتى مع كونهم يُقذفون من كل جانب، ﴿إِلَّا مَنْ خَلَفَ الْخَلْفَةَ﴾.

٨ - الشهب والصخور السماوية تمثل الأمر الإلهي، وهي تُرمى لهدف وغاية وليست صدفة ودون غاية، ﴿فَأَتْبَعُهُ شِهَابٌ نَاقِبٌ﴾.

٩ - تُصاب الشياطين بمقتل بعد أن تسترق السمع لخبر من أخبار الغيب في السماء، ﴿نَاقِبٌ﴾.

١٠ - الشياطين موجودات يمكن رؤيتها فتكون هدفًا، ﴿فَأَتْبَعُهُ شِهَابٌ نَاقِبٌ﴾.

﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۝١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ  
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
مُبِينٌ ﴿١٥﴾

## التعاليم

١ - المقارنة والسؤال طريق لفتح باب التفكير أمام الناس، ﴿فَأَسْتَفْنِيهِمْ﴾؛ (أين خلق الإنسان؟ من حفظ السماوات على سعتها؟).

٢ - الحد من غرور أهل الغرور والسخرية يكون بتذكيرهم بمنشئهم، ﴿طِينٍ لَازِبٍ﴾.

٣ - لا تأثير لنصائح المرئيين في أصحاب القلوب القاسية، ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾.

٤ - الفاسدون يشكلون بيئة لفساد الآخرين، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

٥ - يلجأ العدو أحياناً إلى السخرية بدل قبول الحق والمنطق، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

٦ - يسعى العدو أحياناً في دعوته إلى الحديث بطمأنينة وإصرار، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

٧ - يعترف المشركون بكون القرآن خارقاً للعادة (يصف المشركون القرآن بالسحر، والسحر يُطلق على العمل الخارق للعادة).

٨ - السخرية والاستهزاء بالمقدسات مقدّمة للكفر وإنكار الحق، ﴿يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا... سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿إِذْ أَمَرْنَا نَارًا وَغُلَامًا إِيَّانَا لَتَمُوتُنَا ۖ أَوَّابًا ۖ أَوَّلُونَ ۖ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ۖ فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَاذًا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾

### إشارات

□ الدّآخر بمعنى الذليل والحقير والزجرة بمعنى الصيحة والصرخة العالية.

□ يسعى مرضى القلوب عند إثارتهم الشبهات إلى طرح العديد من الأسئلة على الرغم من إمكان الاكتفاء بسؤال واحد: ﴿إِذْ أَمَرْنَا... إِنَّا... أَوَّابًا﴾.

### تعاليم:

١ - ليس لمنكر المعاد منطق ولا استدلال صحيح، ولذا يلجأ إلى الاستبعاد بدل الاستدلال، ﴿إِذْ أَمَرْنَا﴾.

٢ - يرى المشركون أنّ إحياء الموتى أبعد إمكاناً من إحيائهم هم، ﴿إِذْ أَمَرْنَا... أَوَّابًا﴾.

٣ - لا بدّ من الإجابة عن الأسئلة والشبهات بوضوح تام، وإن صدرت لجأاً وعن سوء نيّة، ﴿قُلْ نَعَمْ﴾.

٤ - صيرورة الإنسان تراباً لا تمنع من إحيائه ثانية، ﴿قُلْ نَعَمْ﴾.

٥ - إنكار المعاد عناداً هو سبب للذّل في يوم القيامة، ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾.

٦ - قيام القيامة يكون بالصوت والصيحة، ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ﴾.

٧ - قيام القيامة يكون دفعياً وليس تدريجياً، ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

٨ - القيامة أمر سهل على الله ﷻ، ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

٩ - يُبعث المشركون يوم القيامة وهم مبهوتون ينظرون، ﴿فَاذًا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا يَبْرَأْنَا هَذَا يَوْمَ الْدِّينِ ۖ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿لَخَشَرُوا الْإِذِينَ ظَلَمُوا﴾  
 ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

### إشارات

□ الأزواج كما تكون بمعنى الزوجات تستخدم في معنى الشركاء في الفكر والاعتقاد.

□ ورد في مرويات السنة والشيعة أن من مصاديق السؤال في قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ السؤال عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(١)</sup>.

□ ورد في الروايات أن أول ما يُسأل عنه العبد إذا وقف بين يدي الله ﷻ الصلوات المفروضة، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحج المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - إنكار المعاد سوف يكون سبباً لحسرة الكفار، ﴿يَبْرَأْنَا هَذَا﴾.
- ٢ - يوم القيامة هو يوم الحسرة والإقرار من المنكرين، ﴿يَبْرَأْنَا...﴾، ولكن هذه الحسرة لا تنفعهم ويصدر الأمر بإرشادهم إلى طريق جهنم، ﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾.
- ٣ - مضافاً إلى عذاب جهنم، في القيامة تحقير ولوم وأذى نفسي أيضاً، ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. (ونقرأ هنا أيضاً: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾، فعلى الرغم من أن الهداية تستخدم في الدلالة على الخير خاصة، ولكنها استخدمت هنا للدلالة على جهنم من باب التحقير والاستهزاء.
- ٤ - قلق الكفار من العقاب، ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، ولكن الله ﷻ يصف ذلك اليوم بأنه يوم الفصل، ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾.

(١) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٩؛ نقلاً عن الديلمي، في ما رواه ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة، ص ٨٩؛ عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٣٤؛ وسائل، ج ٤، ص ١٢٤.



- ٥ - الأسوأ من تكذيب الحق الإصرار عليه، ﴿كُتِبَ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾.
- ٦ - تكذيب المعاد ظلم للنفس، ﴿تَكْذِبُونَ... الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾، كما أن الشرك ظلم عظيم (وأعظم صفة لأهل جهنم هي الظلم).
- ٧ - الملائكة هم المكلفون بجمع المشركين وسوقهم إلى جهنم. ولذا يُخاطب الملائكة بقوله: ﴿اٰخِشُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.
- ٨ - يحشر كل إنسان مع شركائه في العقيدة ومع من يحب، ﴿ظَلَمُوا وَآزَوْا جَهَنَّمَ وَمَا كَانُوا يَبْعُدُونَ﴾.
- ٩ - ما يُعبد من دون الله ﷻ لا يُعين الإنسان على الخلاص مما يُصيبه، بل هو يُصاب بذلك أيضاً، ﴿وَمَا كَانُوا يَبْعُدُونَ﴾.
- ١٠ - من أنواع العقاب لهذا الإنسان أن يُحشر مع تلك الأصنام التي لا روح لها، ﴿اٰخِشُوا... وَمَا كَانُوا يَبْعُدُونَ﴾.
- ١١ - من لم يتبع الهداية الإلهية في هذه الدنيا، تكون هدايته إلى جهنم في يوم القيامة، ﴿فَأَقْذُفُوهُمْ﴾.
- ١٢ - عاقبة الكفر والشرك جهنم، ﴿فَأَقْذُفُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ ٱلْحَبِيمِ﴾.
- ١٣ - على الرغم من أن مصير منكري المعاد وخاتمة أمرهم سوف تكون في جهنم، ﴿فَأَقْذُفُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ ٱلْحَبِيمِ﴾؛ إلا أنهم يسألون أيضاً عن النعم وعن التكليف، ﴿مَسْئُولُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۖ﴾ (٢٥) ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَغْنُونَ﴾ (٢٦) ﴿وَٱقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٧) ﴿قَالُوا ۖ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ (٢٨) ﴿قَالُوا بَلْ لَّو تَكُونُوا مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٩)

### إشارات

- مستسلمون من باب الاستفعال للمبالغة في التسليم بمعنى التسليم الكامل، أو بمعنى أن المشركين يستسلمون للقهر الإلهي بدل السعي لحماية بعضهم بعضاً.
- اليمين من اليمن بمعنى الخير والبركة، أي إنكم كنتم تأتوننا من باب الخير فتحرفونا عن الهدى، أو أنه كناية عن القدرة والغلبة؛ لأن اليد اليمنى هي رمز القدرة.

□ ورد في العديد من آيات القرآن الكريم التعرّض لحديث أهل جهنم مع بعضهم البعض، أو لحديثهم مع الشيطان، أو مع المؤمنين، أو مع الملائكة أو مع الله، وفي هذا الحديث يستمدّون طرقاً للخلاص ممّا هم فيه، ولكن الجواب يأتيهم دائماً بالنفي، وفي حديثهم يُلقون أحياناً اللوم على بعضهم البعض في التقصير ويّتهم أحدهم الآخر البعض بأنّه سبب ضلاله: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾، ولكن الجواب يكون بنفي ذلك والبراءة منه، وأنهم هم الذين تركوا الإيمان واستبدلوه بالكفر.

### التعاليم:

- ١ - لا يتمكّن المجرمون من تقديم النصرة والعون لبعضهم البعض في يوم القيامة، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾.
- ٢ - حالة المجرمين في يوم القيامة هي التسليم، ﴿بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَلِيمُونَ﴾.
- ٣ - يسعى المجرمون في يوم القيامة لتبرئة أنفسهم وإلقاء تبعّة ذنبهم على غيرهم، ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾.
- ٤ - الاستفادة من القدرات<sup>(١)</sup> أو التّظاهر بحبّ الخير<sup>(٢)</sup> هي من الأساليب التي يستخدمها أئمة الكفر والشرك في سبيل إضلال الآخرين، ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾.
- ٥ - لا يرضى أحد في يوم القيامة بأن يحمل جرماً ارتكبه غيره، ﴿لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

### التعاليم:

- ١ - يعترف أئمة الكفر بضلالهم في يوم القيامة، كما يعترف هؤلاء بمسؤوليتهم

(١) بناء على كون كلمة اليمين علامة على القدرة.

(٢) بناء على كون اليمين من اليمن أي الخير والبركة.

عن إضلال أتباعهم، ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ﴾؛ ولكنهم ينفون عن أنفسهم مسؤولية الإجبار والقهر والتسلط في ذلك، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

٢ - الظروف والأسباب التي تؤدي إلى الانحراف كامنة في داخل المنحرفين وليست بسبب ضغط خارجي، ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾.

٣ - يقرّ أخيراً أئمة الشرك في يوم القيامة بالتوحيد وبالربوبية لله ﷻ، ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾.

٤ - الوعد والوعيد الإلهيين وصلاً إلى مسامح أهل الشرك في هذه الدنيا، ولكنهم أنكروا ذلك عمداً، ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾.

٥ - الإنسان موجود غير خاضع للجبر الاجتماعي والفكري، ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾.

٦ - ضلال النفس سبب لإضلال الآخرين، ﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

٧ - الله ﷻ عادل في عذاب أئمة الكفر وأتباعهم، ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

٨ - لعامة الناس تأثيرهم على ظهور الأنظمة الفاسدة أو الأفراد الفاسدين، كما أنّ لهم تأثيرهم على دعمهم وتقويتهم واستمرار ظلمهم؛ وذلك لأنه لو لم يكن لهم أي دور أو تأثير في ذلك لما كانوا مشتركين في العذاب، ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَارِكُوا ءَالِهَتَنَا لِيَشَاعِرَ تَجْنُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَٰئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾

### التعاليم:

١ - سنة العدل الإلهي فيما يرجع إلى عقاب المجرمين واحدة، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾.

٢ - سبب العذاب معصية الإنسان، ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾.

٣ - علامة المجرم روح الاستكبار في داخله أمام التوحيد، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

٤ - يدعو الأنبياء الناس إلى الله وليس إلى أنفسهم، ﴿قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

- ٥ - من علامات الاستكبار: اتُّهام الآخرين، الاستهزاء بهم والتعصب للعقائد الخرافية، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ... لِشَاعِرٍ تَجْتُنُّونَ﴾.
- ٦ - التكبر موجب لاضمحلال فكر الإنسان (يتهم أعقل الناس بالجنون ويرى الأصنام المصنوعة من الحجارة آلهة)، ﴿إِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ تَجْتُنُّونَ﴾.
- ٧ - يجب دفع التهم، ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾.
- ٨ - لكلام رسول الله ﷺ ولشعار «لا إله إلا الله» جاذبية شديدة موجودة في الفطرة (فاتَّهام النبي بأنه شاعر كان بسبب ما لكلامه من جاذبية)، ﴿لِشَاعِرٍ﴾.
- ٩ - كان للمشركين آلهة متعدّدة، ﴿إِلَهَيْنَا﴾.
- ١٠ - تعاليم الأنبياء كافة واحدة، فإنهم يدعون إلى التوحيد والحق، وقد صدّقهم نبي الإسلام أيضاً، ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ١١ - على الإنسان أن يكون من أهل الحق، وأن يصدّق أهل الحق، ﴿جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ١٢ - عقاب من يتَّهم عن علم القرآن بأنه شعر، والنبي بأنه مجنون هو العذاب الأليم، ﴿الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٩) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤١)  
﴿فَوَكِّدْهُمْ وَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾ (٤٢) ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٤٣) ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٤٤)

### إشارات

□ تطلق صفة المخلص على الأشخاص البعيدين عن أنواع الشرك، الرياء والنفاق والذين يرون أنفسهم عبادا لله، أما صفة المخلص فهي تطلق على من أخلصهم الله ﷻ نظراً إلى ما يتمتعون به من كمالات.

## التعاليم

- ١ - العذاب الإلهي يكون عادلاً، ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ (نعم العذاب الأليم في القيامة هو تجسم لسلوك المشركين ولاستكبارهم في هذه الدنيا).
- ٢ - لا بد من أن يقترن التهديد بالشارة، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.
- ٣ - إن سبب كون الإنسان من المصطفين والمختارين عند الله ﷻ هو عبوديته لله، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾.
- ٤ - عقاب العصاة ومجازاتهم تكون على قدر أعمالهم، وأما ثواب عباد الله المصطفين فيزيد عن عملهم، ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾.
- ٥ - الثواب في الجنة مادي ومعنوي إلى جنب بعضهما البعض، ﴿فَوَرَكُهُ... مُكْرَمُونَ﴾.
- ٦ - لقاء أولياء الله هو من النعم المعنوية في الجنة، ﴿سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.
- ٧ - التقابل في الدنيا قد يلبس شكل الخصومة أحياناً، ولكن التقابل في الآخرة يكون قرين السرور والسعادة، ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.
- ٨ - ثواب أهل الجنة يكون شاملاً لكل شيء:

  - أ - الاختيار الإلهي، ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾؛ (المصطفون من الله يتمتعون بمقام رفيع، ومفردة أولئك إشارة إلى مقامهم الرفيع).
  - ب - الرزق (المعلوم) وهو كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «يعلمه الخدام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم لثاء»<sup>(١)</sup>.
  - ج - الرزق مادي ومعنوي، ﴿فَوَرَكُهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾.
  - د - مكان نعيم، ﴿جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾.
  - هـ - الحضور في جمع أهل الجنة يقترن بالأنس والمحبة والسرور.



﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنَزَّلُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

### إشارات

- القدح هو الإناء الخالي ومتى ملئ أطلق عليه (كأس)، وقد تُطلق كلمة (كأس) ويُراد منها الشراب وليس الإناء.
- تُطلق كلمة معين على الماء الزلال الجاري.
- العَوْل هو الفساد الخفي، والمراد من الترف هو: الزوال التدريجي للعقل.
- الطرف جفن العين، وقاصرات الطرف كناية عن أنّ الزوجات في الجنة يغضض أبصارهنّ عن النظر إلى الآخرين، أو كناية عن النظر بنصف العين وهو أمر يجذب القلب، ولعلّ المراد أنّ نساء الجنة على قدر من الجمال بنحو تجعل الواحدة منهن عين زوجها خاضعة لها، أي إنّها ونظراً إلى جمالها فإنّ زوجها لا ينظر إلّا إليها.
- عَيْن جمع عينا وهي صاحبة العين الكبيرة والجميلة والسوداء.
- بيض جمع بيضة وهي بيض النعام ذات اللون الأبيض المخلوط بشيء من الصفرة والذي يمتاز بالصفاء، ويحملها الحيوان تحت ريشه كي لا تتلوّث بالغبار. وقد كان العرب يشبهون المرأة الجميلة بها<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - اللذائذ الجسمانيّة المرتبطة بالبطن والشهوة موجودة في الآخرة أيضاً، ﴿فَوَكَّاهُ﴾ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ، قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴿٤٥﴾.
- ٢ - لا يتحدّد الثواب في الجنة بجهة خاصّة، بل النعم تأتي إلى أهل الجنة من كلّ جهة فتحيط بهم، ﴿يُطَافُ﴾.

٣ - اللون الأبيض هو من ألوان الجنة التي تدلّ على الضياء، الجمال، الصحة وهو لون محبّب إلى القلب، ﴿يَبْضَاءٌ... يَبْضٌ﴾.

٤ - ليس للذائد الجنة أي نوع من الآثار الخفية أو البينة؛ فشراب الجنة لذيد، ولكنه غير مسكر، كما لا تترتب عليه آثار الشراب الدنيوي، ﴿لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾.

٥ - غَضّ الطرف عن الغير هو خصائص نساء أهل الجنة، ﴿قَصِرَتْ الْقُرْفُ﴾.

٦ - نساء الجنة يتمتعن بالجمال ويجذبن القلوب، وهنّ أيضاً طاهرات عفيفات مستورات، ﴿عَيْنٌ... يَبْضٌ مَكُونٌ﴾.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥١) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٢﴾ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٣﴾ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا أَوَدَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٤﴾

### إشارات

□ (يوم الدين) هو من أسماء يوم القيامة، و(مدِينون) من الدين بمعنى الجزاء.

### التعاليم

١ - لا ينسى الإنسان في الجنة ذكريات عالم الدنيا، ﴿كَانَ لِي قَرِينٌ﴾.

٢ - يتلاقى أهل الجنة، فيجلسون على أسرة ويتحدثون فيسأل بعضهم البعض عمّن كان معهم في الدنيا، ﴿كَانَ لِي قَرِينٌ﴾.

٣ - تجوز مجالسة الكفار في الدنيا، مع حفظ المعتقدات الدينيّة، ﴿كَانَ لِي قَرِينٌ﴾.

٤ - يتناول حوار أهل الجنة إنكار المنكرين وحججهم، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ... يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾.

٥ - ليس للكفار من دليل على إنكار المعاد، سوى الاستبعاد والتعجب، ﴿أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا...﴾.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتَ مُطْلِعُونَ﴾ ٥٤ ﴿فَاطْلَعْ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ٥٥ ﴿قَالَ تَأَلَّهَ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾ ٥٦  
 ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾ ٥٧

### إشارات

□ «أردى» من الإرداء بمعنى السقوط من مكان عال موجب للهلاك.

### التعاليم

- ١ - يطلع أهل الجنة على الحال التي عليها أهل جهنم، ﴿فَاطْلَعْ﴾.
- ٢ - مكان منكري القيامة في وسط الجحيم، ﴿سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾.
- ٣ - يمكن لأهل الجنة أن يتحدثوا مع بعض أصحابهم من أهل جهنم، ﴿قَالَ...﴾.
- ٤ - يجب الحذر من صديق سوء، ﴿كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾.
- ٥ - يبذل أهل الفساد جهدهم لإفساد الآخرين، ﴿كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾.
- ٦ - لو انقطع اللطف الإلهي لحظةً عن هذا الإنسان لكان سقوطه حتمياً، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ...﴾.
- ٧ - قد يكون بعض العباد المخلصين على شفا حفرة من الهلاك، ولكن اللطف الإلهي ينالهم فتكتب لهم النجاة، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾.
- ٨ - من النعم الإلهية على الإنسان أن يكون مصوناً من التأثير برفقة سوء، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾.
- ٩ - لا يرى أهل الجنة أنفسهم مستحقين للجنة، بل يرون ذلك لطفاً ونعمة من الله ﷻ، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾.

﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾  
لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

### التعاليم

- ١ - إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَنظراً إلى السرور الذي يعيشون فيه لا يصدّقون ما هم فيه من نِعَمِ الْجَنَّةِ؛ لذا يُبدون تعجبهم من الخلود في النعيم، ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.
- ٢ - لا سبيل في الْجَنَّةِ للموت والهلاك، ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ﴾؛ وذلك خلافاً لما في جهنّم حيث إنّ الموت والهلاك يُصيب أهل النار بسبب العذاب، ولكنّ الله يُحييهم ثانية.
- ٣ - المؤمن العاصي يؤمر به إلى جهنّم أولاً ثم بعد ذلك إلى الْجَنَّةِ، إذ لا معنى للعذاب بعد الْجَنَّةِ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.
- ٤ - من الممكن أن يُسلّم الإنسان وإن كان في محيط فاسد، وإن عانى الصعوبات في ذلك، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.
- ٥ - الفوز الكبير هو بالنجاة في هذه الدنيا من رفاق السوء، وفي الآخرة من عذاب جهنّم، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.
- ٦ - لا بدّ من إرشاد الناس إلى المثل السليمة، ﴿لِيُثِلَ هَذَا﴾.
- ٧ - لا يتنافى العمل بغرض الوصول إلى نِعَمِ الْجَنَّةِ مع الإخلاص، ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ﴾.
- ٨ - ينبغي أن يسعى الإنسان ليكون ما يقوم به الإنسان من عملٍ في هذه الدنيا بغرض الوصول إلى أهداف عليا، وإلا أوجب الحسرة والخسران، ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ﴾.
- ٩ - لا يكفي الإيمان وحده، بل لا بدّ من أن ينضمّ إليه العمل، ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (٦٦) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

### إشارات

- النُّزْل هو استقبال الضيف عند نزوله ووروده.
- الزَّقُّوم هو نبات فيه سُمٌ ينبت في الصحراء ولو فصلت أوراقه وخرجت منها مادة فلاقت الجسم أصابته بورم. وقد ورد في سورة الدخان قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامٌ لِلْأَشْيَءِ كَالْهَيْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَبِيرِ﴾.

### التعاليم

- ١ - لا بد من المقايسة بين نماذج اللطف الإلهي ونماذج الغضب الإلهي ليحسنا على فعل الأفضل، ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ... أَذْلِكَ خَيْرٌ... أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾.
- ٢ - الإنسان يطلب الخير بفطرته، ويسعى لما هو الأفضل، ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ... أَمْ﴾.
- ٣ - أهل الجنة هم ضيوف الله ﷻ، ﴿نُزْلًا﴾.
- ٤ - الظالمون الذين يحرقون القلوب في هذه الدنيا سيكون طعامهم محرقاً في الآخرة، ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾.
- ٥ - أن تنبت في قعر جهنم شجرة فإن في ذلك تجل للإرادة الإلهية، ﴿شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا يَلُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمِيرٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

### إشارات

- الطلع هو حمل النخل، والمراد من الشوب هو الخليط والمزيج. ويُطلق على ما يُشرب بعد الطعام لأنه يختلط في المعدة مع الطعام.
- لما كان الشيطان موجوداً يمثل السوء والقبح والخبث في أذهان المسلمين،

فإنَّ الله ﷻ شبه طلع شجر الزقوم برؤوس الشيطان مع أنَّ البراعم ينبغي أن تكون أمراً جميلاً ومحبوباً، كما أن الملاك في أذهان الناس هو مظهر الحسن والكرامة؛ لذلك قالت نسوة مصر في مديحهم ليوسف: ﴿...إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لأهل جهنم كما لأهل الجنة طعام وشراب؛ ولكن طعامهم فضلاً عن كونه كريهاً ومنفراً فإنه قبيح الشكل والطعم وموجب للأذى، ﴿كَأَنَّهُ زُرُّوسُ الشَّيْطَانِ... لَشَوْكاً مِنْ حِمِيرٍ﴾.
- ٢ - لا طريق للفرار ولا طريق للخلاص من طعام أهل جهنم، ﴿لَا يَكُونُ... فَمَالُونَ﴾.
- ٣ - إنَّ جوع أهل جهنم يبلغ حداً يملأون بطونهم بأسوأ أنواع الطعام، ﴿فَمَالُونَ مَتْنًا الْبُطُونِ﴾.
- ٤ - ليس العذاب الآخروي مرحلياً، بل جهنم هي مستقرهم الأبدي، ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الْحَمِيمُ﴾؛ (فلعلَّ أهل جهنم يُنقلون إلى مكان آخر لتناول طعامهم وشرابهم من الزقوم والحميم ثمَّ يعادون إلى مكانهم الأول).

﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا آيَاتَهُمْ ضَالِينَ﴾<sup>(٦٩)</sup> فَهُمْ عَلَىٰ عَاتِرِهِمْ يَهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

### إشارات

□ يُهرعون بمعنى السير بسرعة. ويزم الله ﷻ في هذه الآية أولئك الذين يتبعون تقاليد الآباء ومعتقداتهم دون أدنى تأمل وبأسرع ما يمكنهم.

□ من خصوصيات أهل جهنم، التقليد الأعمى للآباء والأجداد؛ مع أنه لا يجوز التقليد في العقائد، ولا بد من أن تبني عقائد الإنسان على أساس عقلي وبمنهج استدلالِي.

### التعاليم

- ١ - لا يصح التقليد الأعمى للآباء في العقيدة والسلوك الخاطئين وتحت أي عنوان من العناوين، ﴿أَلَفُوا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ... عَلَى ءَاتِرِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾.
- ٢ - أسوأ أنواع التقليد هو تقليد الآخرين مع العلم بانحرافهم والمعرفة بضلالهم، ﴿أَلَفُوا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾.
- ٣ - للعقائد الباطلة للآباء تأثيرها على الأبناء، ﴿ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ﴾.
- ٤ - لا ينبغي الانجرار وراء تقاليد وسنن الآباء إذا كانت من الباطل، ﴿يَهْرَعُونَ﴾ بمعنى الاتباع القهري وبلا اختيار).
- ٥ - لا ينظر إلى كل ما يورث من ثقافة الآباء نظرة مدح وثناء، ﴿عَلَى ءَاتِرِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾.
- ٦ - أهم واجب في البيئة المنحرفة هو اليقظة الدائمة. وقد أرسل الله ﷻ في الأمم الضالة منذرين، ﴿صَلَّ قَبْلَهُمْ... أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.
- ٧ - إن الله ﷻ أتم الحجة عليهم، ﴿أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.
- ٨ - فساد أكثر الناس في المجتمع ليس سبباً لضلال ذوي الاستعداد للهداية، ﴿صَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ... أَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾.
- ٩ - دراسة التاريخ سبب للهداية والاعتبار، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾؛ فنحن مأمورون بالتأمل والتدبر في مصير الكفار الذين امتازوا بالتعصب والعناد.
- ١٠ - على الرغم من وجود الأكثرية الفاسدة فإن بإمكان الإنسان أن يكون عبداً لله دون أن ينجر مع تلك الأكثرية، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾.
- ١١ - عبادة الله سبب لتلقي اللطاف الخاصة، ﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

١٢ - الإخلاص في العبادة سبب للنجاة من سوء العاقبة، ﴿كَيفَ كَانَ عَقِبُهُ الْمُتَذَرِّينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

١٣ - عباد الله هم فقط الذين تلقوا تحذير الأنبياء بجد، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الْمُتَذَرِّينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَحْنُ لَهُ أَهْلُهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمْهُ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

### إشارات

□ لقد تكرر ذكر نوح في القرآن الكريم كنموذج أعلى وأسوة للثبات والمقاومة، وذكر قصة نوح في القرآن كان لتسليية النبي وبث الطمأنينة في نفسه، ولهذا النبي الكريم خصائص منها:

أ - أول أنبياء أولي العزم، ولذا أطلق عليه لقب شيخ الأنبياء.

ب - النبي الوحيد الذي ورد التعرض لذكر مدة دعوته في القرآن الكريم.

ج - السلام الإلهي الخاص من الله ﷻ له حيث أضيف إلى هذا السلام عبارة: ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾.

د - النبي الذي لا يؤمن به ابنه ولا زوجته بل كانا يرفضان دعوته.

□ كلمة (آخر) تعني في اللغة العربية نهاية الشيء، و(آخرين) أي الذين سيكونون في المستقبل. وأما (الآخر) و(الآخرين) فهو بمعنى الغير.

□ الفرق بين التاريخ الذي يسرده القرآن الكريم وبين التاريخ الموجود في كتب التاريخ هو تصدي القرآن بعد نقل حادثة وقعت في التاريخ لبيان السنن الإلهية في موردها: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

□ لعل المراد من نداء النبي نوح ﷺ في هذه الآية هو ما ورد في الآية ٢٦ من سورة المؤمنون حيث قال تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونُ﴾



□ الله ﷻ هو نعم المجيب، أي إنه يستجيب لكل ما فيه صلاح العباد، لا ما يحدّه العباد، فلعلّ العبد يطلب أمراً والله ﷻ يقدر له أمراً آخر. وقد يطلب العبد شيئاً من الله ﷻ ولكنّ الله ﷻ يؤخّر الاستجابة، وقد يطلب شيئاً ولا يستجيب الله له كما في قصة نوح حيث طلب نجاة ولده، ولكنّ الله ﷻ لم يستجب له.

□ المراد من البلاء والكرب العظيم هو الطوفان والغرق أو أذية الناس له؛ نعم، الدعوة إلى الدين والرسالة تترافق مع الصعوبات والمشاكل.

□ ورد عند الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرّاً أَلْبَيْنَ﴾، أنّه قال: «الحقّ والنبوة والكتاب والإيمان في عقبه وليس كلّ من في الأرض من بني آدم من ولد نوح»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

١ - لا يصل أولياء الله ﷻ إلى طريق مسدود، ومتى واجهتهم صعوبات لجأوا إلى الدعاء والاستمداد من القدرة الإلهية الواسعة للتغلب على تلك الصعوبات، ﴿نَادَيْنَا نُوْحَ﴾.

٢ - مع سعة العلم الإلهي، فالله ﷻ بكلّ شيء عليم؛ ولكنّ للدعاء والطلب من الله ﷻ أثره الخاص، ﴿نَادَيْنَا﴾؛ (فالنداء والدعاء وإظهار الحاجة إلى الله ﷻ بابّ للإجابة).

٣ - إذا دعا الإنسان الله ﷻ بإخلاص كان دعاؤه مستجاباً، ﴿نَادَيْنَا...﴾.

٤ - استجابة الدعاء تقتزن بالحكمة والرحمة ودون مئة، ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾.

٥ - طلب نوح من الله ﷻ أن لا يُبقي من الكافرين أحداً، وأن ينجيه وأتباعه، ولكن الله ﷻ الذي من صفاته (المحسن)، وهبه السلام وبقاء النسل ولعلّ هذا هو المراد من قوله: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾، أي نعطيك أكثر ممّا طلبت.

- ٦ - لقد حفظ الله ﷻ نبيّه نوحاً في الماء وإبراهيم في النار، ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾؛ (الماء والنار ليستا شيئاً أمام الإرادة الإلهية).
- ٧ - النسب والرحم ليسا سبباً لكون الشخص من الأهل (ولذا قال تعالى في هذه الآيات ونجّيناه وأهله، مع علمنا بأنّ الله ﷻ قد أهلك ولده بالطوفان. ولذا يكون المراد من الأهل هم الأقارب والرحم الذين يكونون على عقيدة واحدة)، ﴿أَهْلَهُ﴾.
- ٨ - انقراض أو بقاء أيّ نسلٍ هو بيد الله ﷻ، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾.
- ٩ - نسل البشر اليوم هم نسل نوح ومن كان معه من أنصاره، ﴿هُمُ الْبَاقِينَ﴾.
- ١٠ - أولياء الله ﷻ أحياء يتلقون التحية والسلام، ﴿سَلِّمُوا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.
- ١١ - إنّ سبب بقاء الذكر الحسن بين الناس والسلام من الله هو الإحسان، ﴿يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
- ١٢ - إنّ الثواب الإلهي للمحسنين هو عادة وسنة إلهية، وليس أمراً يتحقّق صدفةً واتّفاقاً، ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي﴾.
- ١٣ - يعطي الله ﷻ المحسنين الدنيا أيضاً، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
- ١٤ - التسليم على الأنبياء والأولياء الإلهيين هو فعل إلهي، ﴿سَلِّمُوا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.
- ١٥ - المحسنون الذين ينالون الدرجات الإلهية هم الذين يكون الإيمان منطلقاً لأعمالهم لا طلب الشهرة، ﴿يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٦ - إذا اقترن الإحسان بالإيمان والعبودية لله ﷻ، فإنّ قيمته عند الله ﷻ تكون أعلى وأرقى، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٧ - عندما ينزل العذاب في الدنيا تكون النجاة من نصيب المؤمنين فقط، وأمّا الآخرون فينالهم العذاب سواء كانوا من الكافرين أو من المحايدين. قال تعالى: ﴿أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾، ولم يقل: «أغرقنا الكافرين».

﴿وَاتَّخَذَ مِنْ شَيْعِهِ لِبَرَاهِيمَ آيَةً﴾ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكُمَا إِلَهُةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

### إشارات

- كلمة شيعة تعني الجماعة التابعة لرئيس مشترك.
- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من كل ما سوى الله تعالى، لم يتعلق بشيء غيره<sup>(١)</sup>.
- للنبي إبراهيم عليه السلام خصائص امتاز بها عن سائر الأنبياء منها:
  - أ - إنه مع كونه شخصاً واحداً ولكن الله سبحانه وعده أمة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(٢)</sup>.
  - ب - كان بالإضافة إلى النبوة إماماً للناس: ﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾<sup>(٣)</sup>.
  - ج - بعض الأنبياء كموسى، وعيسى ومحمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام) من نسله.
  - د - مراسم الحج هي ذكرى لأحداث جرت مع إبراهيم عليه السلام.
  - هـ - رأى إبراهيم ملكوت السماء والأرض وباطنهما، ﴿نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>.
  - و - ذكر له القرآن الكريم ألقاباً وصفات خاصة، كالصديق، الأواه، الحليم، الخليل، الحنيف، القانت وصاحب القلب السليم.

### التعاليم

- ١ - لا بُدَّ للمنزل في السفر المعنوي والروحاني (فعلى الرغم من أن البعد الزمني بين النبي إبراهيم عليه السلام والنبي نوح عليه السلام يبلغ آلاف السنين إلا أن القرآن الكريم

(١) تفسير مجمع البيان.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٤) سورة الانعام: الآية ١٧٥.

جعل إبراهيم من شيعة نوح، ونوح قائد حركة التوحيد)، ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

٢ - إن طريق الأنبياء كافة واحد، والأنبياء هم أسوة وقدوة لبعضهم ولا دور لعنصري الزمان والمكان في أصول وأسس الأديان السماوية، ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾. وفي مورد آخر يخاطب الله نبيه محمدا بقوله: ﴿فِيهِدْهُمْ أُمَّتُهُ﴾<sup>(١)</sup>؛ أي بهدي الأنبياء اقتد.

٣ - كلمة شيعة وخلفاء لدعوى أعداء الشيعة، ليست من اختراع أنصار الإمام علي عليه السلام، ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾.

٤ - من مهام الأنبياء:

أ - الارتباط بالأنبياء السابقين، ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

ب - التسليم أمام الله ﷻ: ﴿جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

ج - إنقاذ المجتمع من أنواع الشرك: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾.

٥ - لا بدّ أولاً من تطهير النفس والداخل، ثم الانتقال إلى مرحلة تطهير المجتمع. (امتلاك القلب السليم ضروري لنجاح عمل القادة الدينيين)، ﴿جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

٦ - القلب السليم شرط للتقرب إلى الله ﷻ واللجوء إليه، ﴿جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

٧ - إن الشيعي الحقيقي والتابع الحقيقي للأنبياء ﷺ هو صاحب القلب السليم والطاهر، ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

٨ - من علامات الإيمان الراسخ: الصراحة، والشهامة، وعدم مراعاة النسب والقوم في الدعوة. ولذا ذم إبراهيم تقاليد أبيه، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

٩ - أولياء الله لا يتيهون في البيئة الفاسدة، بل يتولون تغييرها وإصلاحها، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.

- ١٠ - السنّ ليس شرطاً في النهي عن المنكر، ﴿لَا يَبِيدُ﴾. وكذلك العدد ليس شرطاً، ﴿لَا يَبِيدُ وَقَوِّمُهُ﴾.
- ١١ - تبدأ فريضة النهي عن المنكر بالأقربين، ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ١٢ - تبدأ فريضة النهي عن المنكر بالمنكرات الرئيسية كالشرك، ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ١٣ - الوظيفة الأولى للأنبياء محاربة الشرك، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوِّمُهُ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ١٤ - لا بدّ من أن نحرك وجدان فاعل المنكر عند نهيه عن المنكر، ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ١٥ - لا يُشترط في النهي عن المنكر احتمال التأثير الفوري والتأم، فلعلّ التأثير يأتي لاحقاً، وقد يكون محدوداً أو غير ذلك، ﴿قَالَ... مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ١٦ - عبادة الأصنام نوعٌ من الإفك والكذب، ﴿أَفَنُكَا إِلَهَةً﴾.
- ١٧ - مضافاً إلى قبح عبادة غير الله ﷻ فكذلك إرادة عبادة غير الله ﷻ، ﴿تَعْبُدُونَ، تُرِيدُونَ﴾.
- ١٨ - تدبير وإدارة عالم الوجود في ظلّ الربوبية الإلهية، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ٨٨ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ٨٩ ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ ٩٠ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ إِلَهِهِمْ فَقَالَ﴾ ٩١ ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ٩٢ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ ٩٣

### إشارات

□ جرت عادة أهل بابل وهو المكان الذي كان يُقيم فيه النبي إبراهيم عليه السلام، على إقامة احتفال سنويّ يعدّون فيه الطعام ويضعونه في بيوت الأصنام طلباً للبركة، ثم يخرجون خارج المدينة جميعاً للاحتفال، وبعد ذلك يعودون إلى بيوت الأصنام ليأكلوا ذلك الطعام. وكانوا يدعون النبي إبراهيم ليشاركهم في تلك الاحتفالات، ولكن إبراهيم عليه السلام كان يتحيّن الفرصة لكي يحطّم أصنامهم لعلّ ذلك يوجد صدمة في نفوسهم، وكان لأهل بابل على جري عاداتهم وتقاليدهم اعتقادٌ بالنجوم وما لها من تأثير على مصير الإنسان، فلذلك نظر إبراهيم في

النجوم وذكر لقومه أنه يرى طبقاً للنجوم أنه سيصاب بالمرض لو خرج من المدينة، فاقنعوا بذلك كمبرر لعدم خروجه معهم، ولم يصرّوا عليه في ذلك.

□ ومن الواضح أنّ إبراهيم لم تكن لديه مثل تلك العقيدة بتأثير النجوم، ولكنّه لأجل إقناع الناس استخدم طريقتهم التي يثقون بها. كما أنّه وفي أسلوب دعوته لهم إلى عبادة الله الواحد ذكر عبادة النجوم أولاً ثم تبرأ من عبادتها<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

١ - لا بدّ في التبليغ من مخاطبة كلّ طائفة من الناس بما يتناسب معها. (فالطائفة التي تعتقد بتأثير النجوم لا بدّ من استخدام لغة ثقافتهم تلك في دعوتهم)، ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ، فَقَالَ﴾.

٢ - لا بدّ من استخدام وسائل جديدة ومبتكرة في دعوة الناس إلى الحقّ وفي مواجهة الباطل. (فالنبي إبراهيم ﷺ امتنع عن الخروج معهم إلى خارج المدينة وقام بما خطّط له من تحطيم أصنامهم)، ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

٣ - لا بدّ من أن يكون المؤمن فطناً ونبهاً ليغتنيّ الفرص التي تُتاح له، ﴿فَنظَرَ... فَقَالَ﴾.

٤ - للأنبياء المرسلين من الله ﷻ مشروع طويل الأمد يهتمون فيه أيّ فرصة تُتاح لهم لتطبيقه. (فنقرأ في الآية ٥٧ من سورة الأنبياء وعده إياهم بتحطيم أصنامهم، ﴿وَتَأْتِيَ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ﴾، وقد أنفذ ذلك الوعد ضمن ما خطّط له).

٥ - ينبغي للقادة الدينيين للمجتمع مواجهة الاتجاهات الفكرية المنحرفة وذلك من خلال مبادرتهم إلى الفعل، ولا يكون دورهم ردّة الفعل فقط، بل ينبغي لهم التخطيط لذلك ورسم خريطة عمل لمواجهة العدو، ﴿فَنظَرَ... فَقَالَ... فَرَأَى﴾.

٦ - تتوقّف مغافلة العدو لأجل توجيه ضربة إليه على معرفة عادات ذلك المجتمع

العدو وتقاليده ومعتقداته، ﴿فَنَظَرَ... فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

٧ - إن منطق الأنبياء في الدعوة إلى الله وإبطال عبادة الأصنام هو منطق واضح وفطري وعقلي، ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ... مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾

﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ مَรْيَأً بِآيَاتِنَا ۖ فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ۝٩٣﴾ قَالَ اتَّبِعُون مَا نُنْحِثُونَ ۝٩٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٥﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْغَيِّمِ ۝٩٦﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝٩٧﴾

### إشارات

□ راغ بمعنى ذهب إلى أمر ما بعيداً عن أعين الناس. و﴿يَزْفُونَ﴾ بمعنى الحركة السريعة والعجولة ويطلق على مراسم العرس الزفاف لأنه يقترون بالنشاط والحركة.

□ حيث أقسم إبراهيم على تحطيم أصنامهم فقال: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ۝١﴾، وحيث لم تجد الموعظة وإقامة الدليل معهم نفعاً، برّ إبراهيم بقسمه وقام بتحطيم أصنامهم دفعةً واحدة، ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ مَรْيَأً بِآيَاتِنَا ۖ﴾؛ ولذا وصف الله ﷻ إبراهيم في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۝٢﴾.

### التعاليم

- ١ - لا ينبغي أن يقوم الإنسان بكل عملٍ بشكلٍ علني، بل إن بعض الأعمال ينبغي القيام بها بعيداً عن عيون الأعداء، ﴿فَرَأَى﴾.
- ٢ - للنهي عن المنكر مراحل، فإن لم تكن المرحلة الأولى وهي الوعظ نافعة، فلا بدّ من الانتقال إلى المرحلة العملية، ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ...﴾.
- ٣ - لا بدّ لمواجهة الباطل وإصلاح المجتمع من امتلاك القدرة على ذلك، ﴿مَرْيَأً بِآيَاتِنَا﴾.

٤ - ليس لكلٍ فنٍ قيمة. (فقد تفنّن القوم في صناعة الأصنام، المجسمات، ولكن إبراهيم عليه السلام قام بتحطيمها. إذاً لا بدّ من تحطيم مظاهر الباطل وإن بذلّ الباطل المال في سبيلها، فمظاهر الشرك والخرافات لا قداسة لها)، ﴿صَرَيْنَا بِالْيَمِينِ﴾.

٥ - لا بدّ من الجمع بين المنطق والقوّة، ﴿صَرَيْنَا بِالْيَمِينِ... أَتَعْبُدُونَ﴾.

٦ - في سبيل التوحيد تصحّ التضحية بكلّ شيء. (الإمام الحسين ذهب فداءً لإبطال حكم الطاغوت، بل إنّ كلّ ما عانى منه الأنبياء بل وتقديمهم أرواحهم كان في سبيل التوحيد، وهنا أيضاً قام إبراهيم بعمل وتحمل مخاطره في سبيل القضاء على عبادة الأصنام)، ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ... ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾.

٧ - لا تتوقع أن يسكن العدو أمام أيّ ضربةٍ يتلقاها. فقد أسرع عبدة الأصنام ناحية إبراهيم، ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ... قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾.

٨ - لا يمنع السجن ولا الحبس الأنبياء من الدعوة إلى الله. (فقد بادروا إلى الإمساك بإبراهيم وسؤاله إن كان هو الذي حطّم أصنامهم، ولكن إبراهيم أجابهم بدعوتهم إلى التوحيد)، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحُتُونَ﴾.

٩ - لا يليق بالإنسان أن يعبد ما يصنعه بيده، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحُتُونَ﴾.

١٠ - إنّ ما يصنعه الإنسان بيده هو أيضاً من صنع الله، ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

١١ - لا وجود لمنطقيّ صحيحٍ ولا لاستدلالٍ موجّهٍ لعبادة الأصنام، ولذا يلجأ عبدة الأصنام إلى استخدام القوّة، ﴿فَأَلْفَوْهُ فِي الْغَجْرِ﴾.

١٢ - إنّ التعصّب والتحجّر يصل حدّاً يجعل الإنسان يأمر برمي نبيّ معصوم كإبراهيم عليه السلام صاحب العلم والمعجزة والبيان في النار لأجل بعض الحجارة والأخشاب، ﴿فَأَلْفَوْهُ فِي الْغَجْرِ﴾.

١٣ - إذا أدى الإنسان تكليفه فإنّ الله ﷻ هو الذي سيذهب كيد أعدائه، ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.

١٤ - الإرادة الإلهية حاکمة على الأسباب الطبيعيّة، ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾.



﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْتَهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾

### إشارات

□ ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «ذهابه إلى ربه بوجهه إليه عبادة واجتهاداً وقربة إلى الله ﷻ»<sup>(١)</sup>. إن قيمة كل حركة هي بقيمة الهدف الذي تتجه إليه، ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾.

□ في الآية ٨٣ من سورة الشعراء يطلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يلحقه بال صالحين، وفي هذه الآية يطلب من الله أن يهبه ذريةً صالحة.

□ لم يصف الله ﷻ من بين كافة أنبيائه أحداً بالحلم عدا إبراهيم وإسماعيل. ﴿...إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يُغْلَمٌ حَلِيمٌ﴾.

□ قص القرآن العديد من الأحلام، والتعبير عنها في الیقظة دليل على استقلالية الروح وارتباطها بالأمور الغيبية، من ذلك:

- أ - رؤيا يوسف أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له يسجدون.
- ب - رؤيا حاكم مصر حيث رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف.
- ج - رؤيا صاحبي يوسف في السجن وقد فسره لهما يوسف.
- د - رؤيا النبي ﷺ دخوله والمسلمين المسجد الحرام.
- رؤيا النبي إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده.

### التعاليم

- ١ - لا يصل أولياء الله ﷻ إلى طريق مسدود، بل يجدون باباً للخلاص من خلال التوكل على الله والتوجه إليه، ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾.

- ٢ - الربوبية الإلهية سبب في الهداية الإلهية، ﴿رَبِّي سَيِّدِي﴾.
- ٣ - نسير في خط الله ﷻ ونحن مطمئنون لطفه، ﴿سَيِّدِي﴾. (منك الحركة ومن الله البركة).
- ٤ - الذرّة الصالحة هبة إلهية، وهي من دعاء الأنبياء، ﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- ٥ - إنّ ما ينبغي أن يكون محور اهتمام في الذرّة هو أن تكون صالحة دون الأمور الأخرى، ﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- ٦ - الذرّة الصالحة هي أفضل ناصر في مسيرة الأسرة وحركتها إلى الله ﷻ، ﴿ذَاهِبْ إِلَيَّ رَبِّي... رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- ٧ - من علامات الولد الصالح كونه عوناً لأبيه في العمل والسعي، ﴿مَعَهُ السَّعْيُ﴾.
- ٨ - حكم رؤيا الأنبياء يختلف عن حكم رؤيا الآخرين، لا سيما إذا تكررت الرؤيا، ﴿أَرَى فِي الْمَنَامِ﴾؛ (رؤيا الأنبياء هي نوع من الوحي، وقد ورد في الرواية أيضاً: «رؤيا الأنبياء وحي»<sup>(١)</sup>).
- ٩ - ينبغي أن يعتمد الأب في أسرته الحوار العاطفيّ والمثبّس بالاحترام مع أبنائه، وكذلك العكس، ﴿يَتَّقَى... يَتَأَبَّى﴾.
- ١٠ - لا بد وأن يتخلّى الإنسان السائر في طريق الله عن كلّ تعلّق حتّى التعلّق بالأبناء. (فقد أمر بذبح ولده الذي مكث ينتظر مجيئه ما يقارب القرن، ولم يأت إلّا بعد التضرع والدعاء إلى الله ﷻ وقد بلغ سنّ الرشد وأصبح عون أبيه بعد كبر سنّه)، ﴿إِنِّي أَدْبَحْتُكَ﴾.
- ١١ - استخديم أسلوب مشاورة الأبناء وطلب رأيهم في الأمور لأجل تربيّتهم وتنمية شخصيّتهم، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.
- ١٢ - سؤال الناس عن موقفهم من بعض الأمور أمر مهم؛ لأنه باب إلى معرفة مدى استعدادهم حتّى في الأمور الواضحة والمسلّمة الفائدة. (لم يكن لدى إبراهيم من شك في ما أمر به؛ ولكنّه مع ذلك سأل ابنه)، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

١٣ - المؤمن مسلّم أمره إلى الله ﷻ ولا يبحث عن الأعذار أمام الأوامر الإلهية، ﴿يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾، مع أنّ إسماعيل كان بإمكانه أن يقول لأبيه:

أ - هذا الخطاب كان رؤيا وليس يقظة.

ب - قتل الولد حرام.

ج - الأمر لا يدل على الفورية، فتريث.

د - إن هذا الأمر إرشاديّ وليس مولويّاً، وهو حسن وليس بواجب.

١٤ - يُمكن للصغار أن يحثوا الكبار على امتثال الأمر الإلهي، ﴿يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾

١٥ - ينبغي عندما تؤدّي عملاً أن نضع الهدف الأعلى نصب أعيننا. (لم يقل إسماعيل: اذهبني، اقتلني؛ لأنّ ذلك سوف يؤدّي إلى جعل الأمر شاقاً على أبيه، بل قال له: افعل ما تؤمر، أي افعل ما أمرك الله به).

١٦ - لا بدّ للعمل بالتكليف من التحلي بالصبر والثبات، ولا بدّ من أن يطلب الصبر من الله ﷻ، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

١٧ - الصبر والثبات هو من سيماء الصالحين، ﴿الصَّابِرِينَ... مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

١٨ - صبر إسماعيل هو نتيجة الوعد الإلهي بأن يكون حليماً، ﴿يَقُلْ حَلِيمٌ... مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

١٩ - لا بدّ من أن ننظر إلى كلّ ما نملكه من كمالٍ على أنّه من عند الله، ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

٢٠ - قل: «إن شاء الله»، عند العمل، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَلَكُمُ الْجِبْنَ (١١٣) وَتَدِينُهُ أَنْ يَتَابَرَهُسُ (١١٤) قَدْ صَدَقَتِ الرَّبُّ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ (١١٥) إِنَّ هَذَا لَمَوْ أَلْبَلَوُوا الْمُنِينَ (١١٦)﴾

### إشارات

تله بمعنى ألقيه على التراب. الجبين هو طرف الوجه والجبهة.

□ بعد أن أعلن الأب والابن (إبراهيم وإسماعيل ﷺ) استعدادهما لامتحان الأمر الإلهي، وقام إبراهيم بوضع ابنه على التراب على وجهه، جاء النداء بعدم إرادة ذبح إسماعيل، وأن المراد هو أن نقطع تعلقك بولدك في سبيل الله وهذا ما أثبتته إبراهيم.

### أهمية الدافع والنية

للدافع والنية أهمية أساسية في تعاليم القرآن ومدرسة أئمة أهل البيت ﷺ. وبلغ ذلك حدًا اعتبرت الروايات أن نية المؤمن للقيام بعمل خير من العمل. «نية المؤمن خير من عمله»<sup>(١)</sup>. فالكثير ممّا لم يؤدّ من العمل كان محلًا للثناء نظراً للدافع الإيجابي، فيما صدر اللوم على كثير من الأعمال التي صدرت بسبب ما كان خلفها من دافع ونية.

ونذكر هنا نماذج من الأعمال التي كانت محلًا للمدح والثناء والثواب على الرغم من أنها لم تصدر:

- إقدام النبي إبراهيم ﷺ على التضحية بولده، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾.
- ذهب أويس القرني للقاء النبي ﷺ وزيارته وعلى الرغم من أنه لم يوفق لهذا اللقاء ولكن زيارته كانت مقبولة، مع أن بعض من كان إلى جانب النبي كان يؤذيه.
- جماعة من أصحاب النبي ﷺ ممّن كان عاجزاً عن الجهاد بسبب الفقر، فكانوا يتولّون وأعينهم تفيض من الدمع حزناً<sup>(٢)</sup>.
- من يبذل الله سيئاته حسنات، ﴿...يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ...﴾<sup>(٣)</sup>.
- نيل من مات محباً لأهل البيت ﷺ أجر الشهادة وثوابها: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الكافي، ج ٢، ص ٨٤.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩٢.

(٤) البحار، ج ٢٣، ص ٢٣٣.

- من يُضَاعَفْ له الثواب على عمله: ﴿أَضْعَفْنَا مِثْقَلَهُ﴾.
- وأما الأعمال الحسنة التي ورد ذمها فهي:
- العمل الذي يصدر عن سوء نية أو يقترون بالرياء والعجب: ﴿نَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾<sup>(١)</sup>.
- العمل الحسن إذا انضم إليه عمل سيئ، كالصدقة مع المن: ﴿...لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...﴾<sup>(٢)</sup>.
- فعل من وصفهم الله ﷻ بأنهم يظنون أنهم يفعلون فعلاً حسناً: ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم

- ١ - العمل الممدوح هو الذي يقترون بالتسليم والرضا، ﴿أَسْلَمًا وَتَكَلُّمًا﴾.
- ٢ - يمكن لفتى في سنّ الشباب أن ينال الكمالات المعنوية ويصل إلى رتبة أولياء الله الكبار، ﴿أَسْلَمًا﴾.
- ٣ - علامة التسليم الحقيقي الإقدام على العمل فوراً، ﴿أَسْلَمًا وَتَكَلُّمًا...﴾.
- ٤ - الصبر على الطاعة هو الذي يخلق حالة التسليم في الإنسان أمام الأمر الإلهي، ﴿مِنَ الصَّابِرِينَ... أَسْلَمًا وَتَكَلُّمًا﴾.
- ٥ - الأوامر الإلهية قد تكون امتحانية. (أردنا ان نختبرك لا أن نريق دم إسماعيل)، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾.
- ٦ - الأهم من العمل هو التصميم على العمل والتسليم، ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا﴾.
- ٧ - الألطاف الإلهية ليست جزافاً؛ بل تسير بحساب دقيق، ﴿كَذَلِكَ نَبْزِي الْمُتَعَبِينَ﴾، (كل من كان كإبراهيم وإسماعيل ﷺ مسلماً أمره الله ﷻ فإنه سوف ينال الثواب واللفظ الإلهيين).

(١) سورة الماعون: الآية ٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

٨ - من أعظم الابتلاءات الإلهية التخلي عن الولد. (من خلال هذا الامتحان اتضحت درجة إيمان وإخلاص إبراهيم وإسماعيل)، ﴿الْبَلَاءُ الْيُسْرَى﴾.

﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧) ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨) ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٠٩) ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٠) ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١١) ﴿وَنَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢) ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١١٣)

### إشارات

□ الفداء، والفدية بمعنى ما يُقدَّم لدفع الموت والبلاء.

□ وعد الله ﷻ نبيه إبراهيم ﷺ أن يُبقي ذكره الحسن خالداً، ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾؛ ولذا كانت كافة أعمال الحج ومناسكه من الطواف بالكعبة إلى الصلاة خلف المقام هي بإمامة إبراهيم ﷺ، وكذلك جعل النبوات في نسله، كما أن كافة سبل الخير ترجع إليه.

### التعاليم

١ - للأضحية (ذبح الحيوان) تأثيرها في دفع الخطر طبقاً للثقافة الدينية، ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

٢ - التضحية هي من السنن الإبراهيمية، ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

٣ - قد تتحول حادثة تاريخية محدّدة إلى تظاهرة تاريخية كبرى، ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾؛ ففي كل سنة تتم التضحية بمئات آلاف البقر والغنم والإبل، تخليداً لقصة إسماعيل والأضحية التي كانت لأجله.

٤ - بقاء الذكر الحسن هو من الألفاف الإلهية التي يُنعم بها الله على أوليائه، ﴿وَوَكَّلْنَا...﴾.

٥ - في التجارة مع الله ربح أبدي، ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾.

٦ - يَسْلَمُ اللَّهُ ﷻ عَلَى أَنْبِيَائِهِ: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْمُنَاجَاتِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾<sup>(٢)</sup> نعم في ما يرجع إلى نبي الإسلام ﷺ فإن الله وملائكته يصلُّون عليه، وكذلك المؤمنون بأمرٍ من الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾<sup>(٣)</sup>.

٧ - إثابة المحسنين هي سنة من السنن الإلهية، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

٨ - إبراهيم مثال ونموذج للمحسنين، ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

٩ - لإبراهيم ذرية مباركة. نقرأ في الدعاء: اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾.

١٠ - لا انفصال بين الإيمان والإحسان، ﴿الْمُحْسِنِينَ... الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١١ - قيمة الولد بصلاحه، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

١٢ - قد لا يكون حتى من هو من ذرية النبي أهلاً للإيمان، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا... ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾؛ فالعلاقة النسبية لا تكون سبباً حتمياً لهداية الأبناء أو ضلالهم. (فقد يكون الأب نبياً ويكون ابنه ضالاً).

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِّنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمُ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرَةِ ﴿١١٩﴾﴾

## التعاليم

١ - التذكير بالأنبياء السابقين هو سبب لتسوية نبي الإسلام ﷺ وللمسلمين، وعامل يبيد الطمأنينة في نفوسهم في ظل الظروف الصعبة التي كانوا يعيشون فيها في مكة، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(١) سورة الصفات: الآية ٧٩

(٢) السورة نفسها: الآية ١٢٠

- ٢ - من أعظم النعم الإلهية على الإنسان أن يمنّ عليه برفع العذاب الروحي عنه، ﴿مَنَّآ... بَجَّيْنَا... مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.
- ٤ - من كان محللاً للطف والنصرة الإلهيتين فإنّ النصر سوف يكون حليفه حتماً، ﴿وَصَرَّيْنَهُمْ فَكَانُوا مِنْ الْقَلِيلِينَ﴾.
- ٥ - المرحلة الأولى هي النجاة من الطاغوت، ثمّ تأتي بعد ذلك مرحلة الدعوة إلى كتاب الله وسبيله، ﴿بَجَّيْنَا... وَهَدَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ وَهَدَيْنَاهُمَا﴾.
- ٦ - إنّ تعاليم ومضامين التوراة وسائر الكتب السماوية بيّنة، وقابلة للفهم من الناس كافة، ﴿الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
- ٧ - لا بدّ وأن يكون لسان الدعوة إلى الدّين خطابةً وكتابةً، بلغة واضحة وبيّنة، ﴿الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
- ٨ - الأنبياء أيضاً بحاجة إلى الهداية الإلهية، ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
- ٩ - الذكر الحسن ثواب إلهي يُنعم به الله ﷻ على الإنسان في هذه الدنيا، ﴿وَوَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾. وقد ذكر الله ﷻ ذلك في هذه السورة في شأن نوح في الآية ٧٨ وفي شأن إبراهيم في الآية ١٠٧ وفي شأن موسى وهارون في الآية ١١٩.

﴿سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ لَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

### إشارات

□ متى تعرّض في هذه السورة بالذكر الحسن لنبي من الأنبياء أشار إلى عناصر ثلاثة هي:

- ١ - الإحسان،
- ٢ - الإيمان،
- ٣ - العبادة، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.



## التعاليم

- ١ - أولياء الله أحياء يتلقون السلام منه، ﴿سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ...﴾.
  - ٢ - لا بدّ من حفظ المراتب عند إظهار الاحترام للآخرين (السلام أولاً على موسى ثم على هارون).
  - ٣ - سلام الكبير على الصغير أمر مطلوب؛ (فالله ﷻ يسلم على مخلوقاته).
  - ٤ - الدعوة إلى الله وبيان المعارف الإلهية هو من أنواع الإحسان، ﴿مُؤْمِنٌ وَهَارُونَ... الْمُحْسِنِينَ﴾.
  - ٥ - موسى وهارون قدوة وأسوة للمحسنين، ﴿يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
  - ٦ - اللطف الإلهي بالمحسنين هو من السنن الإلهية، ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
  - ٧ - إثابة المحسنين هو من ضروريات الإدارة ومن السنن الإلهية، ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
  - ٨ - لا يفصل الإيمان عن الإحسان، ﴿الْمُحْسِنِينَ... الْمُؤْمِنِينَ﴾.
  - ٩ - الإيمان بالله ﷻ والعبودية له هما السبيل لنيل اللطاف الإلهية، ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُنتَفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَزَكَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾

## إشارات

□ تطلق كلمة (بعل) على الزوج. وكان عبدة الأصنام يطلقون على بعض الأصنام التي يعبدونها والتي يرونها أفضل منهم صفة (بعل).

## التعاليم

- ١ - لا ينبغي أن ننسى ما بذله الأنبياء وما تعرّضوا له في مسيرة دعوتهم، وأن

نستلهم الدروس من حياتهم وطريقتهم في التعامل مع أتباعهم ومع أعدائهم، ﴿وَلِإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ - بعثة الأنبياء هي من السنن الإلهية، ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

٣ - التقوى تقع على رأس ما دعا إليه الأنبياء وهي أساس الكمالات كافة، ﴿أَلَا نُنْفِقُ﴾.

٤ - إن صاحب التقوى يتخلى عن كل عقيدة لا تعتمد على المنطق والعقل، ﴿أَلَا نُنْفِقُ أَلَدْعُونَ بَعْلًا﴾.

٥ - إن المقارنة بين الأصنام وبين الله ﷻ توقظ أي ضمير نائم، ﴿أَلَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾.

٦ - النظام الأحسن هو النظام الحاكم على عالم الوجود، ﴿الْخَالِقِينَ﴾.

٧ - لا تليق العبادة إلا بأحسن الخالقين، ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾.

٨ - العبودية الخالصة هي سبب للنجاة من الحساب والعذاب الإلهيين في يوم القيامة، ﴿فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

### إشارات

□ المراد من ياسين هو إلياس الذي تعرّض له قبل آيات، فهما اسمان لمسمّى واحد، كما في مثل (سينا) و(سينين) والتي هي اسم مكان. وأفضل دليل على هذا الأمر هو أنّه في الآيات اللاحقة يذكره مستخدماً ضمير المفرد، فيقول: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، هذا أولاً، وثانياً، إن تشابه وتكرار هذه الآيات في سياق الحديث عن الأنبياء السابقين أي عن نوح، إبراهيم، موسى وهارون يدلنا على أن المراد من إلياسين في قوله سلام على إلياسين هو نفس (إلياس) في قوله: ﴿وَلِإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

□ الروايات التي وردت بقراءة ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ بـ (آل ياسين)، والتي صرّحت بأنّ

المراد منها أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، لم ترد عن أهل البيت ولا يمكن الاعتماد عليها.

□ تكرر آية: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في هذه السورة لأجل الترغيب في اتباع الأنبياء؛ لأنهم كانوا من المحسنين.

### التعاليم

١ - نتعلم من الله ﷻ التوجه بالسلام على الأنبياء والأولياء، ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

٢ - من السنن الإلهية الثابتة اللطف والعناية الإلهية الخاصة بالمحسنين، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

٣ - معيار تلقي السلام من الله ﷻ هو الإحسان الذي يكون قريناً للإيمان والعبودية، ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ... الْمُحْسِنِينَ... عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤ - كل من كان كالإبراهيم ممتن يدعو إلى الدين، فهو من المحسنين الذين يستحقون تلقي الثواب الإلهي، ﴿إِنِّي أَنَا لَمِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ... سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ... الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْ لَوْطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ بَخَّيْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِينَ ﴿١٣٨﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِلَّا لَكُم مِّنْهُنَّ أُصْحَابٌ ﴿١٤٠﴾﴾

### إشارات

□ غابر بمعنى باقٍ، كما أن الغبار هو ما يتبقى من التراب.

□ العجوز هي المرأة الطاعنة في السن، العاجزة عن العمل والسعي.

□ كلمة دمرنا من التدمير بمعنى الإهلاك.

□ تقع قرية قوم لوط والتي نزل بها العذاب في طريق الحجاز والشام حيث كانت القوافل تعبر إلى جانبها صباحاً ومساءً.

□ يذكر علماء النفس من أصحاب الاتجاه اللاديني أسباباً لبناء الشخصية الإنسانية

يخضع الإنسان لها بشكلٍ غير اختياري، ومن ذلك ما يعبر عنه بـ (النظام الاجتماعي أو النظام الاقتصادي هو الباني لشخصية الإنسان).

ولكن الإسلام يرى الإرادة محور بناء الإنسان لا الظروف الخارجية الحاكمة عليه، فهذه زوجة فرعون وقد كانت في بيت فرعون تعيش معه بل وشريكة حياته؛ ولكنها لم تقع إطلاقاً تحت سيطرته، كما نجد العكس فهذه زوجة لوط ونوح كانتا تعيشان في بيت نبيين ولكنهما اختارتا طريقاً آخر.

### التعاليم

- ١ - التعرّض لتاريخ الأنبياء وما لاقوه من صِغَاب لتسليّة النبي ﷺ ولتثبيت المؤمنين، ﴿وَإِنَّ لَوْكَ لَيْنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٢ - يُعطي الله ﷻ كلَّ إنسانٍ ما يستحقُّه من ثواب أو عقاب، ﴿فَنَجِّنَهُ... إِلَّا عَجُوزًا﴾.
- ٣ - العلاقة التكوينية التي تخضع لقوانين الطبيعة لا تكون سبباً للنجاة، بل لا بدّ من توافر علاقة عقائدية فكرية، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾.
- ٤ - حساب الأنبياء منفصل عن حساب زوجاتهم، ﴿فَنَجِّنَهُ... إِلَّا عَجُوزًا﴾.
- ٥ - أهل بيت الأنبياء إنّما هم الذين يتبعونهم فكراً وعملاً لا الذين يرتبطون بهم نسباً، ﴿فَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا﴾.
- ٦ - لا فرق بين زوجة النبي وبين سائر الناس مع عدم امتلاكها للرقّي المعنوي، ﴿فِي الْغَايِبِينَ﴾.
- ٧ - النجاة والهلكة بيد الله ﷻ، ﴿فَنَجِّنَا... دَمْرًا﴾.
- ٨ - لا ينبغي العبور على آثار الماضين دون نظرٍ واعتبار، ﴿أَفَلَا تَقْلُوبُ﴾.
- ٩ - مصير قوم لوط عبرة للجميع، ﴿أَفَلَا تَقْلُوبُ﴾.

﴿وَإِنْ يُوسُفُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَمَةُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ ﴿١٤٤﴾ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٥﴾﴾

## إشارات

□ يُطلق على العبد الهارب دون إذن من مالكه اسم (العبد الآبق). والنبي يونس عليه السلام ترك قومه دون أن يأذن الله له في ذلك.

□ ساهم: من السهم وهو بمعنى القرعة. وقد ذكروا أن حوتاً منع السفينة من متابعة سيرها، ورأوا أنه إن لم يذهب أحد منهم فداء فإنَّ الخطر سوف يحدق بكافة المسافرين. ولذا بعد أن خرجت القرعة على يونس ألقوه في فم الحوت ليرتفع بذلك الخطر عنهم.

□ مدحضين: من الإدحاض بمعنى الاهتزاز وهو في هذه الآية كناية عن الانكسار وما لحقه من كون القرعة عليه ولم تكن له.

□ يُطلق الحوت على السمك سواء أكان كبيراً أم صغيراً؛ ولكنّه يستعمل في السمك الكبير أكثر.

□ إذا كان الخروج والابتعاد عن الناس من قِبَل النبيِّ بأمرٍ إلهيٍّ فإنَّ هذا الخروج يكون موضعاً للتقدير، ولذا وجّه الخطاب إلى لوط بقوله: ﴿...فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ...﴾<sup>(١)</sup>؛ ولكنّه متى كان بلا إذن فإنَّ مثل هذا الخروج يكون فراراً ولا يقدر عليه الإنسان ﴿أَبَقَ﴾.

□ لا بدّ من أن تكون القصة مختصرة ومتنوّعة ومفيدة. وفي هذه السورة تعرّض الله ﷻ لقصة كلِّ نبيٍّ بعددٍ محدود من الآيات.

□ لجأ يونس إلى الفرار لقلّة صبره؛ لذا لم يكن في ذلك أسوةً لسائر الأنبياء اللاحقين، وبهذا يفسّر الخطاب الإلهي لنبي الإسلام، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ

الْحَوْتَ<sup>(١)</sup>، وكذلك به يفسر تأخير قصة هذا النبي في كلام الله ﷻ إلى الأخير.

### التعاليم

- ١ - في التعرف على تاريخ الأنبياء درس لنا اليوم، ﴿وَإِنْ يُؤْخَرْ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٢ - اللجوء إلى القرعة بين الأفراد أمر مشروع، ومعروف سابقاً، ﴿تَسَاءَلُمْ﴾.
- ٣ - قد تكون الحيوانات مأمورة من عند الله ﷻ للقيام بعمل، ﴿فَاللَّعْمَةُ الْحَوْتُ﴾.
- ٤ - الفرار من المسؤولية ليس طريقاً للخلاص (يونس فرّ من قومه؛ ولكنه أصبح في حال أسوأ)، ﴿فَاللَّعْمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.
- ٥ - بعض المشاكل التي نقع فيها في حياتنا تنشأ من التقصير في أداء المسؤولية، ﴿أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ... فَاللَّعْمَةُ الْحَوْتُ﴾.
- ٦ - الإنذار قد يكون لازماً أحياناً، ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُسَيِّئِينَ﴾.
- ٧ - لا ينبغي لتبدل الظروف أن يكون سبباً لابتعادنا عن الله ﷻ، ﴿يَنْ﴾.
- ٨ - تسبيح الله ﷻ سبب للخلاص من الابتلاءات والمصائب. فيونس عليه السلام نادى وهو في بطن الحوت: ﴿...سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿كَانَ مِنَ الْمُسَيِّئِينَ﴾.
- ٩ - من أسباب النجاة أن يكون للإنسان رصيّد في طاعة الله ﷻ. (فقد كان كل من فرعون ويونس في داخل الماء، ومصير فرعون كان الغرق وأمّا مصير يونس فهو النجاة؛ لأن الأول كان من العصاة والثاني كان من الصالحين)، ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ١٠ - إذا اقتضت الإرادة الإلهية فإنّ بإمكان الإنسان اللبث حيّاً إلى يوم القيامة في بطن الحوت، ﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِنْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾. فالعمر الطويل للإمام المهديّ ليس بعيداً ولا مستبعداً.

﴿فَبَذَلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمَزَّجْنَاهُمُ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

### إشارات

□ نبذ بمعنى رمى والعراء هي الأرض القاحلة التي لا نبات فيها.  
 □ تُطلق كلمة شجر على الشجرة نفسها وقد تُطلق على النبات الذي لا ساق له ولا أغصان، واليقطين هو القرع وقد احتذى به يونس من حرّ الشمس، ومن الحشرات؛ لأنها لا تجتمع على ورقها.  
 □ قد يرد العدد في القرآن الكريم بنحو التحديد، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؛ والمراد عشر ليال لا تزيد ولا تنقص.

وقد يرد العدد ويكون المراد منه الكثرة. نحو قوله تعالى: ﴿...لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفٌ سَنَةً﴾<sup>(١)</sup>، فقد كان بعض اليهود يتمنى أن يعيش ألف سنة والمراد من الألف الكثرة. وقد يرد العدد في القرآن ويراد به العدد التقريبي كآية التي نتعرض لها بالشرح الآن، حيث ورد في تعداد قوم يونس أنه مائة ألف أو أزيد، ﴿يَا أَيُّهَا أَلْفٌ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

ورد في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: لبث يونس في بطن حوت ثلاثة أيام... فأخرجه الحوت إلى الساحل ثم قذفه فألقاه إلى الساحل وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو القرع، فكان يمصه ويستظل به وبورقه، وكان تساقط شعره ورق جلدته<sup>(٢)</sup>.

□ لقد حفظ الله أربعة من الأنبياء: موسى ويوسف من جانب الماء، نوحاً على وجه الماء، ويونس في داخل الماء، ﴿فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ... فَبَذَلْنَاهُ﴾.

### التعاليم

١ - لا ينبغي أن تمنع المحبة من اللوم. فقد وجه الله ﷻ لومه ليونس ولاقى ما

لاقي؛ ولكن ذلك لم يجعله موضعاً للحرمان من العناية الإلهية الخاصة، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ، أَتَيْنَا، أَرْسَلْنَا﴾.

٢ - لا ينبغي تجاهل أدوية الأعشاب، ﴿شَجَرَةً مِّنْ يَّقِطِينَ﴾.

٣ - من آيات القدرة الإلهية إنبات اليقطين في أرض خالية من النبات (العراء)، ﴿أَتَيْنَا... شَجَرَةً مِّنْ يَّقِطِينَ﴾.

٤ - ينبغي في الإدارة الاستعاضة عن التخلي عن الطاقات بالسعي لإعادة بنائها والاستفادة منها ثانية، ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ يَاقَةَ آلِ يَافِ﴾.

٥ - سعة ومحدودية دعوة الأنبياء تابعة للاختيار والأمر الإلهيين. (بعض الأنبياء بعث للناس كافة، وبعضهم بعث لمنطقة خاصة)، ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ يَاقَةَ آلِ يَافِ﴾.

٦ - دعاء يونس وتسبيحه من أسباب نيله اللطف والعون والنصرة من الله، ﴿مِّنَ الْمُسِيحِينَ... أَتَيْنَا﴾.

٧ - لا يُعَدُّ الفرار دليلاً على عدم الرجوع. فيونس لجأ إلى الفرار؛ ولكنه رجع إلى قومه وأدى وظيفة إبلاغ رسالته. (نعم قد يضطر الإنسان قهراً للاستقالة أو لطلاق زوجته؛ ولكن ذلك لا يمنعه من الرجوع مع المصلحة في ذلك)، ﴿أَتَىٰ إِلَىٰ الْفُلْكِ... وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ يَاقَةَ آلِ يَافِ﴾.

٨ - التوبة عما سلف سبب للنعم في المستقبل. فقوم يونس تابوا فرفع الله عنهم العذاب وأفاض عليهم النعم، ﴿فَتَابُوا فَتَنَنَاهُمْ﴾.

﴿فَأَسْتَفِينَهُمُ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ

شَاهِدُونَ ١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٥٢﴾ أَصْطَفَىٰ

الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ١٥٦﴾ فَأَنذَرْنَا

بِكَيْدِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٥٧﴾

## التعاليم

١ - سؤال الوجدان مفتاح للتفكير واليقظة، ﴿فَأَسْتَفِينَهُمُ الْبَنَاتُ الْبَنَاتُ﴾.



٢ - بعض المعتقدات تفتقد للمنطق إلى حدٍ يكفي أدنى تأمل أو تفكير للتوصل إلى بطلانها، ﴿الرَّيَّةُ الْبَنَاتُ وَلَهُنَّ الْبَنَاتُ﴾.

٣ - سوف يُسأل المجرمون عن ظنهم أنّ الملائكة من الإناث، ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا﴾.

٤ - لا يحقّ للجاهل أن يُبدي رأيه في الأمور، ﴿وَمَنْ شَهِدْتُ﴾.

٥ - عقائد المشركين أفكار موضوعة وكاذبة، ﴿مِنْ إِنْكَارِهِمْ لِقَوْلِكَ﴾.

٦ - التعرّض بالحديث للناس عن العقائد الخرافية التي يؤمن بها الآخرون يثمر في إدراكهم قيمة الهداية الإلهية، ﴿لِقَوْلِكَ وَلَدَ اللَّهُ﴾.

٧ - إنّ الذين يقولون إنّ المسيح هو ابن الله هم كالمشركين الذين جعلوا الملائكة بناتاً لله، ﴿لِقَوْلِكَ وَلَدَ اللَّهُ﴾.

٨ - الولد ذكراً أو أنثى سواء، ولا فضل لأيٍّ منهما على الآخر، ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾.

٩ - تصل العقيدة الباطلة بالإنسان إلى أن يرى السوء في البنت والخير في الصبي، فينسب البنات إلى الله والصبيان إليه، ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾.

١٠ - لا بدّ من أن تكون المسائل الاعتقادية موافقة للعقل، ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟﴾ أو تعتمد على الفطرة، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟﴾، (تذكر ذلك الشيء الذي تقتضيه الفطرة الإنسانية أو الذي يعتمد على النقل، ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ فَأْتُوا بِكُتُبِكُمْ﴾).

١١ - الكتب السماوية هي حجة وأساس في الحكم في ما يرجع إلى الله ﷻ، ولا حديث في هذه الكتب عن وجود ولد لله ﷻ، ﴿فَأْتُوا بِكُتُبِكُمْ﴾.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨) ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٠)

### إشارات

□ في المراد من هذه العلاقة المدعاة بين الله ﷻ وبين الجن رأيان: أحدهما أن الجن شريك لله ﷻ، كما نقرأ ذلك في الآية المئة من سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾، والثاني أن الله ﷻ قد اتخذ زوجة من الجن ومنهما ولدت الملائكة.

### التعاليم

- ١ - الإنسان المجرد من كل منطقي وبرهان يصدق كل خرافة وتهمه تُنسب لأي أحد، إلى حد يصدق فيه بأن الله ﷻ زوجة من الجن، ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾.
- ٢ - الجن موجود عاقل ومكلف يعتقد بالمعاد والمثول بين يدي الله ﷻ للحساب في ظل سلطة العدل الإلهي، ﴿عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.
- ٣ - الكل يخضع للحساب بين يدي الله ﷻ وليس لله قرابة مع أحد، ولو أن للجن نسباً مع الله ﷻ لما تم إحضارهم بين يدي الله ﷻ للحساب والعقاب، ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.
- ٤ - كلما جرى الحديث عن خرافة تُنسب إلى الله ﷻ، فإن من اللازم تنزيه الذات الإلهية بذكر التسبيح وهو قول: (سبحان الله)، ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ... سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.
- ٥ - كلما تعرضت الآيات بالحديث عن الضالين والمنحرفين، أخرج عباد الله بالاستثناء. ففي هذه السورة تكرر قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.
- ٦ - البشر كافة، عدا عباد الله المخلصين، عاجزون عن وصف الله ﷻ بما يليق به، ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ مَا تَعْبُدُونَ ۖ إِنَّكُمْ عَلَيْهِ يَفْتَنِينَ ۚ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٦)

### إشارات

- كلمة فاتن من (الفتنة) وهي بمعنى الغواية.
- فتعاليم الشرك وعبادة الأصنام تعجز عن الصمود أمام التوحيد ولو كان لها أنصار اليوم فإنها سوف تصل في المستقبل القريب إلى طريق مسدود.
- كلمة صالٍ من (صالي)، وهو الشخص الذي يلازم شيئاً عن اختيار منه لذلك.

### التعاليم

- ١ - خلق الله ﷻ الإنسان حراً وهو الذي يختار طريقه بيده وليس للأصنام ولا لعبدة الأصنام القدرة على إجبار أحدٍ على شيءٍ من ذلك، ﴿مَا أَنتَ عَلَيْهِ يَفْتَنِينَ﴾.
- ٢ - من يخضع لتأثير المشركين والأصنام هم أصحاب الطينة الخبيثة وأعداء الحق فقط. (المشركون والأصنام عاجزون عن خداع الناس وعن الوقوف أمام التوحيد إلا من أراد باختياره أن يسلك طريق الشرك والانحراف)، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۚ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۚ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٦٦)

### إشارات

- قد يكون المراد من المقام المعلوم هنا مقام المخلصين الذي ورد التعرض له في الآيات السابقة: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أي إن لكل واحدٍ من العباد المخلصين والمصطفين من الله ﷻ مقاماً ومنزلةً معينة. كما ورد في بعض الروايات بيان أن مصداق هذه الآية هم الأئمة المعصومون والأوصياء الإلهيون<sup>(٢)</sup>.

(٢) انظر: تفسيري نور الثقلين وراهنما.

(١) سورة الصفات: الآية ١٦٠.

## التعاليم

١ - لكلّ موجودٍ في عالم الملائكة مقام ومنزلة ومسؤوليّة خاصة في سلسلة مراتب الوجود، ﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.

٢ - ليست الملائكة ببنات الله، بل هي مخلوقات خاضعة للأمر الإلهيّ تعمل على امتثال أوامره وقد اصطقّت لذلك بنظم وانضباط، ﴿الصَّائِقُونَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ﴿١٧٠﴾ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾﴾

## إشارات

□ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ مشركي مكة وكفار قريش كانوا يظهرون تعجبهم من اليهود والنصارى كيف يكذبون أنبياءهم وكانوا يقولون لو أنّ عندنا كتاباً من عند الله لآمنا به، ولكن حين جاءهم محمد صلى الله عليه وآله كفروا به<sup>(١)</sup>.

□ لعلّ معنى الآية أنّ المشركين كانوا يقولون لو أنّ لدينا خبراً عن الموحّدين السابقين وأنهم يحيون الآن حياة سعيدة لكنّا من أهل التوحيد أيضاً، ولجهلهم اتّجهوا إلى الكفر.

## التعاليم

١ - الدعاوى كثيرة والمدّعون كثرة؛ ولكن عندما يحين وقت العمل يُميّز المؤمن من الكافر، ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا... لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ... فَكْفَرُوا بِهِ﴾.

٢ - لا يصحّ ردّ المنطق والاستدلال باستعراض التاريخ الماضي، ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾.

٣ - لا بدّ من التفكير في عاقبة العمل، والغفلة عن العاقبة سبب موجب للكفر والإنكار، ﴿فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْزُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

### إشارات

□ ورد التعرّض في هذه السورة لقصص عددٍ من الأنبياء كنوح، إبراهيم، موسى، هارون، إلياس، لوط ويونس. وهذه الآية هي بمثابة البيان النهائي وخاتمة عمل هؤلاء العظام وذلك لأجل طمأنة النبي ﷺ وتشجيع المسلمين.

□ سؤال: كيف نشاهد أنّ الهزيمة قد تلحق ببعض أولياء الله ﷻ مع أنّ الله ﷻ وعدهم بالنصر والظفر؟

الجواب: أولاً: إنّ هذا الوعد الإلهي قد تحقّق ونحن نجد اليوم أنّ عدد أتباع الأديان السماوية هم أكثر من أتباع سائر المذاهب الوضعية البشرية. ونجد أنّ أعداء الأنبياء أصابهم الفناء فلا أثر لهم ولا ذكر. وأمّا ذكر الأنبياء ﷺ فما زال حيّاً، ونشاهد الناس كيف تتعامل باحترام مع ما يُنسب من الأمكنة إليهم. ولذا نجد أنّ درجة محبة الأنبياء وقداستهم في نفوس الناس لا يمكن مقارنتها مع أيّ من العلماء والفنانين والكتاب والشعراء وأهل السياسة على مرّ التاريخ.

ثانياً: إنّ السبب في الهزائم التي لحقت بهؤلاء هو تقصير أتباعهم في أداء مسؤولياتهم وعجزهم، لا انعدام النصر والتمدّد الإلهيين. كما هو الحال في معركة أحد فإنّ سبب الهزيمة التي لحقت بالمسلمين هو ما لحق بهم من ضعف وتخلف عن طاعة أمر النبي ﷺ.

ثالثاً: لا ينبغي أن ننسى الانتصار العلمي والمنطقي والعقلي.

رابعاً: لا ينبغي أن ننسى الهلاك والعذاب الإلهي الذي لحق بالكفار.

خامساً: لم نصل إلى نهاية الدنيا بعد والأهداف الحقّة سوف تسود في هذه الأرض بظهور المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

### التعاليم

١ - نصرة الأنبياء ستة من السنن الإلهية، ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾.

٢ - مستقبل البشرية سوف يكون انتصاراً للأنبياء وهزيمة لأعدائهم، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾.

٣ - العبودية لله ﷻ هي شرط لوصول الأولياء إلى مقام الرسالة، ﴿لِيَبْدِئَنَا الْوَرْدَيْنِ﴾  
 ٤ - من الأمور الحتمية انتصار مدرسة الأنبياء على سائر المدارس، ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمُتَنَصِّرُونَ﴾. (ودليل ذلك اقتران الآية بتأكيدات ثلاثة هي: حرف إن، وحرف اللام، والجملة الاسمية).

٥ - العبودية لله هي الأرضية المؤهلة لتلقي النصره منه تعالى، ﴿لِيَبْدِئَنَا... الْمُتَنَصِّرُونَ﴾.

٦ - الأنبياء وأتباعهم هم جند الله ﷻ، وجند الله هم المنصورون في كافة الساحات، ﴿وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْفَالِغُونَ﴾.

﴿قَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٢﴾ وَأَنْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعَدَّيْنَا لِلْمَصْرِفِينَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٨﴾ وَأَنْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمَسَلَّمٌ عَلَىٰ الرُّسُلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

### التعاليم

١ - لا بد للمرتبي والقائد من اللجوء أحياناً إلى الإعراض عن الناس الضالين والمعاندين تهديداً منه لهم واعتراضاً عليهم، ﴿قَوْلَ عَنْهُمْ﴾.

٢ - من كان الوعد الإلهي هو دعامة نصره، لا بد له من التصرف من موقع القوة، ﴿قَوْلَ عَنْهُمْ﴾.

٣ - الإعراض والتولي عن الضالين لا بد من أن يكون منطقياً، إلهياً وموقفاً. (ولا يكون انتقامياً، ولا غراض نفسية، كما لا يكون دائماً).

٤ - لا بد من اللجوء إلى التكرار في مقابل تكذيب الكافرين بالوعد الإلهي. فقد تكرر الأمر بـ ﴿قَوْلَ عَنْهُمْ... وَأَنْصِرْ﴾.

- ٥ - التنبيه والتذكير وإتمام الحجة يكون أولاً، ثم بعد ذلك يأتي دور القوة والعذاب، ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِصَاحِبِهِمْ﴾؛ مع أنهم كانوا قبلاً قد أُنذروا، ﴿الْمُنذِرِينَ﴾.
- ٦ - سوف يُذيق الله ﷻ طعم الهزيمة للمعاندِين في هذه الدنيا، وسوف يُشاهد المؤمنون عاقبة ذلك، ﴿وَأَبْصِرْتُمْ فَسَوْفَ يُصِيرُونَ﴾.
- ٧ - العزة التامة هي من الله ﷻ، ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾.
- ٨ - ما ينسبه المشركون إلى الله ﷻ والأوصاف التي يُطلقونها عليه تتنافى مع مقام العزة والربوبية الإلهية، ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.
- ٩ - الله ﷻ هو منبع كافة الكمالات ومصدر الجمال، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ١٠ - الله ﷻ وحده هو الذي يستحق الحمد، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ١١ - الله ﷻ هو مالك ومدبر الوجود كله، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ١٢ - الوجود كله يسير نحو الكمال والرشد، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ١٣ - عالم الخلقة هو تجلٍّ ومظهر من مظاهر الربوبية الإلهية، والربوبية تقتضي الحمد والثناء، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



# سُورَةُ صٰمٍ

السورة: ٣٨ الجزء: ٢٣

عدد الآيات: ٨٨







## ملاحح سورة ص

سورة «ص» مكّية وعدد آياتها ثمانية وثمانون.

اسم هذه السورة مأخوذ من الآية الأولى فيها وهو أحد الحروف المقطعة.

آيات هذه السورة كسورة الصافات تشرح دوام بعثة الأنبياء على مرّ التاريخ ومواجهة المشركين والكفار لعقيدة التوحيد وللإيمان بالمعاد.

تعرّضت سورة الصافات لسيرة بعض الأنبياء كنوح، لوط، موسى، هارون،

إلياس ويونس، وأمّا هذه السورة فقد تعرّضت لسيرة وحياة النبي داود، سليمان وأيوب عليهم السلام.

وتتعرّض في آخرها لقصة خلق الإنسان، سجود الملائكة لآدم ومعصية

الشیطان للأمر بالسجود، وذلك ليعلم المؤمنون ما لهذا الإنسان من كرامة ذاتية عند الله ﷻ وليحذروا بذلك من أتباع الشيطان.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ۝٢ كَرَّ أَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ  
فَنَادَا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

### إشارات

□ كلمة (عزة) و(عزيز) هي بمعنى من لا ينفذ إليه. وهذه الصلابة والعزة قد تكون في محلها كما في مثل (إن العزة لله ولرسوله...) وقد تكون في غير محلها وهي التي تكون بمعنى العناد اللجاجة والإلحاح. وقد يكون منشأ العزة العلم والقدرة والكمالات الأخرى كالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأخرى يكون منشأ العزة هو التكبر والغرور والتعصب والعجب، كما فيما تحكي عنه الآية: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي﴾.

□ (شقاق) بمعنى الاختلاف والنزاع الذي يؤدي إلى الانفصال. ويُطلق القرن على جماعة الناس الذين يعيشون في زمان متقارن.

□ (لات) مركبة من حرفين، هما: بمعنى النفي وحرف التاء وهو للمبالغة والتأكيد، كحرف التاء في كلمة (علامة). وتستعمل لات في نفي الزمان، أي إنَّ هذا الزمان ليس هو زمان مثل هذا العمل. وأمَّا كلمة (مناص) فهي من (النوص) بمعنى الملجأ<sup>(١)</sup>.

□ حرف «ص» هو من الحروف المقطعة والتي ورد في الرواية أنَّ هذه الحروف هي من المتشابهات التي يختص علمها بالله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

□ المراد من نداء الكفار: ﴿فَنَادَا﴾ هو إعلان ندمهم عن فعلهم السابق، وهذا ندم لن ينفعهم الآن. كما ورد في الآية الرابعة عشرة من سورة الأنبياء ذكر ما يتحدثون به من قولهم: ﴿يَوَدُّونَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

□ القرآن ذكر، ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾.

- ذكر مبارك، ﴿...وَمَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ...﴾<sup>(١)</sup>.

- هو ذكر للناس كافة، ﴿...ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- في تناول الجميع، ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم

١ - يدل القسم في كلام الله بالقرآن الكريم على عظمة هذا الكتاب وحقانيّة النبي ﷺ، ﴿وَالْقُرْآنِ﴾.

٢ - القرآن يذكر الإنسان بفطرته الكامنة في داخله ويوقظها فيه ويذكره بما نسيه، ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾.

٣ - على الرغم من اشتمال القرآن الكريم على معاني مختلفة ومتنوعة وافرة، ولكن الهدف الأساس الذي تسير باتجاهه هو هداية الناس وتذكيرهم، ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾.

٤ - عظمة القرآن بكونه ذكراً، ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، كما أنّ قيمة العالم بعدم كونه من الغافلين. ولذا قال تعالى: ﴿...فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾<sup>(٤)</sup>، ولم يقل: «فاسألوا أهل العلم».

٥ - الإنسان حرّ في اختياره وحرّ في اختيار الطريق الذي يريده. والقرآن أنزل لهداية الناس، ولكن بعضهم اختار طريق الكفر، ﴿ذِي الذِّكْرِ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٦ - سبب كفر الكفار عنادهم وإصرارهم على الكفر لا قصور القرآن في بيان الحق، ﴿بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ﴾.

٧ - لا بدّ من أخذ العبرة من حوادث التاريخ، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

(٢) سورة ص: الآية ٨٧.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

(٣) سورة القمر: الآية ١٧.

(٤) سورة النحل: الآية ٤٣؛ وسورة الأنبياء: الآية ٧.

- ٨ - سوف تلحق الهزيمة بأهل الغرور ويتبدل غرورهم نداء واستغاثة، ﴿فَادْعُوا﴾.  
 ٩ - لا مفر من العذاب الإلهي، ﴿وَلَا تَجِدُ مَنَاصٍ﴾.  
 ١٠ - التوبة والاستغاثة إنما تنفع قبل وقوع العذاب، ﴿وَلَا تَجِدُ مَنَاصٍ﴾.  
 ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝١﴾

### التعاليم

- ١ - يظن الكفار نقطة القوة لدى النبي نقطة ضعفه، (فكونه من الناس هي نقطة قوة ولكن الكفار يتعجبون من ذلك)، ﴿وَعَجِبُوا... مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.  
 ٢ - الإنذار هي أهم وظيفة من وظائف الأنبياء، ﴿مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾.  
 ٣ - لا بد أن يكون النبي من الناس لكي يطلع على ما يحتاج إليه الناس وعلى مواقفهم وشعورهم ولكي يكون قدوة لهم، ﴿مِّنْهُمْ﴾.  
 ٤ - الغرور والخلاف في غير موضعهما يُعتبران سبباً لتكذيب كل ما لا يطابق الأهواء، ﴿فِي عِزِّهِ وَشِقَاقِهِ... وَقَالَ الْكَاذِبُونَ﴾.  
 ٥ - يلجأ الكفار إلى استبدال لغة المنطق بلغة الاتهام، ﴿سَحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٦﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ  
 ٱلْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٧ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْأُولَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخِلَاقٌ ۝٨﴾

### إشارات

- (العجباب) هو الشيء العجيب جداً. (الانطلاق) هو الذهاب الذي يُقارن الانفصال عن المرافق. (الاختلاق) بمعنى كون الشيء كذباً لا سابق له، أي ما كان مصنوعاً من نفسه ومختراعاً من قبيله، ومفترى من عنده.  
 □ (الملا) هم الجماعة الذين يمتازون بأنهم من الأشراف الذين يملأون أعين الناس.  
 □ مراد الكفار من «الملة الآخرة» دين المسيح ﷺ والذي هو آخر الأديان السماوية قبل الإسلام، لأنهم يقولون بالتثليث.

□ قد يكون المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ الإشارة إلى ما يدعو إليه النبي ﷺ ويطلبه وأن مطلوبه شيء يُراد بالطبع وهو السيادة والرياسة، وإنما جعل الدعوة ذريعة إليه<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - أول خطوة قام بها النبي هي رفض الآلهة المخترعة وإثبات الوحدانية لله ﷻ، ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾.
- ٢ - تعجب الكفار كان من توحيد الله، ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾، ومن النبوة، ﴿عِجُّوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الآية السابقة، ومن المعاد، ﴿...أَوَّانًا لَّيَبْعُوثُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - من الصعب على أكثر الناس التخلي عن عقائدهم السابقة والإيمان بالاعتقاد الجديد، بل ينظرون إلى ذلك على أنه أمر عجيب، ﴿أَجْعَلْ... لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.
- ٤ - قد يصل الباطل إلى درجة من الاستحكام والقوة بنحو يرى الكلام الحق كلاماً عجيباً وغير مقبول، ﴿هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.
- ٥ - يسعى أئمة الكفر إلى السير أولاً في خط الانحراف، ومن ثم دعوة الآخرين إلى سلوك طريق الانحراف؛ وذلك لكي يستطيعوا التأثير، ﴿وَأَنطَلَقَ الْكَلَامُ... إِنْ أَنشَأُوا﴾.
- ٦ - ثمة جماعة من بين الكفار هي سبب انحراف الآخرين وبقائهم متمسكين بكفرهم، ﴿وَأَنطَلَقَ الْكَلَامُ مِنْهُمْ إِنْ أَنشَأُوا وَأَصْبِرُوا﴾.
- ٧ - معرفة الكفار ممكنة من خلال النظر إلى أقوالهم وأفعالهم:
  - أ - رمي الشبهات وبث الفتن، ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ... لَشَيْءٌ عَجَابٌ... عِجُّوا﴾.
  - ب - السعي لإبعاد الناس عن اتباع الحق، ﴿أَنشَأُوا﴾.
  - ج - استبدال الدعوة إلى التفكير بالدعوة إلى التعصب والرفض، ﴿أَصْبِرُوا﴾.
  - د - الاعتماد على تقاليد الآباء أو مقارنة التعاليم الأخرى بتعاليم الإسلام، ﴿مَا سَحِقْنَا بِهَذَا﴾.

- ٨ - يستغل الكفار عواطف الناس للدعوة إلى الكفر، ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾.
- ٩ - ليس كل نوع من الصبر والثبات يكون ممدوحاً، ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾. كما أن كل تجديد لا ينبغي أن يكون مرفوضاً، ﴿هَذَا... أَخْبَلْتُكُمْ﴾.
- ١٠ - صبر الأنبياء هو في سبيل الله، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، وأمّا الكفار فصبرهم على الأصنام، ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾.
- ١١ - ثبات أئمة الكفر على الدعوة إلى الانحراف والترويج له، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾.

﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ ثُلُكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْنَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

### إشارات

□ (الذكر) هو من أسماء القرآن الكريم. وفي بداية هذه السورة ورد وصف القرآن بأنه ذكر: ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾. كما وصف في هذه الآية نزول القرآن على النبي ﷺ بأنه نزول للذكر، ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾، كما نقرأ في الآية ٤٨ أيضاً قوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾، كما ورد في آخر السورة قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

□ الشك على نوعين: طبيعي وعمدي، وفي الشك الطبيعي يكون سعي الإنسان لفهم الحقيقة، قبل أن يصل إلى العلم، وهذا الشك يُعتبر أمراً إيجابياً ولازماً للعقل البشري.

ولكن قد يعلم الإنسان أحياناً بأمراً ما، ولكنه يوقع نفسه في الشك ويتجاهل ما علمه ويدعو الآخرين إلى الشك سعياً منه لإخفاء الحقيقة<sup>(١)</sup>. ومراد القرآن من قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ هو النوع الثاني من الشك.

□ حرف ما في قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَّا﴾، هو للتحقير، أي جيش ضعيف وصغير.

### التعاليم

- ١ - شك بعض الكفار في رسالة نبي الإسلام ﷺ يرجع إلى شكهم في أصل إمكان نزول الوحي، ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ... بَلْ مُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾.
- ٢ - بعض الذين يشككون في أحكام الدين لا يؤمنون بالدين كله، ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ مُمْ فِي شَكٍّ...﴾.
- ٣ - تعود جذور بعض أنواع الإنكار إلى حجاب الحسد (كيف أصبح نبياً دوننا؟)، ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.
- ٤ - من يواجه دين الله ﷻ وقادة هذا الدين بالاستهزاء لا بد من أن يواجه بنفس ذلك. ففي جواب من قال: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾، يقول القرآن: وما هي الصفة التي تؤهلهم لذلك، فهل خزائن رحمة الله تحت أيديهم، أو أن مُلك السموات والأرض هو بأيديهم؟ إن هم إلا جماعة مهزومة، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ... أَمْ لَهُمْ...﴾.
- ٥ - إذا كان الشك طبعياً، فلا يستتبعه العذاب ولا الهلاك، إلا مع فرض إمكان رفع هذا الشك والوصول إلى اليقين مع عدم التقصير في هذا الأمر، ولكن التشكيك إذا نشأ من الغرور والاستهزاء بالغير والتكبر عليهم فإنه يستتبع القهر والعذاب، ﴿بَلْ مُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِي﴾.
- ٦ - لا يؤمن الكفار ما لم يذوقوا العذاب ويروا النار بأعينهم (لأنهم حسيون ولا يؤمنون إلا بما يرونه بحواسهم).
- ٧ - بعثة الأنبياء بغرض هداية الناس هي مظهر من مظاهر الرحمة والعزة والعطاء الإلهي، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾.
- ٨ - الله ﷻ معطاء في تربية الناس، ﴿الْوَهَّابِ﴾؛ ولكنه منزّه تماماً عن تأثير الميول البشرية غير المبررة وغير المشروعة، ﴿الْعَزِيزِ﴾.



٩ - اختيار القائد والقانون لا بدّ من أن يكون بيد الله لأنّ نظام عالم الوجود بيده، ﴿مُتْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. كما أنّ النظام التربويّ للإنسان بيده، ﴿رَبِّكَ﴾، كما أنّ رحمته واسعة لا نهاية لها (ولذا لا يحقّ للناس الاعتراض على صيرورته نبياً من بينهم).

١٠ - في العالم العلويّ أسباب تدبير العالم السفليّ، ﴿فَلْيَرْفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾.

١١ - مهما بلغ عدد أعداء الدّين وعتادهم فإنّهم في مقابل الحقّ لا عدد لهم، ﴿جُنْدٌ مَا﴾، ولا قوّة، ﴿مَهْزُومٌ﴾، وليسوا حزباً واحداً بل هم أحزاب متعدّدة، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾.

١٢ - مصير كلّ حزب غير إلهي هو الهزيمة والانقراض، ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾.

١٣ - يخبر الله ﷻ عن الغيب وعن مستقبل الكفار (فمكّة التي شهدت الإنكار والتكذيب بنبوّة نبي الإسلام ﷺ هي التي شهدت فتح مكّة من قبل النبي)، ﴿مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۖ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۖ (١٣) إِن كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۖ (١٤) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۖ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۖ (١٦)﴾

### إشارات

□ (ذُو الْأَوْنَادِ) صاحب المسامير، وهو كناية عن إثبات القوة والقدرة (فَوَاقٍ) بمعنى الرجوع. ويُطلق كذلك على الفصل في إرضاع الحيوان لصغيره لأجل امتلاء الضرع بالحليب.

□ ﴿الْأَيْكَةِ﴾ بمعنى الشجرة، و﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هم القوم الذين يعيشون في مرتع من الماء والشجر.

□ تشير الآيات المذكورة إلى المصير السيئ الذي أصاب قوم ستّة من الأنبياء قبل الإسلام، ليعتبر بذلك الكفار في زمان نبي الإسلام، وليعلم النبي ﷺ

وسائر المسلمين بأنّ تكذيب الأنبياء ليس جديداً بل وقع من قبل الأمم السابقة. أما قوم نوح عليه السلام فقد أغرقهم الله ﷻ بالطوفان، ﴿...فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ...﴾<sup>(١)</sup>.

قوم عاد وقد كذبوا نبيهم هوداً عليه السلام، وقد أهلكهم الله ﷻ بريح عاتية، ﴿...فَأَمْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> وهي الريح القوية التي لها صوت. قوم فرعون الذين أهلكوا في النيل، ﴿...وَأَغْرَقْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ...﴾<sup>(٣)</sup>.

قوم ثمود الذين كذبوا صالحاً عليه السلام فأهلكوا بصيحة من السماء، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْحَظِيرِ﴾<sup>(٤)</sup>، أي أهلكناهم بالصيحة فأصبحوا هشيماً كالهشيم الموجود في حظيرة الحيوان.

قوم لوط الذين أهلكوا بالزلزال والحجارة من السماء، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا...﴾<sup>(٥)</sup>.

أصحاب الأيكة الذين كذبوا شعيباً عليه السلام فأهلكوا بالصاعقة، ﴿فَأَنفَقْنَا مِنْهُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>.

## التعاليم

١ - استعراض تاريخ الأمم السابقة المليء بالعبر يُعدّ علامة بارزة لكون القرآن من الذكر، وهي الصفة التي وردت في الآية الأولى من هذه السورة وهي قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ﴾، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾.

٢ - يلجأ طاغوت كلِّ زمانٍ متى عجز عن مواجهة المنطق إلى الإيذاء والاعتداء، ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ﴾.

٣ - قوم عاد وفرعون ونوح وثمود ولوط هي جماعات لم يكن لها نظير، ﴿أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ﴾، (كلمة حزب تطلق على الجماعة المنسجمة والمتفقة، وكلمة

(٤) سورة القمر: الآية ٣١.

(٥) سورة القمر: الآية ٥٤.

(٦) سورة الحجر: الآية ٧٩.

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٤.

(٢) سورة الحاقة: الآية ٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٠.

«أولئك» التي تتضمن نوعاً من الانحصار تشير إلى أنهم كانوا قوماً لا نظير لهم).

٤ - تكذيب واحدٍ من الأنبياء هو بمثابة تكذيبٍ للأنبياء جميعاً، ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾.

٥ - الصيحة والصاعقة نوعان من العذاب الإلهي في هذه الدنيا، ﴿صَبَاحَةٌ وَجَدَةٌ﴾.

٦ - إذا جاء العذاب فلا مجال لعودة الكفار، ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾.

٧ - تكذيب الأنبياء هو سيرة الكفار الدائمة على مر التاريخ، ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾.

٨ - يلجأ الكفار إلى الاستهزاء بالعذاب الإلهي، ﴿عَجَلْنَا قَطَنًا﴾.

٩ - الغرور والعناد يجعلان الإنسان مكابراً في انتظار الخطر، ﴿عَجَلْنَا قَطَنًا﴾.

١٠ - القيامة هي يوم الحساب، ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّانَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ لِنِيطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

### إشارات

□ تعرّضت هذه السورة لتاريخ تسعة من الأنبياء، فذكرت ثلاثة منهم بالتفصيل وستة تعرّضت لهم بالإجمال. وأول هؤلاء هو داود عليه السلام الذي أثنت عليه الآيات بعشرة كمالات.

□ تعرّضت هذه الآيات لكمالات عشرة حازها داود عليه السلام:

أ - مثال في الصبر لنبي الإسلام، ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾.

ب - العبودية لله تعالى، ﴿عَبْدَنَا﴾.

- ج - اللجوء إلى الله ﷻ دائماً، ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.
- د - القدرة والقوة، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾.
- هـ - تسخير الجبال لتسبح معه، ﴿مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾.
- و - حشر الطير معه، ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾.
- ز - رجوعها إلى الله معه، ﴿كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾.
- ح - الملك والسلطة، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾.
- ط - الحكمة الإلهية، ﴿وَأَنبَتْنَا الْحِكْمَةَ﴾.
- ي - الحكم والفصل في النزاعات وعند الاختلاف، ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾.

□ تعرض القرآن الكريم وفي العديد من الآيات للطيور، من ذلك:

أ - قصة إبراهيم وإحياء الطير على يديه، ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾<sup>(١)</sup>، فالطير وسيلة لمعرفة التوحيد والمعاد.

ب - من معجزات عيسى عليه السلام أنه كان يصنع من الطين مجسماً كهيئة الطير فينفخ فيها فتصير طيراً بإذن الله، ﴿...وَإِذْ نَخَلُّ مِنْ أَلْيُنٍ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا...﴾<sup>(٢)</sup>.

ج - في هذه الآية حيث تسبح الطير مع داود، ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾.

د - هدهد سليمان الذي كان رسولاً أوصل كتاب سليمان إلى القوم، ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا فَلَقِيَ إِلَيْهِمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

هـ - للطير لغة والأنبياء يعرفون لغة الطير، ﴿...عَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ...﴾<sup>(٤)</sup>.

و - الطير الذي كان سبباً في هلاك أعداء الله، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ز - الطيور المسبحة والتي تقيم الصلاة، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾<sup>(٦)</sup>.

(٤) سورة النمل: الآية ١٦.

(٥) سورة الفيل: الآية ٣.

(٦) سورة النور: الآية ٤١.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٣) سورة النمل: الآية ٢٨.

□ المراد من الحكمة، المعارف المتقنة، اليقينيّة والتي لا تقبل الشك والترديد، خلافاً للعلم الذي يكون دائماً في معرض الخطأ والتشكيك.

### التعاليم

- ١ - ينبغي للقائد أن يتمتّع بسعة الصدر والصبر مقابل كلام السوء الذي يصدر من الآخرين، ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾.
- ٢ - تذكّر تاريخ الماضين يساعد على مواجهة المصاعب والمشاكل، ﴿وَأَصْبِرْ... وَادْكُرْ﴾.
- ٣ - الاستهزاء والحرب الإعلامية سيرة مستمرة يقوم بها الكافرون، ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾؛ (الفعل المضارع رمز الاستمرار).
- ٤ - الاستهزاء وإعلام العدو شديد ومسيء جداً (ولذا كان النبي ﷺ وهو الموصوف بسعة الصدر والحلم بحاجة إلى الصبر أيضاً)، ﴿أَصْبِرْ عَلَى...﴾.
- ٥ - الأنبياء بحاجة أيضاً إلى المواعظ الإلهية، ﴿أَصْبِرْ﴾.
- ٦ - لا ينبغي نسيان دور القدوة في التربية، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾.
- ٧ - مصدر القدرة على الصبر العبوديّة واللّجوء إلى الله ﷻ، ﴿عَبَدْنَا دَاوُدَ﴾.
- ٨ - السلطة التي كانت في يد فرعون كانت السبب في استبداده، ﴿وَفَرَعُونَ ذُو الْأَوْدَادِ﴾؛ ولكنها حيث تكون بيد عباد الله تترافق مع التضرع والعبودية لله، ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.
- ٩ - ينبغي الشاء على توبة وإنابة أصحاب السلطة، ﴿ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.
- ١٠ - التوبة والإنابة التي لها أهميتها، هي تلك التي لا تكون مختصرة وللحظة فقط، ﴿أَوَّابٌ﴾، فالنبي داود ﷺ كان كثير الإنابة والرجوع إلى الله ﷻ في كافة أمور حياته، وهذا الالتفات الدائم كان سببا في ما كان لديه من سلطة، ﴿ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.
- ١١ - يُمكن للإنسان وبسبب التكامل المعنوي أن يجعل الطبيعة تسير معه، ﴿سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾.

١٢ - العمل الثوري الذي قام به داود (الوارد في الآية ٢٥١ من سورة البقرة، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ ...). كان سبباً في هذه الألفاظ الإلهية، ﴿سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ... وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾.

١٣ - أفضل الأوقات لذكر الله ﷻ العشاء، وعند الصباح كذلك، ﴿بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.

١٤ - العبودية شرط لتلقي الألفاظ الإلهية، ﴿عِبَدْنَا... ذَا الْأَيْدِ... وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾.

١٥ - مهما أراد الكفار الإصرار وعدم الإقرار بسرّ تعظيم الله ﷻ، ولكن ينبغي عليهم أن يعلموا أنّ الوجود في حالة تسييح لله ﷻ، ﴿يُسَيِّحَنَّ﴾.

١٦ - للجبال نوع من الشعور، ﴿مَعَهُ يُسَيِّحَنَّ﴾. كما أنّ بإمكان الحيوانات معرفة الأوقات، ﴿مَعَهُ يُسَيِّحَنَّ بِالْعِشِيِّ﴾.

١٧ - محور تسييح الحيوانات والجمادات في عالم الوجود هو تسييح أولياء الله، ﴿مَعَهُ يُسَيِّحَنَّ... كُلُّ لَهٍّ أَوَّابٌ﴾.

١٨ - للطير نوع من الشعور بالله ﷻ وبالعالم الوجود، ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهٍّ أَوَّابٌ﴾.

١٩ - لا بدّ من أن تقوم الدولة على أساس الحكمة والعدل، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ لِنِطَابٍ﴾.

٢٠ - النبي داود عليه السلام هو من الأنبياء الذين رزقوا النبوة والمُلْكُ معاً، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ... وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾.

٢١ - لا ينفصل الدّين عن السياسة، وقد كان بعض الأنبياء حُكّاماً، ﴿ذَا الْأَيْدِ... وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ... وَفَصَّلَ لِنِطَابٍ﴾.

٢٢ - لا بدّ لنا من دعم وتقوية دولة أولياء الله. فجملة: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ ترمز إلى أنه ينبغي علينا أيضاً دعم وتأييد ملك أولياء الله ﷻ ودولتهم.

٢٣ - ينبغي امتلاك قادة المجتمع لبعض الصفات؛ كالارتباط الدائم بالله ﷻ، ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، والسلطة، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾، والحكمة، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾، والقدرة على الفصل بين المتخاصمين بقوة المنطق، ﴿وَفَصَّلَ لِنِطَابٍ﴾.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصِمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَرُ يَنْتَنَّا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾

### إشارات

□ (الخصم) بمعنى النزاع والاختلاف، ويطلق على كلا طرفي الدعوى أنه خصم. كلمة سور تعني الحائط المرتفع، وتسوَّراً بمعنى الصعود إلى أعلى الحائط. وكلمة محراب لها معنيان؛ فتارة ترد بمعنى أعلى المجلس وأفضل مكان في المجلس حيث يجلس كبار القوم، وأخرى بمعنى محل العبادة ومكان إمام الجماعة. والشطط هو التجاوز والزيادة والظلم.

□ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... فبعث الله ﷺ إليه الملكين فتسورا المحراب»<sup>(١)</sup>. ولعله يمكن أن نستفيد من هذه القصة أن صناعة الأفلام وتغيير الشكل أو الديكور وإيجاد نوع من الأجواء الحماسية، الصداقة أو العداوة الافتراضية، تغيير شكل اللباس والصوت وسائر الأعمال الفنية جائز إذا كان لأجل الاختبار أو التعليم، والله العالم.

□ لقد بيّن القرآن الكريم في الآيات السابقة الكثير من الكمالات للنبي داود عليه السلام وآخرها كان فصل الخطاب، أي القضاء الحاسم والجازم.

□ وأمّا في هذه الآيات فلإن الإشارة فيها إلى ما هيّأه الله ﷻ لنبيه داود عليه السلام ليختبره ويعلمه في ختام هذا الاختبار كيف يحكم بين الناس. وهذه الحادثة التي جرت طبقاً لبعض الروايات من قِبَل بعض الملائكة، حيث فاجأ رجلان النبي داود عليه السلام بحضورهما عنده بنحو ظنّ أنهما يريدان به سوءاً ولكنهما طلبا منه أن لا يخاف لأنهما خصمان اختلفا في أمر يريدان منه الفصل بينهما.

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٩٤، باب ١٤، حديث ١، نقلاً عن تفسير راهنما.

□ يدعم كون المتخاصمين هما ملكين ما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام حيث ظهرت الملائكة عليهما ففزعا، فطلبت منهما الملائكة عدم الخوف.

□ للعدالة محوريتها في القضاء، ولذا ورد التأكيد على العدل في هذه الآيات بعبارات ثلاث مختلفة: ﴿قَاتِلْهُمْ يَتَنَا بِالْحَقِّ﴾، و﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾، و﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ قبل الكلام من إيجاد الدافع لدى المخاطب لاستماع ما نريد قوله، ﴿وَهَلْ أَنتَكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ﴾.
- ٢ - يدعو الله ﷻ نبيه إلى قراءة تاريخ الماضين، ﴿وَهَلْ أَنتَكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ﴾.
- ٣ - الظروف المحيطة بممارسة القضاء من الخوف أو عنصر المفاجأة تكون سبباً للعجلة في إصدار الحكم، ﴿سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ... فَفَزِعَ﴾.
- ٤ - القضاء في المحراب عبادة، وهذا الأمر يزيد من قداسه وأهميته. (فدكة القضاء لدى الإمام علي عليه السلام كانت في مسجد الكوفة، ودكة القضاء لدى داود عليه السلام كانت في المحراب)، ﴿سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.
- ٥ - الخوف والفرع الطبيعي قد يقع من الموحدين أيضاً، ولا يتنافى ذلك مع التوحيد، ﴿فَفَزِعَ﴾.
- ٦ - الأنبياء وبحكم كونهم بشراً يفزعون من الأمور المفاجئة وغير المتوقعة، ﴿فَفَزِعَ﴾.
- ٧ - لا بدّ في القضاء من حضور طرفي الدعوة في المحكمة، ﴿خَصَمَانِ﴾.
- ٨ - الأنبياء هم المرجع والملجأ الذي يلوذ به الناس، ﴿دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ... خَصَمَانِ بَقَى...﴾.
- ٩ - تذكير القاضي عند القضاء وسيلة لحفظه ولصونه من الخطأ والاشتباه، ﴿قَاتِلْهُمْ يَتَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَأَهْدِنَا﴾.



١٠ - ينبغي أن يكون سعي طرفي الدعوى إلى معرفة الحق لا حفظ مصالحهما، ﴿فَلَا تَكُورُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾.

١١ - ينبغي على قادة المجتمع الإلهي وقضاة أن يكونوا من الذين يستمعون النصيحة والحق، ﴿فَلَا تَكُورُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ﴾.

١٢ - تطبيق العدل في المجتمع سبب في هداية الناس إلى الصراط المستقيم والابتعاد عن الإفراط والتفريط، ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ رِسْعٌ وَنَعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣﴾

### إشارات

□ جملة: ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾؛ أي اجعلها في كفالتي وهذا التعبير كناية عن العطاء والهدية، والمراد من قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي﴾ من العزة أي غلبي.

### التعاليم

١ - النزاع والاختلاف لا يؤدي إلى نفي الأخوة، ﴿حَصَّانِ يَتَنَفَّسُ مِنْ أَرْتَمِيٍّ... إِنَّ هَذَا أَخِي﴾.

٢ - الإنسان بطبعه حريص ويطلب المزيد، ولا يشبع من مال الدنيا، ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾. (وذلك خلافاً لنظرية بعض الفلاسفة الذين يرون أن إطلاق العنان في كسب الشهوات والغرائز هو وسيلة للاستقرار، فيرون أن الإنسان متى شبع استقر).

٣ - من كان قاصداً سلب حق الآخرين يوفر مقدمات عمله ذاك من خلال توفير المنطق الاستدلالي له أمام ما يريد، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾.

٤ - كم من مظلوم لم يتمكن من أن يبين حقه بكلام متين، فيكون أضعف من الظالم في ذلك. فلا بد للقاضي من أن يسعى لاكتشاف الحقيقة ولا يقع في فخ حلاوة لسان المتهم، ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِنْ يَعْلَمَهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۚ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَّهُ عِندَنَا لِرُفْقٍ وَحُسْنِ مَّثَابٍ ﴿٢٥﴾﴾

### إشارات

□ ورد التعرّض لقصة قضاء داود في التوراة الموجودة، ولكنها تختلف عما جاء في القرآن الكريم فهي تنسب له ما لا يليق بمقام الأنبياء من الكذب ونحوه. فقد ورد في الإصحاح الثاني عشر من كتاب صموئيل: فأرسل الرب ناثان إلى داود. فجاء إليه وقال له: كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير. وكان للغني غنم وبقر كثيرة جداً. وأمّا الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها وربّاهَا وكبرت معه ومع بنيهِ جميعاً، تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة. فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهياً للرجل الذي جاء إليه. فحُمي غضب داود على الرجل جداً، وقال لناثان حي هو الرب إنّه يقتل الرجل الفاعل ذلك. ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنّه فعل هذا الأمر ولأنّه لم يشفق. فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل. هكذا قال الربّ إله إسرائيل. أنا مسحك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول. وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيّدك في حضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشرّ في عينيه؟ قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك.

### التعاليم

١ - لا ينبغي العجلة في القضاء، كما لا ينبغي أن يكون القضاء بالاعتماد على كلام أحد الطرفين فقط. (فالنبي داود عليه السلام قضى على أساس سماع أحد طرفي الدعوى والخصومة فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾؛ لذا طلب العفو من الله ﷻ).

- ٢ - طلب الزيادة، ولو لم يحصل الإنسان على تلك الزيادة، ﴿ظَلَمَكَ إِسْؤَالُ نَجْبِكَ إِلَيْكَ نَجَابَةً﴾.
- ٣ - قد يكون الإنسان مالكا لأموال كثيرة، ولذا لم يوجه دواود لومه لمالك التسع وتسعين نعجة، بل وجه لومه على طلب الزيادة ظلماً، ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ...﴾.
- ٤ - لا بد من أن يعتمد في اختيار الشريك، الإيمان والعمل الصالح، وإلا كان الإنسان في معرض وقوع الظلم عليه والتعدي على حقوقه، ﴿كَبِيرًا مِّنَ الْفُلَاطَةِ يَبْنِي... إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٥ - الإيمان والعمل الصالح متى اجتماعاً أثمر، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٦ - الشركة باب للزلل وضياح حق الشريك، ﴿كَبِيرًا مِّنَ الْفُلَاطَةِ يَبْنِي﴾.
- ٧ - الاقتصاد السليم يتحقق في ظل الإيمان والعمل الصالح، ﴿يَبْنِي... إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٨ - قليل من الناس يراعي حق الآخرين، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.
- ٩ - كافة الناس حتى الأنبياء هم في معرض الاختبار والامتحان، ﴿أَنَّمَا فُتِنْتُمْ﴾.
- ١٠ - أفضل الموعظه هو الوصية بالإيمان والعمل الصالح ومراعاة حقوق الناس (فقد طلب من النبي داود عليه السلام: ﴿وَأَمْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْفَصْرِطِ﴾، وقال داود عليه السلام: ﴿كَبِيرًا مِّنَ الْفُلَاطَةِ يَبْنِي... إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾).
- ١١ - يلجأ الأنبياء وبسبب أبسط مخالفة يقعون بها إلى أفضل أنواع الإنابة والتوبة (ترك الأولى من داود كان بقضائه قبل استماعه لطرفي الدعوى)، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.
- ١٢ - التوبة إذا كانت على الفور كانت أهم، ﴿فَاسْتَغْفَرَ﴾؛ (حرف الفاء).
- ١٣ - الربوبية الإلهية هي سبب طلب العفو، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾.
- ١٤ - لحقوق الناس أهمية بالغة بنحو لو وقع الاستعجال في إصدار الحكم حتى من النبي فإن ذلك لا بد من أن يقترن بالاستغفار، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾.
- ١٥ - كان الركوع جزءاً من الصلاة حتى قبل الإسلام، ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾.

١٦ - ينبغي أن تكون التوبة في الظاهر وفي الباطن ومن الأعماق أيضاً، ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابٌ﴾.

١٨ - التوبة مضافاً إلى جبرانها ما مضى هي ضمانه للمستقبل كذلك، ﴿فَقَفَرْنَا لَهُ دَلِيلٌ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ﴾.

١٩ - المقام المعنوي له أهميته إذا أدى إلى حسن العاقبة وضمان المستقبل، ﴿لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ﴾.

٢٠ - قد تجتمع الدنيا والآخرة لبعض الناس، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ... سَخَرْنَا لِيَسْبَالَ مَعْدُومٍ... عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ﴾.

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٣١)

### التعاليم

١ - أوكل الله ﷻ تدبير أمور عباده إلى أنبيائه، ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾.

٢ - تدبير أمور الناس حق من حقوق الله، يجعله لمن يشاء، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾.

٣ - لا انفصال للدين عن السياسة، ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾.

٤ - تولي السلطة وأمور الناس نعمة كبرى وشكرها يكون بتطبيق العدالة بين الناس، ﴿جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً... فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.

٥ - الحق هو محور القضاء بين الناس، ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.

٦ - ينبغي على قادة المجتمع وقضاة أن يكونوا بعيدين عن اتباع هوى النفس، ﴿خَلِيفَةً... فَاحْكُم... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾.

٧ - لا بد في الإدارة من المحافظة على القوى الفاعلة (فالله ﷻ لم يُخرج أحداً من أوليائه عن مقامه بمجرد تركه لِمَا كَانَ أُولَى)، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ... فَقَفَرْنَا... يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾.

- ٨ - القضاء شأن من شؤون الحكم، ولا بدّ من أن يكون من الله ﷻ، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ... إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً... فَأَخُكُمْ﴾.
- ٩ - للدولة الدينية تاريخها الطويل، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ... جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً... فَأَخُكُمْ﴾.
- ١٠ - سلوك خليفة الله ﷻ لا بدّ من أن يكون مطابقاً للفعل الإلهي، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ...﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فَأَخُكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾.
- ١١ - كلُّ ما يقف بوجه الحق هوى وهوس، ﴿فَأَخُكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾.
- ١٢ - الخطر في القضاء يتمثل في الابتعاد عن الحقّ واتّباع هوى النفس، ﴿فَأَخُكُمْ... بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾.
- ١٣ - كافّة الناس حتّى الأنبياء هم في معرض الوقوع في فخّ الهوى وما يصونهم من ذلك هو التحذير الإلهي، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾.
- ١٤ - لا تصحّ عبادة الهوى، سواء أكان ميلاً فردياً وشخصياً أو كان ميلاً جماعياً وحزبياً، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾.
- ١٥ - عبادة الهوى انحراف وضلال، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ﴾.
- ١٦ - الخطر يأتي بشكل تدريجيّ (الخطوة الأولى عبادة الهوى، الخطوة الثانية الانحراف عن طريق الله، الخطوة الثالثة نسيان يوم الحساب والقيامة ونتيجة ذلك كله العذاب الشديد)، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ... لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.
- ١٧ - لا يكفي الإيمان بالمعاد؛ بل لا بدّ للإنسان من أن يكون ذاكرّاً للمعاد (يذكر القرآن في معرض حديثه عن بعض الناس أنهم ممّن، ﴿...لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup>، ولكن نقرأ في هذه الآية أن بعض الناس، ﴿نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾).
- ١٨ - عبادة الهوى ونسيان يوم الحساب هما الخطر الذي يهدّد أولياء الأمر في المجتمع وحكّامه، ﴿جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى... نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) أَمْ  
تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨)

### التعاليم

- ١ - الخلق في الرؤية الكونية الإلهية فعل هادف، ﴿وَمَا خَلَقْنَا... بَطْلًا﴾، وفي الرؤية الكونية غير الإلهية الخلق فعل غير هادف، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٢ - حيث كان نظام الكون مبنياً على أساس الحقّ فالحكم لا بدّ أن يكون على أساس الحقّ ليتكامل نظام القانون مع نظام الخلق، ﴿فَأَحْكُمُ... بِالْحَقِّ... وَمَا خَلَقْنَا... بَطْلًا﴾.
- ٣ - لم تخلق في عالم الوجود أيّ ذرة عبثاً، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾.
- ٤ - لا دليل لدى الكفار على ما يعتقدون به، بل يعتمدون في ذلك على الظنّ، ﴿ظَنُّ الَّذِينَ...﴾.
- ٥ - حيث كان الخلق لغاية ولهدف فلن ينتهي وسوف يستمر إلى يوم القيامة حيث ينال المؤمن والكافر ما يستحقانه من ثواب أو عقاب، ﴿وَمَا خَلَقْنَا... بَطْلًا... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.
- ٦ - الدليل على المعاد هو الحكمة والعدالة الإلهية. الحكمة: لم يُخلق شيء عبثاً وبلا غاية. والعدالة: أفنجل المتقين كالفجار؟ ﴿وَمَا خَلَقْنَا... بَطْلًا... أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.
- ٧ - التقوى لا تعني العزلة والابتعاد عن الناس، بل تعني التواجد في الساحات والعمل، على أن يكون عملاً صالحاً، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... الْمُتَّقِينَ﴾.
- ٨ - الفساد لا ينحصر بالقتل والجناية، بل الذنب نوع من الفساد، ﴿كَالْمُفْسِدِينَ... كَالْفُجَّارِ﴾.
- ٩ - إنّ من ينظر إلى المحسنين والمفسدين بعين واحدة، فكأنّه ينظر إلى عالم الوجود على أنّه باطل، ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا... كَالْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ يَدْخُلُونَ إِيَّتَهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

### إشارات

□ تطلق كلمة (مبارك) على الشيء الذي يكون الخير فيه والفائدة منه أمراً ثابتاً وفي حالة ازدياد. والقرآن مصدره مبارك، ﴿بَارَكَ الَّذِي﴾، وقد نزل في ليلة مباركة، ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، وفي مكان مبارك، ﴿بَيْتَكَ مُبَارَكًا﴾، وهو بنفسه مبارك، ﴿كَتَبَ... مُبَارَكٌ﴾.

□ ذكرت الآية الكريمة خصائص القرآن الكريم بالنحو التالي:

- أ - إِنَّ نَصَّهُ مكتوب، ﴿كَتَبَ﴾.
- ب - إِنَّ مصدره الوحي والعلم الإلهي غير المتناهي، ﴿أَنْزَلَهُ﴾.
- ج - إِنَّ المتلقي له هو الإنسان المعصوم، ﴿أَنْزَلَهُ﴾.
- د - إِنَّ محتواه مليء بالخير والبركة، ﴿مُبَارَكٌ﴾.
- هـ - إِنَّ الهدف من نزوله هو التدبر به، ﴿يَدْخُلُونَ﴾.
- و - إِنَّ العلم والاطلاع على ما فيه من معارف ومضامين يشكل مقدمة للحركة المعنوية والقرب من الله، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾.
- ز - من يكتب له التوفيق في هذا هم العقلاء، ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

### أهمية القرآن والتدبر فيه

- من لا يتدبر في آيات القرآن مستحق للوم الإلهي، ﴿وَأَنفَالًا يَدْخُلُونَ الْقُرْءَانَ أَنَّهُ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(١)</sup>.
- العالم الرباني هو من كان شغله تعليم القرآن وتدرسه، ﴿...كُونُوا رَئِيسَيْنِ يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

- لا بدّ من التعامل بحرص واهتمام جديّ مع الكتاب السماويّ، ﴿خُذِ الْكِتَابَ يَقْوَاهُ﴾
- من يجعل القرآن مهجوراً سوف يشكوه النبيّ الأكرم ﷺ إلى الله ﷻ في يوم القيامة، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(١)</sup>.
- ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال: «لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي»<sup>(٢)</sup>.
- ورد عند الإمام علي عليه السلام وصفه القرآن بقوله: «بحر لا يدرك قعره»<sup>(٣)</sup>.
- يتحدّث الإمام الخميني قدس سره عن أسفه؛ لأنّه لم يصرف عمره بتمامه في التدبّر بكتاب الله ﷻ<sup>(٤)</sup>، كما يأسف لذلك الملام صدرًا في تفسيره لسورة الواقعة.

### التعاليم

- ١ - القرآن مبارك، (فالتلاوة، والتدبّر، والتاريخ، والاستدلال، والقصة، والقدوة، والمعارف، والأخبار الغيبية، والتشبيهات، والأوامر والنواهي كلّها مليئة بالرموز والأسرار)، ﴿كُنْزٌ... مُبْرَكٌ﴾.
- ٢ - القرآن وإن كان مباركاً؛ ولكنّه للتدبّر وليس للتبرّك بظاهره فقط (كالأمن من الخطر ولأجل حفظ البيت، في السفر وغيره)، ﴿كُنْزٌ... مُبْرَكٌ لِيَذَّبُوا﴾.
- ٣ - التدبّر في القرآن هو مقدّمة للتذكّر، وإلا فلا ينبغي أن يؤدّي الاطلاع على أسرار القرآن ولطائفه بالإنسان إلى الغرور، ﴿لِيَذَّبُوا... وَلِيَذْكُرُوا﴾.
- ٤ - لا بدّ من تدبّر آيات القرآن كافّة لا آيات الأحكام خاصّة، ﴿لِيَذَّبُوا... لِيَذْكُرُوا﴾.
- ٥ - العقل شرط للتدبّر والاستفادة والالتزام بآيات القرآن، ﴿لِيَذَّبُوا... وَلِيَذْكُرُوا أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾.

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٢.

(٤) صحيفة نور، ج ٢٠، ص ٢٠.



- ٦ - من لا يكون القرآن سبباً لتذكره لا عقل له، ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.
- ٧ - القرآن مطابق للعقل، ولذا كان بإمكان أصحاب العقول ومن خلال التدبر بآياته الوصول إلى أحكامه ورموزه، ﴿وَلْيَتَذَكَّرْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. (ليس في القرآن أي أمر يخالف العقل).
- ٨ - لا نهاية لمعارف القرآن. فالأمر بالتدبر للناس كافة يدلُّ على أنَّ كلَّ من تدبر به وصل إلى جديد فيه، ولو أنَّ العلماء والمفسرين الماضين قد اكتشفوا كافة أسرار القرآن لكان توجيه الأمر إلينا بالتدبر لغوًّا، ﴿لِيَذَبَّوْا عَنِتَّهُ﴾.
- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِينَتِ الْخِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَنُفِثَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾

### إشارات

- الصافنات جمع صافنة وهي كلمة تطلق على الفرس عندما تقوم برفع أحد أقدامها عن الأرض شيئاً ما عند وقوفها وتضع الحافر على الأرض، وهذا يدل على نجابة الخيل. والجياذ جمع جواد وهو الخيل السريع أو جمع جيد بمعنى الثمين والغالي.
- كلمة خير تستعمل في أموال الدنيا والمراد منه هنا الخيل، وتركيب «حب الخير» هو بمعنى محبة الشيء الذي يكون خيراً للإنسان. كما قال تعالى في مورد آخر: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (١).

### توضيح وبحث

ثمَّ تفسيران مختلفان تماماً في مورد هذه الآيات، والتفسير المطابق لما ذكرناه هو التالي:

كان النبي سليمان ﷺ يستعرض الجياد عند العصر لتجهيزها للجهاد، كما هو الحال في استعراضه لجنوده الوارد في الآية ١٧ من سورة النمل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ آلَيْنَ وَالْأَيْسَ﴾؛ فارتباط سليمان بالخيال كان لأغراض جهادية وفي سبيل الله، ولذا قال: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾، واستمرَّ سليمان في استعراضه للخيال حتى توارت عن ناظره، فأمر بإعادة عرضها عليه، وفي الاستعراض الثاني قام سليمان بالمسح على أعناقها وسيقانها إكراماً لها.

وهذا التفسير ينسجم مع ظاهر الآية وقد نقله الفخر الرازي والسيد المرتضى، كما أنه هو المستفاد من كلام العلامة المجلسي في بحار الأنوار (ج ١٤، ص ١٠٤). وطبقاً لهذا التفسير يكون المراد من جملة: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ابتعاد الخيل عن محلّ العرض وعن ناظري سليمان ﷺ، ويكون المراد من: ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ طلب تكرار عرضها عليه.

ولكن في بعض التفاسير نقراً التالي: إِنَّ النبي سليمان ﷺ شغله استعراض الخيل عن صلاة العصر حَتَّى غابت الشمس. وقد أزعجه ذلك وأمر بإعادة الشمس وانشغل بالوضوء بمسح يديه ورأسه وعنقه.

وهذا التفسير يواجه الملاحظات التالية:

١ - لم تتعرض الآيات إطلاقاً لذكر الشمس حَتَّى يكون المراد من قوله: ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ هو الغروب، ولكي يكون المراد من: ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ هو ردّ الشمس.

٢ - إِنَّ النبي الذي وصفه الله ﷻ في الآيات السابقة مثنياً عليه بأنه ﴿يَقَمُ الْعَبْدُ﴾ و﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ كيف يمكن أن يصفه في الآية التالية بأنه نسي الصلاة؟!.

٣ - كيف يمكن توجيه طلب ردّ الشمس بلغة الأمر، ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾؟ فإذا كانت الصلاة التي تركت واجبة فإنّ ذلك يتنافى وشأن النبي ﷺ وإذا كانت الصلاة المفترضة أنها تركت مستحبة فأی معنى لردّ الشمس لأجل الإتيان بالنافلة؟

وقد ورد هذا التفسير في بعض الروايات، ولكن الروايات التي وردت بهذا التفسير ليست صحيحة السند، وتتنافى مع قواعد العقل ومنها أن الأنبياء لا بد أن يكونوا معصومين، ولذا كان من الأفضل إرجاع أمر هذه الروايات إلى أهلها<sup>(١)</sup>.

## التعاليم

- ١ - الولد هبة من الله لهذا الإنسان، ﴿وَمَبْنًى﴾.
- ٢ - العبودية لله ﷻ هي محور ثناء الله ﷻ على الإنسان، ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.
- ٣ - ليس للظروف مرة كانت أو حلوة من أثر في أولياء الله ﷻ. (جملة ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ﴾ أطلقت على داود وسليمان عليهما السلام وكانا يملكان كافة الإمكانيات، وكذلك لآيوب عليه السلام الذي لاقى الشدائد والابتلاءات والمصائب).
- ٤ - اللجوء إلى الله ﷻ والعودة إليه لا بد أن يكون على الدوام، ﴿أَوَّابٌ﴾.
- ٥ - استعراض القدرات والقوى المقاتلة أمر حسن، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ...﴾.
- ٦ - لا بد للقائد من أن يستعرض القوى المقاتلة بنفسه وأن يحيط بكميتها وكيفيةها وقدراتها، وهذا شرط في القيادة، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ﴾.
- ٧ - قيام أعلى سلطة باستعراض الحيوانات يدل على حسن الإدارة والتواضع، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِثِي الْعَفِيفَتُ﴾.
- ٨ - مراسم الاستعراض أمر ضروري للقوى المقاتلة، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ...﴾، كما قال تعالى في آية أخرى في شأن سليمان عليه السلام: ﴿جُؤَدُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٩ - لا مانع من حب المال وغيره من الإمكانيات المادية إذا كانت لهدف وبنحو متوازن ومعتدل، ﴿أَحَبُّتُ حُبَّ الْغَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾، فهنا سليمان عليه السلام يتحدث

عن كون محبته للخيل هي من محبته لله ﷻ (لأن جيش التوحيد كلما كان أكثر قدرة كان سبباً للمزيد من العزة).

١٠ - الخيل المقاتلة كانت محل اهتمام أنبياء الله ﷻ، ﴿أَحْيَيْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾، كما أن القرآن الكريم وفي آية أخرى أقسم بالخيل، ﴿وَالْعَلَدِيَّتِ صَبَحًا﴾.  
١١ - قد يلزم تكرار الاستعراض، ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾.

١٢ - الحيوانات تشعر بالمسح عليها من قبل الإنسان، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾.

١٣ - الرحمة بالحيوانات واللطف بها من عمل الأنبياء ﷺ، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

١٤ - لا بد من أن يترافق الاستعراض مع التلطف، ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ... فَطَفِقَ مَسْحًا﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَدِيلًا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥﴾﴾

### إشارات

□ تتحدث هذه الآيات عن الامتحان الإلهي الذي تعرض له النبي سليمان عليه السلام، واختلفت الآراء في تحديد هذا الامتحان:

أ - كان لسليمان عليه السلام أكثر من زوجة وكان يأمل أن يرزق بأولاد أكثر ليتولوا من بعده إدارة الحكم والسلطة؛ ولكنه غفل عن ذكر الله فلم يقل: «إن شاء الله»؛ ولذا لم يرزق بأي ولد على الإطلاق إلا ولداً غير سوي الخلقة فكان كالجسد بلا روح ملقى على الفراش.

ب - ابتلى الله ﷻ سليمان عليه السلام بمرض صار فيها جسداً بلا روح ملقى على الفراش، ثم كتب الله ﷻ له الشفاء، فعاد كما كان (وذلك بملاحظة أن أناب هي بمعنى رجع).

ج - إن الله ﷻ ألقى جسد ولده ميتاً على تحته وكان سليمان عليه السلام شديد التعلق به.

## التعاليم

- ١ - كافة الناس حتى الأنبياء معرضون للامتحان الإلهي، ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾.
- ٢ - الامتحان والابتلاء وسيلة لصقل الروح وياث للقرب من الله ﷻ، ﴿فَتَنَّا... ثُمَّ أَنَابَ﴾.
- ٣ - حصريّة السلطة بيد المعصومين وأولياء الله لا تكون سبباً للانحراف والاستبداد، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ﴾.
- ٤ - لا بدّ أولاً من تطهير النفس من خلال التوبة والإنابة، ليغسل وعاء الروح بذلك ثم بعد ذلك يأتي طلب السلطة والملك من الله ﷻ، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي﴾.
- ٥ - الاستغفار إذا سبق الدعاء كان سبباً لاستجابة الدعاء، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.
- ٦ - بعض الأنبياء يسعون وراء الحكم والملك، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.
- ٧ - لا يصل الأنبياء إلى الحكم بالظلم والجور، بل من باب اللطف الإلهي، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.
- ٨ - الانزواء والعزلة ليست سبباً لازماً لنيل المعنويات وللإنابة والتضرّع، ﴿ثُمَّ أَنَابَ... وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.
- ٩ - عدم التدخل في السياسة ليس من موجبات القداسة، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.
- ١٠ - لا ينحصر الطلب من الله ﷻ برفع البلاء والشفاء من المرض، بل مضافاً إلى ذلك يُطلب من الله ﷻ إصلاح ما مضى وجبرانه، كما يُطلب منه أن يهبنا الحكم ويكتب النجاة للأمة، ﴿ثُمَّ أَنَابَ... وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾.
- ١١ - الهمة العليا التي كان يمتلكها سليمان كانت سبباً لطلبه من الله ﷻ ملكاً خاصاً، ﴿مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ﴾.
- ١٢ - لا بدّ في الدعاء والمناجاة من التوسّل بالأسماء والصفات الإلهية المناسبة للدعاء، ﴿وَهَبْ لِي... أَنْتَ أَوْهَابٌ﴾.
- ١٣ - العطاء الواسع والمستمر والمتتابع يكون من الله ﷻ فقط، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ﴾.

﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرَى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ ﴿٣٨﴾ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٩﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَانْتَنُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴿٤١﴾

## إشارات

□ كلمة رُخَاء بمعنى السهل. فهذه الريح كانت ترفع سرير سليمان وتذهب به بهدوء إلى حيث يريد.

□ المراد من الشياطين إمَّا شياطين الجنِّ الذين سُحِّروا لسليمان مع أنَّ طبيعتهم كانت التمرّد والعصيان، أو المراد الشياطين الأعمّ من العصاة من الإنس والتمرّدين من الجنِّ؛ لأنَّ كلمة شيطان بمفهومها الواسع هذا وردت في القرآن الكريم، ﴿...شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ...﴾<sup>(١)</sup>.

□ خضعت وبإعجاز من الله ﷻ لسليمان كافة قوى الطبيعة، الإنس والجن. فمجموعةٌ منهم كانت تعمل في البرّ وهي التي ورد التعبير عنها في الآيات بـ ﴿بَنَّاؤُ﴾، وفريق آخر يعمل في البحر وهي التي ورد التعبير عنها في الآيات بـ ﴿وَعَوَّاصٍ﴾.

□ المراد من قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، العطاء بغير حساب من الله ﷻ للأنبياء الذين لا يُحاسبون عنه ولا يؤاخذون عليه.

□ في كلام الله ﷻ في هذه الآيات بيانٌ للألطف الإلهية التي وهبها الله ﷻ للنبي سليمان عليه السلام من ذلك: تسخير الريح والجنِّ والأغلال التي جعلها على العصاة من الجنِّ والاختيار الذي فوضه الله ﷻ إليه ومقام القرب الإلهي والمستقبل المشرق.

وهذه النعم شيء من الملك الذي طلب من الله ﷻ أن يهبه له. نعم، لا بدّ في السلطة النموذجية من أن تتمكّن من حبس القوى المفسدة للمجتمع، ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، كما لا بدّ لهذه السلطة من أن توجد حلًّا لمسألة النقل، ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ

الرَّيْحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ، كما لا بد لهذه السلطة من أن تستفيد من المتخصصين في مجال تخصصهم، ﴿بَنَاءٌ وَعَوَاصِرُ﴾، وأن تمتلك القدرة على اتخاذ القرار، ﴿فَأَنْتَ أَوْ أَمْرُكَ﴾، وأن تكون يدها مفتوحة بالعطاء، ﴿بِفَيْزٍ حَسَابٍ﴾، مع وجود ضمانته للمستقبل المعنوي، ﴿عِنْدَنَا لُزْلَفَى وَحُسْنُ مَنَاقِبٍ﴾.

□ الحكم مزلة للأقدام وبيئة موجبة للانحراف وسوء العاقبة، ولذا كان دعاء يوسف في البئر وفي السجن بقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾؛ ولكنه عندما وصل إلى الحكم والسلطة طلب من الله ﷻ حسن العاقبة وأن يتوفاه مسلماً، ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(١)</sup>، كما أن عاقبة النبي سليمان ﷺ كانت حسنة ولذا قال تعالى: ﴿وَحُسْنُ مَنَاقِبٍ﴾.

### التعاليم

- ١ - الله ﷻ يستجيب دعاء الصالحين، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا... فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾.
- ٢ - إجابة دعاء سليمان تدل على صفاء نية سليمان في طلبه لملك لا ينبغي لأحد من بعده، ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا... فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾.
- ٣ - الطبيعة قد تكون عاملاً مثمراً ومفيداً وقد تكون وسيلة إضرار، وذلك تابع للإرادة الإلهية، ﴿يَرْبِجُ صَرْصِرَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾.
- ٤ - للأنبياء ولاية تكوينية، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ... حَيْثُ أَصَابَ﴾.
- ٥ - لا تزال الصناعة متخلّفة جداً إذا قورنت بما كان في دولة النبي سليمان ﷺ، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ، وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرُ﴾.
- ٦ - قد يعمل الجن لما هو لصالح الإنسان، ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرُ﴾.
- ٧ - من الممكن الاستفادة من القوى المتمردة باعتماد الإدارة الصحيحة، ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرُ﴾.

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٢) السورة نفسها: الآية نفسها.

- ٨ - للجنّ عقل وشعور وتخصّص في عملٍ معيّن، ﴿كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾.
- ٩ - للإنسان مضافاً إلى قدرته على التسلّط على سائر الناس وعلى الطبيعة القدرة على التسلّط على الجنّ والشياطين أيضاً، ﴿بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾.
- ١٠ - البحار مصدر من مصادر الثروة والطاقة، ﴿وَالشَّيْطَانِ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾.
- ١١ - لا بدّ في العمل الإداري إذا أريد القيام بمشاريع مهمّة من تعبئة كافّة القوى في سبيل ذلك، ﴿كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾.
- ١٢ - لا مانع من استثمار تخصّص الأجانب وغير المؤمنين، ﴿وَالشَّيْطَانِ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾.
- ١٣ - السجن ضرورة حتّى في الدولة الإلهيّة. فالمستفاد من كون بعض الجنّ بناءً وبعضهم غواصاً، وكون بعضهم مقرّنين في الأصفاد أنّ المجموعة الأخيرة لو كانت حرّة ومطلقة العنان لأخلّت بنظام حكومة النبيّ سليمان ﷺ، ﴿مُقَرَّنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾.
- ١٤ - الإمكانيات والصلاحيات في الدولة الإلهيّة مفوّضة من الله ﷻ للحاكم ورأس السلطة، ﴿سَحَرْنَا... هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْكُ﴾.
- ١٥ - إذا دار الأمر بين العطاء أو الإمساك فالعطاء متقدّم، ﴿فَامْنُنْ﴾ وردت قبل ﴿أَمْكُ﴾.
- ١٦ - في الحكومة الإلهيّة تجد الأمن، الصناعة، الإدارة، والإمكانيات الطبيعيّة مقارنةً للمقام المعنويّ، ﴿سَحَرْنَا... بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ... وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾.
- ١٧ - لا تتنافى الرفاهيّة الماديّة، ﴿بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ مع مقام القرب الإلهي، ﴿ثُمَّ أَنَابَ... قَالَ رَبِّ اغْفِرْ... وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾.
- ١٨ - تبدأ أكثر الدول بداية حركتها بإضاءة اللون الأخضر وتمتّع بالرضا النسبيّ من الناس، ولكنها تبدأ تدريجيّاً بفقد ما لديها من قدرة ورضا، ولكن دولة النبيّ سليمان ﷺ كانت عاقبتها حسنة، ﴿وَحُصِّنَ مَقَابِ﴾.



﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ عَلَيَّ وَعَذَابَ ۖ ﴿٤١﴾ أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۖ ﴿٤٢﴾﴾

### إشارات

□ (النُّصَب) بمعنى محل التعب والعذاب، (الركض) بمعنى دك الأرض بالقدم، والمغتسل هو الماء أو المحل الذي يُغتسل فيه.

□ ورد في الروايات: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن بليّة أيوب عليه السلام التي ابتلي بها في الدنيا لأيّ علة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا وأدى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس عن دون العرش، فلما صعد ورأى شكر نعمة أيوب حسده إبليس، فقال: يا ربّ إنّ أيوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرّمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً، فسألني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبداً، فقلّ له: قد سلّطتك على ماله وولده، قال: فأنحدر إبليس فلم يُبقي له مالاً ولا ولداً إلّا أعطبه، فازداد أيوب لله شكراً وحمداً،... فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء، فعاد أحسن ما كان وأطراً، وأنبت الله عليه روضة خضراء، وردّ عليه أهله وماله وولده وزرعه<sup>(١)</sup>.

□ أمر الله ﷻ أيوب وفي سبيل أن يستعيد عافيته أن يضرب الأرض بقدمه فانفجرت عين من الماء بقدرة من الله ﷻ، وبعد أن غسل بدنه بذلك الماء ذهب المرض من جسمه.

□ إنّ لتحمل المصاعب والابتلاءات من قبل الأنبياء ثماراً وبركات، منها:

أ - أن لا يقع الناس في الغلو في شأنهم.

ب - تلقّيه للمقامات الخاصّة كثمرّة لصبرهم.

ج - إذا كانت الابتلاءات تلحق بالكبار والعظماء فإنّ هذا يمنع من الاستهانة بالضعفاء والفقراء والمبتلين بالأمراض.

(١) تفسير نمونه؛ بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٣٤٣.

د - إِنَّ النَّاسَ تَعَلَّمْ مِنْهُمْ كَيْفِيَّةَ مُوَاجَهَةِ الْبَلَاءِ.

□ ورد في عدد من الروايات أَنَّ بعض الناس ظَنَّ أَنَّ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ارتكب ذنباً ولذا وقع في هذا البلاء، ولذا شتموا به؛ مع أَنَّ ابتلاء أولياء الله يكون سبباً للرفقي واكتساب الفضائل<sup>(١)</sup>.

□ تعرّضت السورة لقصة نبيّين عاشا حياةً مختلفة: أحدهما، النبيّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان يملك السلطة والإمكانات وكان له الملك الذي لا ينبغي لأحد. والآخر النبيّ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والذي عاش المشاق والصّعاب والابتلاءات لمدة طويلة من الزمن.

□ ولكن القرآن يُثني على كلا النبيين بقوله: ﴿وَقَمَّ الْعَبْدُ﴾؛ لأنّ النعمة والبلاء لم تؤدّ بأيّ منهما إلى الخروج عن العبوديّة لله ﷻ.

□ فالصيّاد والغوّاص الماهر هو الذي يتمكّن من أن يقوم بعمله على أفضل وجه سواء كان ذلك في بحرٍ مالِحٍ أو عذب، وملوحة الماء أو عذوبته لا أثر لها على عمل الصياد الماهر.

## التعاليم

١ - لا ينبغي أن يطوي النسيان سيرة الرجال العظماء. فتاريخ الأنبياء حتّى نبي الإسلام هو تاريخ بناء؛ لأنّ التعرّف على ما وقع به الآخرون من مصاعب موجبٌ لقوّة الصبر والعزم على التحمّل، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ﴾.

٢ - أَيُوبُ من العباد الحقيقيّين لله ﷻ، ﴿عَبْدًا﴾.

٣ - لا مانع من الشكوى إلى الله ﷻ من المصائب والابتلاءات، ﴿نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ﴾.

٤ - لا سلطة للشيطان على روح ولا على عقيدة أولياء الله ولكنّه قد يكون له دور في إلحاق الأذى الجسديّ بهم، ﴿مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ يَتَّبِعُ﴾.

٥ - الصِّعَاب والابتلاءات تُعتبر ساحةً مناسبةً للشيطان ليقوم بفعل الوسوسة، ﴿يُنْصَبْ﴾ (بناء على أن يكون المراد أن الشيطان وصل إليّ بسبب ما لحق بي من البلاء).

٦ - الدِّعَاء مظهر من مظاهر العبوديّة، ﴿عَبَدْنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾.

٧ - لا بدّ من اللّجوء إلى الدِّعَاء لأجل رفع المصائب والابتلاءات، ﴿نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾.

٨ - دعاء الأنبياء مستجاب، وبعد الضيق يأتي الفرج، ﴿أَرْكَضَ بِرَحْلِكَ﴾.

٩ - المصائب والابتلاءات ليست دائماً بسبب البُعد عن الله ﷻ (قد يتعرّض أولياء الله ﷻ لأصعب الابتلاءات ويتحمّلون ذلك، فقد تحمّل أيوب ذلك مع أنّه كان بإمكانه أن يكتفي بضرب قدمه بالأرض لينبع الماء البارد)، ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾.

١٠ - للاغتسال بالماء البارد تأثيره على السلامة الصحيّة، ﴿مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، (لا بدّ من أن يكون ماء الاغتسال نظيفاً وصالحاً للشرب).

١١ - الطّبيعة مسخرة لله ﷻ، والله ﷻ يسخرها لأوليائه، ﴿أَرْكَضَ بِرَحْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣) وَخُذْ بِيدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

### إشارات

□ (الضغث) هو ملء الكف من الأعواد الرقيقة. و(الحنث) هو نقض العهد واليمين.

□ ورد في الرواية أنّ زوجة أيوب كانت مضحية ولم تترك نبيّ الله طيلة أيام مرضه، ولكنّ الشيطان ظهر بصورته الطّبيعية لزوجة أيوب، وقال لها: إنّي

أعالج زوجك بشرط أن تقولي حينما يتعافى: إني الوحيد الذي كنت السبب في معافاته، ولا أريد أيّ أجرّة على معالجته... الزوجة التي كانت متألمة ومتأثرة بشدّة لاستمرار مرض زوجها وافقت على الاقتراح، وعرضته على زوجها أيوب في ما بعد، فتأثر أيوب كثيراً لوقوع زوجته في شرك الشيطان، وحلف أن يعاقبها.

### التعاليم

- ١ - لا ينبغي لأحد أن ييأس من رحمة الله في الشدائد وعند الابتلاء، ﴿وَوَيْبِنَا لَهُ أَهْلَهُ... رَحْمَةً مِّنَّا﴾.
- ٢ - كثرة العيال من النعم الإلهية، ﴿وَيَسْلُهُمْ مَعَهُمْ﴾.
- ٣ - الفرج والنعم من لطف الله، وليست من باب الاستحقاق أو الامتياز، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾.
- ٤ - العقلاء فقط هم الذين يعتبرون ممّا يتعرّضون له من مصاعب أو مصائب، ﴿وَذِكْرِي لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾.
- ٥ - طريق تخفيف العقوبة نلقاه من الله ﷻ، ﴿وَحُذِّ بِيْكَ ضِفْنًا﴾.
- ٦ - حسن السلوك السابق، التضحية، والانتساب إلى بيت النبوة لا تشكّل موانع من العمل بالقانون، ﴿فَأَضْرِبْ يَدَهُ وَلَا تَحْنَتْ﴾.
- ٧ - لا بدّ في الظروف الصعبة من السعي لحلّ المشاكل، ولكن مع الحفاظ على القانون وعدم مخالفته، ﴿فَأَضْرِبْ يَدَهُ وَلَا تَحْنَتْ﴾.
- ٨ - لا بدّ من حفظ حرمة العهد واليمين، ﴿وَلَا تَحْنَتْ﴾.
- ٩ - الصبر مرّ، ولكن عاقبته طيبة، ﴿وَوَيْبِنَا لَهُ... وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾.
- ١٠ - الإنابة والتضرّع إلى الله ﷻ هو منبع الصبر، ﴿صَابِرًا... إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ (٤٦) وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِيَنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْآخِيَارِ (٤٧) وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْآخِيَارِ (٤٨) ﴿

### إشارات

□ تعرّضت هذه الآيات بالاسم لستّة من الأنبياء (إبراهيم، إسحاق، يعقوب، إسماعيل، اليسع وذو الكفل)، وذكر لهؤلاء ست صفات هي: العبوديّة لله، القدرة، القوّة، البصيرة، الخلوّص، الاصفطاء والإحسان.

□ مصطفىين جمع مصطفى وهو بمعنى المختار. الأخيار جمع خير بمعنى أهل الخير والإحسان.

□ اليسع هو اسم نبيّ ورد التعرّض له بالاسم مرتين في القرآن الكريم.

ففي رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) «فإن اليسع صنع مثل ما صنع عيسى؛ مشى على الماء وأحى الموتى...»<sup>(١)</sup>.

□ ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام) في جوابه لعبد العظيم الحسيني: المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإن ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود (عليه السلام)، وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود، ولم يَغْضَبَ إلّا الله (عليه السلام)<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ من أن نبقى ذكر المطهرين والأنبياء والعظام حيّاً، ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾.
- ٢ - العبوديّة لله (عليه السلام) هي منبع كافّة الكمالات التي وهبها الله (عليه السلام) للأنبياء. فقد ذكر كلمة: ﴿عِبْدَنَا﴾ قبل ذكره لسائر الكمالات الأخرى.
- ٣ - لا بدّ للقائد من أن يمتلك القوّة والبصيرة، ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾.

- ٤ - من علامات اللطف الخاص من الله ﷻ بعباده أنه خصَّهم بتذكُّر القيامة على الدوام، ﴿أَخْلَصْتُمْ... ذِكْرَى الدَّارِ﴾.
- ٥ - من الصفات التي يختصُّ بها القادة الإلهيون تذكُّر الآخرة وتجنُّب طلب الدنيا، ﴿إِنَّا أَخْلَصْتُمْ بِحَالِمَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.
- ٦ - تذكُّر الآخرة يُعطي الإنسان البصيرة، ﴿أَوَّلَى الْآيَاتِي وَالْأَبْقَرِ... إِنَّا أَخْلَصْتُمْ...﴾.
- ٧ - أرقى ما يمكن أن يملكه الإنسان أن يكون من أصحاب الكرامة عند الله، ﴿عِنْدَنَا لَيْنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾.
- ٨ - من كان خالص العبودية لله والإحسان لله ﷻ فإنَّ الله يُحيي ذكره، ﴿وَأَذْكُرْ...﴾.

٩ - من طرق الدعوة إلى الخير، تعظيم أهل الخير واحترامهم، ﴿وَأَذْكُرْ...﴾.

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿١٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْهُنَّ لَهُمُ الْآيُتُ ﴿٢٠﴾ مُتَكِيْنَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٢١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْكَأْسِ ﴿٢٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُم مِّن نَّفَادٍ ﴿٢٤﴾﴾

### التعاليم:

- ١ - لا ينبغي أن يكون الهدف من الأخبار التاريخية التسلية، بل التذكير والتعليم، ﴿وَأَذْكُرْ... هَذَا ذِكْرٌ﴾.
- ٢ - الذكر له مصاديق عدة: فالقرآن ذكر، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾<sup>(١)</sup>؛ والصلاة ذكر، ﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرٍ﴾<sup>(٢)</sup>؛ وتاريخ العظماء ذكر كذلك، ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾.
- ٣ - التقوى من أسباب حسن العاقبة، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾؛ (كلمة مآب تعني الرجوع والعودة).

(٢) سورة طه: الآية: ١٤.

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

٤ - جذب الناس ودعوتهم إلى الحق لا يكفي فيه الكلام العام؛ (فلم يكتف الله بقوله: ﴿لَحْسَنَ مَتَابٍ﴾، بل تابع الحديث عن الجنّات).

٥ - معرفة الماضي والالتفات إلى المستقبل المشرق، من الأمور المساعدة على الهداية إلى الحق، ﴿وَأَذْكُرْ... لِلْمُتَّقِينَ لَحْسَنَ مَتَابٍ... جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

٦ - نعم الجنة من أصناف شتى. فالجنّات متعدّدة، ﴿جَنَّاتٍ﴾؛ وهي أبدية خالدة، ﴿عَدْنٍ﴾؛ مذلّة لساكنيها، ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾؛ والنعم فيها وافرة، ﴿يَنْكِهَتُهُ كَثِيرَةٌ﴾.

٧ - من الصفات المهمّة في المرأة الجيدة، عدم نظرها إلى غير زوجها، ﴿...فَصَبَرْتُ الْطَّرْفَ﴾.

٨ - نعم الجنة على كثرتها خاضعة للحساب، ﴿يَتَوَرَّعُ الْحَسْبُ﴾؛ لكنّ رزقها لا ينفذ، ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾.

٩ - المعاد جسمانيّ (ويدلّ على ذلك الحديث عن الاتكاء، والشراب، والفاكهة، والأزواج)، ﴿مُتَكَبِّينَ... يَنْكِهَتُهُ كَثِيرَةٌ وَتَرَابٍ... فَصَبَرْتُ الْطَّرْفَ﴾.

﴿هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَشَرَّ مَتَابٍ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَوَيْسَ الْمِهَادِ ٥٦ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاءُ ٥٧ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ٥٨ هَذَا نَوَاجٍ مُفْتَحِهِمْ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِلَيْهِمْ صَلَوا النَّارِ ٥٩ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَوَيْسَ الْفِرَاقِ ٦٠ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا يُضَعِّفُنَا فِي النَّارِ ٦١﴾

### إشارات

□ مهاد جمع مهد وهو الفراش الموطأ. «حميم» هو الماء المغلي و«الغساق» هو القيح الشديد التشن.

□ «مقتحم» الاقتحام هو دخول الشيء بشدة وصعوبة.

□ «الشكل» بمعنى المثل، والأزواج بمعنى الأنواع، أي أنواع أخرى من مثل هذا النوع من العذاب.

## التعاليم

- ١ - التقوى أساس كل خير، والطغيان والعصيان أساس كل شر، ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ... وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَنَاقِبٍ﴾.
  - ٢ - الطغيان سبب لسوء العاقبة، ﴿لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَنَاقِبٍ﴾.
  - ٣ - عذاب البرزخ متنوع ومتعدد، ﴿وَمَا آخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾.
  - ٤ - يُظهر أهل الفساد نفورهم من أئمتهم في يوم القيامة، ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتُّوهُ لَنَا﴾.
  - ٥ - يقدم الإنسان جهنم التي له أمامه، ﴿قَدْ مَتُّوهُ لَنَا﴾.
  - ٦ - دعوة الآخرين إلى المعصية لا تكون سبباً لسلب المسؤولية عن المذنبين. فعلى الرغم من قولهم: ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتُّوهُ لَنَا﴾، فإنهم يسكنون جهنم بالفعل.
  - ٧ - الترغيب والترهيب يتقارنان في النظام التربوي الإسلامي (آيات ثواب المتقين وعقاب الكافرين).
  - ٨ - الذين لا يتداعون في هذه الدنيا إلى الإيمان، سوف يُظهرون العداوة لبعضهم في الآخرة وهم في جهنم، ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا﴾.
  - ٩ - الدعاء الوحيد المستجاب من قِبَل أهل جهنم هو دعاؤهم بزيادة العذاب لمن قادمهم إلى الكفر، ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾، ﴿...لِكُلِّ ضِعْفٍ...﴾<sup>(١)</sup>.
  - ١٠ - مما يقع في جهنم المواجهة والخصومة التي تقع بين أهلها (جماعة تقول: ﴿لَا مَرْجَأَ بِهِمْ﴾، وأخرى تجيب: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ﴾).
- ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (٦٢) أَتَعَذَّبْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ  
الْأَبْصَارُ﴾ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (٦٤)

## إشارات

□ ورد في بعض الروايات المعتبرة أنَّ جماعةً من شيعة أهل البيت عليهم السلام شكَّوا إلى



الأنمة ﷺ ما يعاملهم به الآخرون حيث يعدّونهم أشدّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، فكان جواب الأنمة ﷺ: فقال: أما والله لا يدخل النار منكم اثنان لا والله، ولا واحد، إنكم الذين قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾<sup>(١)</sup>.

### صور من تخاصم العاصين

□ يبحث كل مجرم في يوم القيامة عن شريك له في الجرم، ليُلقي ذنبه عليه: فبعضهم يقول: المجتمع سبب انحرافنا، ﴿...لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وبعضهم يقول: الصديق سبب انحرافي، ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ...﴾<sup>(٣)</sup>. وبعضهم يقول: شريكي هو سبب انحرافي، ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾<sup>(٤)</sup>. وبعضهم يقول: كبراًؤنا سبب ضلالنا، ﴿...أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾<sup>(٥)</sup>. وبعضهم يقول: الشيطان سبب ضلالنا، ﴿...فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>.

### التعاليم

- ١ - ينظر بعضهم إلى بعض الناس في الدنيا على أنه من الأشرار، فيستهين به، ولكنه سوف يفتقده في يوم القيامة، ﴿لَا تَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾.
- ٢ - يتعرّف أهل جهنم على بعضهم البعض ويمتلكون الوعي والإحساس، ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾.
- ٣ - لا يجب التسرع في الحكم، فلعلّ بعض من ننظر إليه بعين الضّعة اليوم،

(١) أنظر: التفاسير التالية: أطيب البيان، نور الثقلين وكتر الدقائق.

(٢) سورة سبأ: الآية ٣١ (٣) سورة الفرقان: الآية ٢٩.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٧ (٥) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

يكون من أصحاب المقامات العليا في يوم القيامة، ﴿نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾.

٤ - القيامة يوم الإقرار والاعتراف، ﴿أَتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا﴾.

٥ - يجلس أهل الجنة في مجالس أنس على تكايا ولكن أهل جهنم يغرقون في جدل ونقاش. ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا﴾، ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)

### إشارات

□ القهَّار بمعنى صاحب القدرة القاهرة التي تفهر كلَّ قدرة وقوة.

□ ورد في بعض الروايات أن (النبا العظيم) هو علي بن أبي طالب، وقد ورد عنه عليه السلام قوله: «أَنَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ»<sup>(١)</sup>، كما مخاطب الإمام المهدي في دعاء الندبة بقولنا: «يا ابن النبا العظيم».

□ وهذا المعنى أكثر انسجاماً مع ضمير (هو) الذي يُستخدم في حق الإنسان.

□ المراد من الملاء الأعلى هو الأفق الأعلى الوارد في سورة النجم حيث قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾، والهدف من المعراج الرقي بعلم النبي ﷺ، ﴿لِرَبِّهِ مِنْ ءَابِلَيْنَا﴾.

وبناء عليه فلعلَّ المراد من هذه الآيات التالي:

أيها النبي! قل للناس: علي بن أبي طالب نبي عظيم، وبعضكم أيها المسلمون سوف يُعرض عنه، ويذهب إلى غيره.

لم أكن أعلم من الملاء الأعلى عن اختلاف الناس فيه؛ ولكنني في سفر المعراج ثبتت إمامة علي بن أبي طالب ولا تظنوا أن إمامته هي رأي شخصي من قبلي بل هي من وحي الله.

نعم هذا المعنى هو المستفاد اعتماداً على الروايات وما ذكره في تفسير أطيّب البيان، ولكنّ التفاسير الأخرى جعلت هذه الآيات مقدّمات للآيات التالية حول بدء الخلقة.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ من إبلاغ الناس بمكانة النبي ﷺ ووظيفته، ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - إذا شملت الغفلة الناس كافة، فلا بدّ من توجيه الخطاب إليهم بلغة الإنذار، ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾.
- ٣ - يواجه الإنسان المخاطر والمضارّ، لكن بإمكانه الخلاص منها باتّباع ما يأمر به الأنبياء، ﴿أَنَا مُنذِرٌ﴾.
- ٤ - للإنذار والتحذير دور سابق على الترغيب والبشارة في عمليّة التربية، ﴿أَنَا مُنذِرٌ﴾.
- ٥ - الإنذار إنّما يكون مؤثراً متى كان عن قدرة، ﴿أَنَا مُنذِرٌ... أَلَوَجِدُ الْقَهَّارُ﴾.
- ٦ - القدرة والقوّة تكون في ظلّ التوحيد، ﴿أَلَوَجِدُ الْقَهَّارُ﴾، (وردت كلمة قهار في القرآن في ستّة موارد وقد اقترنت بصفة الواحد).
- ٧ - عالم الوجود كافة خاضع لإدارة واحدة وتدبير واحد، ﴿أَلَوَجِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٨ - الله ﷻ هو المشرف على عالم الوجود كلّ وهو الذي يرّيه ويسير به نحو الكمال، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.
- ٩ - لا بدّ للمربيّ من أن يمتلك القوّة والرحمة معاً، ﴿رَبِّ، أَلَزِيْرُ أَلْفَقْرُ﴾.
- ١٠ - إقبال الناس أو إعراضهم لا يدلّ على كون ذلك الأمر حقاً أو باطلاً، ﴿هُوَ نَبُّ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.
- ١١ - لا بدّ في التبليغ والدعوة إلى الحقّ من استخدام الأساليب الواضحة وغير المبهمة، ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

## إشارات

- سَوَّيْتُهُ من (الاستواء) بمعنى الاعتدال والسوية في الخلقة.
- من الممكن أن تكون جملة (إذ قال) مرتبطة بجملة ﴿يَخْفِصُونَ﴾ في الآيات السابقة، أي لم أكن على علم من الملائكة الأعلى بجوار الملائكة مع الله ﷻ عند خلق الإنسان. كما نقرأ في الآية ٣٠ من سورة البقرة أَنَّ الله ﷻ خاطب الملائكة قائلاً: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.
- ورد التعرُّض لقصة خلق الإنسان وسجود الملائكة له في السور الآتية: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء والكهف، وتكرار هذه القصة لبيان تعصب إبليس وحسده للإنسان وخطر التكبر والإعراض عن التوبة ونحو ذلك مما يعيش الإنسان صراعاً معه على مر التاريخ.
- كما إنَّ على الإنسان متى لاحظ مقام الإنسانية، حيث كان مسجوداً للملائكة أن يحفظ هذا المقام ولا يذهب به هدرًا.
- ليس المراد من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ أَنَّ شيئاً قد انفصل من الله ﷻ وأصبح جزءاً من الإنسان، بل المراد بيان منشأ وجذر الروح الإنسانية وأنها من العالم الأعلى، وليست من التراب.
- ورد عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الله تبارك تعالَى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله ﷻ عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه»<sup>(١)</sup>.

## التعاليم

- ١ - الإنسان هو الموجود الوحيد الذي أخبر الله ﷻ ملائكته بأنه سيخلقه قبل أن يخلقه، ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾.
- ٢ - خلق الملائكة سبق خلق الإنسان؛ (لأن الحوار دار بين الله ﷻ وملائكته قبل خلق الإنسان)، ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ﴾.
- ٣ - نشأة الإنسان من التراب والماء، ﴿خَلَقْنَا بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾.
- ٤ - خلق الروح كان بعد خلق الجسد، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.
- ٥ - الروح وجود مستقل عن وجود الجسد، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.
- ٦ - سجود الملائكة لآدم كان بسبب نفخ الله للروح فيه، ولكن بعض البشر لا يسجدون حتى لله ﷻ وهو الحق، ﴿مِن رُّوحِي... لَهُ سَكِينٌ﴾.
- ٧ - للإنسان بُعدين: بعد ماديّ وبعد معنويّ، ﴿وَمِن طِينٍ... مِن رُّوحِي﴾.
- ٨ - لا بدّ لنزول الألفاظ الإلهية من وجود الاستعداد اللازم. فإذا لم تكن الشروط المادية متوافرة فإن الروح الإلهية لا يمكن أن تحلّ فيه، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.
- ٩ - الروح موجودة في جميع الكائنات الحيّة، ولكن تعبير (روحي) خاص بالإنسان نظراً للكرامة الخاصّة التي جعلها الله ﷻ له من بين الكائنات، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.
- ١٠ - الروح مخلوق لطيف (كلمة نفخ تدلّ على لطافة الروح).
- ١١ - الملائكة كالإنسان في كونها مورداً للأمر والنهي الإلهيين، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَكِينٌ﴾.
- ١٢ - السجود للإنسان يرجع إلى البعد الروحي فيه لا الجسديّ، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا﴾.
- ١٣ - حيث كان السجود لآدم بأمرٍ من الله، كان من العبوديّة لله ﷻ وليس لآدم،

﴿فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ﴾. (سجود الملائكة كان مظهراً للاحترام والتعظيم والرضا بخلافة الإنسان وليس عبادة).

١٤ - الاستحقاق أهم من السبق (الملائكة كانوا أسبق من آدم ولكن حيث كان آدم أكثر استحقاقاً سجدت الملائكة له)، ﴿لَهُ سَجِدِينَ﴾.

١٥ - الملائكة مسلمون لله ﷻ، ﴿سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ﴾.

١٦ - العبادة عندما تكون جماعية تكون أعظم. فكاقة الملائكة سجدوا، ﴿كُلُّهُمْ﴾ وسجودهم كان معاً، ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

١٧ - ليس المهم أن يكون الإنسان بين الأخيار، بل المهم أن يكون من الأخيار، ﴿سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ... إِلَّا إِبْلِيسَ﴾.

١٨ - التكبر مانع من التعبّد والتسليم، ﴿أَسْتَكْبَرُ وَكَانَ...﴾.

١٩ - إبليس كان كافراً منذ البدء ولكن ترك السجود كشف عن كفره، ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مََعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ

مِنَ خَلْقِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَامْضِ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى

يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

### إشارات

□ المراد من (عالين) وطبقاً لما ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ جماعة أفضل من الملائكة ولهم مقام ومنزلة ودرجة أخرى<sup>(١)</sup>. ولعلّ مراد النبي هو ما ورد أيضاً في الزيارة الجامعة خطاباً لأهل البيت ﷺ: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرضه محدقين حتّى منّ علينا بكم فجعلكم في بيوتِ أذن الله أن ترفع».

□ المراد من قوله تعالى: ﴿بِإِيْدِي﴾ طبقاً للرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام هما يد القدرة ويد الحكمة، وإلا فالله ﷻ ليس جسماً ولا يد ظاهرة له<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم

- ١ - يُسأل العاصي عن سبب معصيته ويُبحث عن جذور ارتكابه المعصية، ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾، (أعطِ المذنب حقَّ الكلام).
- ٢ - الأصل هو العمل بالحق والرضا به، وكلّ موردٍ يُخالف الحقَّ لا بدّ أن يكون لمانعٍ يُعيق ذلك، ﴿مَا مَنَعَكَ﴾.
- ٣ - خلق الإنسان كان بعناية خاصة من الله ﷻ، ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾.
- ٤ - الاجتهاد مقابل النصّ من عمل إبليس، ﴿فَقْعُوا لَهُ سَجِدِينَ... أَنَا خَيْرٌ﴾.
- ٥ - لا يكفي الإيمان بالله ﷻ ويكونه الخالق، بل لا بدّ من الطاعة والتسليم له (إبليس كان يؤمن بأنّ الله قد خلقه ولكنه لم يطعه ولم يسلم له)، ﴿خَلَقْتَنِي﴾.
- ٦ - القياس الظني لا يمكن أن يكون مرجعاً للتقييم الصحيح، (فإبليس قاس بين نفسه وبين الإنسان فوصل إلى هذه النتيجة)، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ... خَلَقْتَنِي﴾.
- ٧ - التعصّب القومي من التفكير الشيطاني، ﴿مِنْ نَّارٍ... مِنْ طِينٍ﴾.
- ٨ - التعصّب مانعٌ من معرفة الحقيقة. (فالشيطان كان يرى خلخته من النار ولم يكن يرى أنّ الله ﷻ قد نفخ في الإنسان من روحه)، ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾.
- ٩ - الكرامة تكون بكسب الكمالات لا بالمادة والعنصر الأولي المكوّن للخلقة حيث يكون هو النار في إبليس والطين في الإنسان، ﴿مِنْ نَّارٍ... مِنْ طِينٍ... فَأَخْرَجُ﴾.
- ١٠ - الإدارة الحكيمة تقضي بإخراج الفرد المتمرد على القانون، ﴿فَأَخْرَجُ مِنْهَا﴾.
- ١١ - الحرمان هو النتيجة المترتبة على التكبر والحسد، ﴿فَأَخْرَجُ﴾.
- ١٢ - لا بدّ من طرد العناصر الفاسدة من المجتمع، (ورد في القرآن ذكر كلمة رجيم في ستة مواضع، وفي جميعها كانت وصفاً لإبليس)، ﴿فَأَخْرَجُ... فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.
- ١٣ - عقوبة الشيطان كانت في المكان، ﴿فَأَخْرَجُ﴾، وفي المقام، ﴿لَعَنَتْنِي﴾.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٨٣﴾

### إشارات

□ ورد عن الإمام علي عليه السلام: «فأعطاء الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية، وإنجازاً للعدة»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - لم يطلب إبليس العفو بسبب ما كان لديه من تكبر، بل طلب المهلة للانتقام، ﴿أَنْظِرْنِي... لَاغْوِيَنَّهُمْ﴾.
- ٢ - على الرغم من تكبر إبليس وكفره ولكنه لم ييأس من تلبية طلبه، ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾.
- ٣ - العمر بيد الله ﷻ، ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾.
- ٤ - كلمة (رب) ذات تأثير عند الدعاء، (فهذه الكلمة استخدمها أولياء الله وأعداؤه في دعائهم)، ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾.
- ٥ - إبليس يعلم بثبوت المعاد. ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، ويعلم بتوحيد الله ﴿رَبِّ﴾، ويعلم نبوة الأنبياء ﴿عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَّصِينَ﴾، فلم تكن مشكلة إبليس في عدم معرفته بهذا كله بل في تكبره وعناده.
- ٦ - يستجيب الله ﷻ الدعاء حتى من شر خلقه، ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي... فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.
- ٧ - العمر الطويل ثابت حتى لغير إبليس، ﴿مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.
- ٨ - ليس كل طول عمر يكون عن محبة من الله ورضاً وسبباً للسعادة، ﴿مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.



٩ - قضت السنة الإلهية بأن يُكتب الموت والفناء على الخلق كافة، ولذا لا ضمان لطول عمر إبليس إلى يوم القيامة بل إلى يوم محدد معلوم، ﴿إِلَّا يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

١٠ - الخطر الكامن من وسوسة إبليس خطر جدي، (أقسم إبليس على أن يضل الناس بأي وسيلة يمكنه بها ذلك)، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾.

١١ - قد يكون الذنب مقدمة لذنوب أكبر أحياناً، (معصية إبليس بعدم سجوده لآدم كان مقدمة لمعصيته بإضلال الناس عن الحق)، ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾.

١٢ - الإخلاص في العبودية شرط للأمن من الوقوع في فخ إبليس، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ

حِينَ﴾ ﴿٨٨﴾

### إشارات

□ تصنف العلاقة بين المتكلم والكلام إلى أربعة أصناف:

أ - أن يكون المتكلم باطلاً وكلامه أيضاً باطلاً.

ب - أن يكون المتكلم باطلاً ولكن كلامه حقاً.

ج - أن يكون المتكلم محققاً ولكن كلامه باطلاً.

د - أن يكون المتكلم محققاً وكلامه حقاً.

والله ﷻ هو الحق وكلامه حق ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾.

□ ورد في بداية هذه السورة الحديث عن الذكر، قال تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، وفي ختام هذه السورة أيضاً ورد التعرض لصفة الذكر: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

□ المراد من التكلف الذي نفاه النبي عن نفسه هو عدم فرضه شيئاً على الناس فهو يقول كلاماً واضحاً ومنطقياً، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

□ طبقاً لما ذكرناه في تفسير الآية ٦٧ من هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ فَإِنَّ النِّبَأَ الْعَظِيمَ طبقاً لما ورد في الروايات هو ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي ختام هذه السورة كما في تلك الآية ورد ذكر كلمة (هو) فقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

ومن الملفت أنه قد ورد في آياتٍ أخرى أَنَّ أجر رسالة النبي هو مودة أهل البيت عليه السلام، وهذه الآيات بعد أن نفت الأجر الماديَّ على الرسالة، تعرّضت لأهل البيت عليه السلام.

### التعاليم

- ١ - لا يقول الله إلا الحق، (تقديم كلمة الحق على أقول يدل على أنه لا يقول سوى الحق)، ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾.
- ٢ - لا بدّ من الحديث بجدّ في مقابل حديث أهل الباطل عن باطلهم بجدّ. فالشيطان قال: ﴿لَأَعْرِضَنَّهُمْ﴾ والله سبحانه قال: ﴿لَأُثَلِّثَنَّ جَهَنَّمَ﴾.
- ٣ - يُجمع في يوم القيامة بين أهل الكفر وقادتهم وأئمتهم في مكان واحد ﴿جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ﴾.
- ٤ - للشيطان جسم وذلك لأنّ امتلاء جهنّم يتوقّف على أن يكون للشيطان جسم، ﴿لَأُثَلِّثَنَّ﴾.
- ٥ - ينبغي أن يُعلم الداعية لله الناس بأنّه لا يطلب الأجر، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.
- ٦ - شرط النجاح في الدعوة ألا يطلب الداعي من الناس شيئاً، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾.
- ٧ - لا ينتظر الأنبياء من الناس شيئاً لا ماديّاً ولا غيره، ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾.
- ٨ - من شروط النجاح في الدعوة عدم التكلف (لا يوقع المؤمن نفسه والآخرين في المشقة في العمل والحديث والعشرة)، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ فالتكلف عمل قبيح ومذموم.

- ٩ - من يتمكن من تحرير العالم لا بدّ من أن لا يكون أسيراً للقيود والعادات والتقاليد والرسوم، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ، إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.
- ١٠ - رسالة القرآن عالمية وأمنية، ﴿ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.
- ١١ - القرآن كتاب للنهوض والوعي، ﴿ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.
- ١٢ - الإنسان بلا قرآن معرض لأنواع الغفلة والنسيان، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.
- ١٣ - سوف يطلع الناس على إخبار القرآن عن المستقبل، (تحقق الوعد الإلهي وانتصار المتقين والصالحين)، ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

# سُورَةُ الشُّرَا

السورة: ٣٩ الجزء: ٢٣ - ٢٤

عدد الآيات: ٧٥



## ملاحم سورة الزمر

عدد آيات هذه السورة خمس وسبعون آية وهي من السور المكيّة، وهي كسائر السور المكيّة يغلب على آياتها الحديث عن التوحيد ويوم القيامة.

(الزمر) جمع «زمرة» هي الجماعة وتسمية السورة بهذا الاسم لأنّ أهل الجنّة وأهل جهنّم يدخلون إلى الجنّة وإلى النار جماعات جماعات، كما أشارت إلى ذلك الآيات ٧١ و٧٣ من هذه السورة.

تعتني هذه السورة وبشكلٍ مختلف عن سائر السور بموضوع التوحيد في الخالقيّة، الربوبية والعبادة خصوصاً الإخلاص في العبادة والعبودية.

ومن المسائل التي تعرّضت لها هذه السورة بشكل تفصيلي مسألة إحضار الناس للحساب في يوم القيامة، حيث يكون الحكم لله ﷻ على أساس ما ارتكبه الإنسان في هذه الدنيا، ويُحضّر الشهود ويُساق المذنبون إلى جهنّم والمطهّرون إلى الجنّة.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ① إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ② ﴿

### إشارات

□ التنزيل هو النزول التدريجي، والإنزال هو النزول الدفعي ومرة واحدة، وقد أشارت هاتان الآيتان إلى نوعي نزول القرآن.

□ وردت مفردة العزة ٨٨ مرة في القرآن الكريم وفي ٤٧ مورداً منها اقترنت بصفة الحكمة ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فالعزة الدائمة إنما تكون متى اقترنت بالحكمة. فالعزة الحقيقية هي لله ﷻ لأنه الخالق والمقتدر، يُحيط بعالم الغيب والشهادة ويبيده الرزق فهو الذي ييسطه ويقبضه. ورد في الحديث: «فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز»<sup>(١)</sup>.

□ تكررت كلمة كتاب في الآيتين، حيث ورد في الآية الأولى قوله: ﴿الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾، وفي الآية الثانية ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ للدلالة على أن طريق عزة الفرد والمجتمع هي بالارتباط بالله ﷻ والذين الحق، وإن طاعة غير الله وأتباع غير دين الرحي الإلهي هو باب الذلة والمهانة والخسران. فما سوى الله ﷻ العزيز مصيره الفناء، كما أن غير دين الحق هي أديان قاصرة أو تشتمل على الخرافات أو فيها أغلال، وهي مخالفة للقطرة، فالأديان المحرفة والموضوعة تكبل يد الإنسان وتعجز عن بناء المجتمع العزيز، ولذا ورد في الآية الثالثة قوله: ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

□ الأمر بالعبادة الخالصة لله ﷻ وإن كان موجهاً للنبي ﷺ ولكنه خطاب يشمل الناس جميعاً.

□ الدين في اللغة هو الجزاء، التعاليم، الملة العبادة والطاعة، ولكن المراد من الدين في هذه الآيات العبادة؛ لأن الحديث هنا عن العبادة، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾.

### التعاليم

- ١ - ينبغي إدراك عظمة الكتاب السماوي؛ لأنه منزل من الله ﷻ، وهو مظهر من مظاهر العزة والحكمة الإلهيين، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٢ - خلافاً للعزة التي لدى الطاغوت حيث تقترن بالاستبداد، فإن العزة الإلهية هي قرينة الحكمة، ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٣ - لأن الله عزيز لا يغلبه أحد، فكلامه له الغلبة على كافة الأديان وعلى كل كلام، ولا يغلب كلامه أحد ﴿الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٤ - القرآن باب للعزة ولتعلم الحكمة، ﴿الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٥ - إن القرآن الكريم وإن أنزل بشكل تدريجي في فترة زمنية استمرت ثلاثة وعشرين عاماً: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾، ولكنه أنزل في بداية البعثة دفعة واحدة على قلب النبي ﷺ، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾.
- ٦ - كما أن الله ﷻ حق ثابت وراسخ فإن القرآن كذلك: ﴿بِالْحَقِّ﴾، (القرآن كله حق ولا وجود للباطل أو الخيال فيه) ﴿بِالْحَقِّ﴾.
- ٧ - فلسفة نزول القرآن وسبب نزوله بيان الحق للناس، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ... بِالْحَقِّ﴾.
- ٨ - لا بد للعبادة من أن تكون في ظل الحق، ﴿بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ﴾؛ (طريق السعادة في الجمع بين أمور ثلاثة هي الدين، العبادة والإخلاص).
- ٩ - كما أن الهدف من الخلق هو العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>، فإن الهدف من التشريع ونزول الكتاب هو العبادة أيضاً، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ... فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾.



- ١٠ - نزول الكتاب نعمة تستحق شكر الله ﷻ عليها، ﴿تَزِيلُ أَلَكُتَبِ... فَأَعْبُدْ﴾.  
 ١١ - لا بد من أن يكون الدين خالصاً من الهوى، الخرافات والخيال، ﴿مُخْلِصاً لَهُ  
 الَّذِينَ﴾.

١٢ - شرط العبادة قصد القرية، ﴿فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً﴾.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ  
 زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ  
 كَفَّارٌ﴾

### إشارات

□ وجه الأمر في الآية السابقة إلى النبي ﷺ بالعبادة الخالصة لله ﷻ، وفي هذه  
 الآية وجه الأمر بذلك للناس كافة: ﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

□ ورد أن رجلاً قال: يا رسول الله إنا نعطى أموالنا التماس الذكر فهل لنا في  
 ذلك من أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله لا يقبل إلا من أخلص له، ثم تلا  
 رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾<sup>(١)</sup>.

سبب عبادة الأصنام يرجع إلى أمور منها:

أ - إنهم واحتراماً منهم لكبارهم صنعوا لهم تماثيل، وبمرور الأيام أصبحت هذه  
 المجسمات معبودات مستقلة.

ب - كان ظن عبدة الأصنام أن الإنسان عاجز عن الارتباط المباشر بالله ﷻ، وأنه  
 بحاجة إلى وسائل مقدسة، ولذا قام الإنسان بصنع تماثيل لهؤلاء الوسائط  
 والشفعاء وأصبحت هذه التماثيل تعبد بمرور الأيام.

### التعاليم

- ١ - ينبغي الاعتماد في أسلوب الدعوة والتبليغ على إثارة حساسية المخاطب  
 (كلمة - ألا - هي للالتفات إلى أن المسألة مهمة).

- ٢ - الخرافات والأفكار الباطلة نخرت جسم الأديان التي هي من وضع البشر والذين الخالص هو ما كان من الله ﷻ، ﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.
- ٣ - قيمة الدين بكونه خالصاً، وإلا فإن الخرافات والأفكار الباطلة موجبة لمسخه، ﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.
- ٤ - يسعى المنحرفون لتبرير انحرافهم. فعبداء الأصنام يقولون: ما نعبدهم إلا لتتقرب من خلالهم إلى الله ﷻ، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا﴾.
- ٥ - عبادة الله أمر فطري في وجود الإنسان حتى من كان من المشركين، ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.
- ٦ - لا مانع من وجود بعض الوسائط للتقرب إلى الله ﷻ بل الله أوصى بذلك، ﴿...وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾<sup>(١)</sup>. ولكن بعضها مرفوض ومنهي عنه كعبادة الأصنام، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.
- ٧ - اعترف عبدة الأصنام في مكة بوجود الله ﷻ وكانوا يرون في الأصنام وسيلة للتقرب إليه، ﴿إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.
- ٨ - يعتقد المشركون بالشفاعة؛ ولكنهم يرون الأصنام شفعاء لهم، ﴿إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.
- ٩ - الناس كافة يرغبون بالتقرب إلى الله ﷻ، ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.
- ١٠ - يوم القيامة هو اليوم الذي تنتهي فيه كل الاختلافات، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا... يَخْتَلِفُونَ﴾.
- ١١ - ينبغي أن يكون للإنسان قابلية تلقي الهداية الإلهية، والكذب الذي امتاز به الكفار هو المانع من هدايتهم، ﴿لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾.
- ١٢ - الكذب هو مقدمة للانحراف الدائم، ﴿كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾.
- ١٣ - التقرب من خلال الأصنام عقيدة كاذبة، ﴿كَذِبٌ﴾.
- ١٤ - يرى عبدة الأصنام أن أصنامهم موجودات عاقلة مدركة، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا...﴾؛ فكلما هم تستعمل للعاقل.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ  
الْقَهَّارُ ۝١﴾

### التعاليم

- ١ - ليس لله من ولد لا حقيقة، ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَدٌ وَلَمْ يُوَلَدْ﴾؛ ولا ولد متخذ، ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.
- ٢ - لو أن الله ﷻ أراد أن يتخذ ولداً لاختاره من بين الأفضل لا من الحجر والخشب، ﴿أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ﴾.
- ٣ - طلب الولد دليل الحاجة والله ﷻ منزّه عن ذلك، ﴿سُبْحَنَهُ﴾.
- ٤ - لو كان لله ولد حقيقة لكان جسماً، وهذا يعني قابليته للانقسام، ووجود الشبيه لله ﷻ ووجود زوجة له، والله ﷻ واحد لا يقبل الانقسام ولا زوجة له ولا شبيه له، ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾.
- ٥ - لو اتخذ الله ولداً لكان ذلك بسبب حاجة في الجسد أو لأجل الأنس الروحي والله ﷻ هو القهار، ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ  
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ۝٢﴾

### التعاليم

- ١ - خلق السموات والأرض ليس صدفة، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٢ - كما أن نظام التشريع حق: ﴿...إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾<sup>(١)</sup>، فكذا نظام التكوين، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.
- ٣ - هو الخالق ﴿خَلَقَ﴾؛ وهو المدبّر، ﴿يُكَوِّرُ﴾.

- ٤ - الشمس والقمر في حركة مستمرة، ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾.  
 ٥ - لحركات الكواكب السماوية أمد، ﴿لِأَجَلٍ﴾.  
 ٦ - الأمد الذي تجري فيه محدّد ومعيّن، ﴿مُسَمًّى﴾.  
 ٧ - ختام الآية السابقة كان بكلمة: ﴿الْفَهَّارُ﴾؛ وختام هذه الآية كان بكلمة ﴿الْفَقْرُ﴾؛ ليكون الخوف والرجاء إلى جانب بعضهما البعض.  
 ٨ - ليس العفو الإلهي من باب العجز والضعف بل يكون مع القدرة، ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.  
 ٩ - خلق السموات والأرض، وحركة الشمس والقمر، وتكوين الليل على النهار هي من مظاهر العزة الإلهية، ﴿خَلَقَ، وَسَخَّرَ، يُكْوِّرُ، هُوَ الْعَزِيزُ﴾.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَرِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجٌ يَخْلُقَكُمْ فِي بَطْنٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

### إشارات

- المراد من ثمانية أزواج في هذه الآية هي الأصناف الأربعة من ذكرٍ أو أنثى من الحيوانات الآتية: الإبل، والبقر، والغنم، والشاة. وذلك بدليل قوله تعالى في الآية ١٤٣ و ١٤٤ من سورة الأنعام: ﴿...مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ﴾، ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.
- المراد من (أنزل) ليس هو النزول المكاني، بل النعمة المنزلة من المقام الأعلى إلى المقام الأدنى، أو بمعنى الضيافة نظير قوله تعالى: ﴿...نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>. أو لأن حياة كل الحيوانات تعتمد على الماء الذي ينزل من السماء، وخزائن كل نعمة هي عند الله ﷻ، ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٨.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢١.

## التعاليم

- ١ - كافة البشر سواء، الذكر منهم والأنثى، الأبيض والأسود، ﴿تَقِيں وَجِدَۃً﴾
  - ٢ - روح الذكر والأنثى واحدة وإن كان بينهما اختلاف في الناحية الجسدية.
  - ٣ - الزوجية نعمة تُضاف إلى نعمة الخلقة التي أعطاها الله ﷻ لهذا الإنسان.
  - ٤ - الإنسان بحاجة إلى الزوجة لأجل بقاء النسل، ﴿خَلَقَكُمْ... ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.
  - ٥ - البطن والشهوة حاجتان أوليتان في هذه الإنسان وهي التي تعرّضت لها هذه الآيات، ﴿جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ... الْأَنْعَمَ﴾.
  - ٦ - الأصناف الأربعة: الإبل، البقر، الغنم والشاة من بين سائر الحيوانات ذات ارتباط خاص بطعام الإنسان، ﴿ثَمَنِیۡةً أَوْزَجْ﴾.
  - ٧ - خلقة الإنسان تتم على مراحل، ﴿خَلَقَا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ﴾. (وردت تسمية هذه المراحل في الآية ١٢ و ١٣ من سورة المؤمنون وهذه المراحل هي عبارة عن: النطفة، العلقة والمضغة).
  - ٨ - الإنسان يُصاب بالعجز في الظلام؛ ولكن الله ﷻ يقوم بالفعل في ظلمات متراكمة، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي... طُلُمُتٍ ثَلَاثٍ﴾.
  - ٩ - لا بد من أن ندرك أنّ النعم في هذه الحياة هي من الله ﷻ فهو الخالق وهو المالك وهو الرب وهو المعبود، ﴿خَلَقَكُمْ... رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

## إشارات

□ تعرّضت الآية السابقة للنعمة الإلهية في خلقة الإنسان والرزق المادي الذي وهبه الله ﷻ له، وأمّا هذه الآية فتتعرّض لوظيفة الإنسان في شكر هذه النعم الإلهية.

□ المراد من الكفر في هذه الآية هو كفر النعمة؛ وذلك لأن الحديث في مقابل ذلك كان عن الشكر.

□ محبة الله ﷻ لهذا الإنسان أعظم من محبة الإنسان لنفسه، فهو لا يرضى لنا كفر النعمة وعدم شكرها ولكن الإنسان يرضى ذلك لنفسه.

□ بعد أن تحدثت الآية عن مسؤولية كل إنسان عما يقوم به من فعل، وأن محل الحساب هو يوم القيامة ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وذلك لبيان أن الحاكم في ذلك اليوم هو المحيط بكل شيء.

### التعاليم

١ - الأمر بالعبادة لا يدل على حاجة الله ﷻ إلى ذلك، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾.

(كما أن عمارة البيت مقابل الشمس لا تدل على حاجة الشمس إلينا، فالله ﷻ غني عنا وعن كل شيء كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>).

٢ - لا يصح أن ينسب الإنسان كفره أو انحرافه إلى الإرادة والمشئنة الإلهية، (فبعض الكفار والمشركين كانوا يرون أن ما يسير به هو بإرادة من الله)، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

٣ - ينظر الله ﷻ حتى إلى الكفار على أنهم عباد له، ﴿لِعِبَادِهِ الْكُفْرُ﴾.

٤ - الشكر مفتاح نيل الرضا الإلهي، ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

٥ - لا بد من السير في طريق الدعوة خطوة بعد أخرى. فالخطوة الأولى أن الله ﷻ غني عنكم، والخطوة الثانية أنه لا يرضى لكم الكفر، والخطوة الثالثة أنه يرضى لكم الإيمان والشكر، وختاماً أن حسابكم عليه، ﴿غَنِيٌّ عَنْكُمْ... لَا يَرْضَىٰ... فَيُنِشْكُمُ﴾.

- ٦ - الله ﷻ عادل، وكلُّ إنسانٍ سوف ينال جزاء عمله، ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ﴾.
- ٧ - كلُّ إنسانٍ مسؤول عن عمله ولا يحمل إنسان ذنب إنسانٍ آخر، ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾.
- ٨ - أبقى باب العفو مفتوحاً في تهديده لمن كان ارتكابه للذنوب غير قطعي (كلمة ينبئكم يراد منها أنه يخبركم عما تعملون ولا يقول يعاقبكم على ما تعملون).
- ٩ - مقدار الجزاء والعقاب مرتبط بعمل الإنسان، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ١٠ - الدقة في الثواب والعقاب مرتبطة بالعلم الإلهي بدقائق الأمور، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
- ١١ - العلم الإلهي عميق، واسع وهو يشمل الظاهر والباطن، ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
- ١٢ - يعلم الله ﷻ بالنية والدافع للقيام بالفعل، ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾

### إشارات

- «الضر» هو كل ضرر قد يصيب الإنسان. و«خوّل» بمعنى أعطى كثيراً. «والإنابة» إما من «النبوة» أي الرجوع مرة بعد أخرى، وإما من «ناب» بمعنى انقطع، ولعلّ المعنى الثاني هو المراد.
- تحدّث الآيات السابقة عن معرفة الله بواسطة مخلوقاته، وهذه الآيات تتحدّث عن معرفته تعالى بالفطرة.

### التعاليم

- ١ - ينتقد الله في القرآن الكريم، الرجوع الموسميّ إليه تعالى والذي يعقبه النسيان بعد قضاء الحاجة، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا﴾.

- ٢ - طاقة الإنسان الاستيعابية وقدرته على التحمل محدودة، ﴿مَسَّ﴾.
- ٣ - المصائب والمشاكل من العوامل المساعدة على يقظة الفطرة، ﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرُّ دَعَا﴾.
- ٤ - الدعاء الخالص لوجه الله تعالى، يكشف الضرّ ويرفع الآلام، ﴿مُيَبِّئًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾.
- ٥ - الضرّ ليس من الله، فلا يصدر عنه تعالى إلا النعم والخير، ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾.
- ٦ - الرفاه والنعمة من دواعي الغفلة، ﴿نِعْمَةً... نَسِيَ﴾.
- ٧ - بعض الناس ينسون آلامهم وأوقات ضعفهم عندما تحلّ مشاكلهم، ﴿...نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ﴾.
- ٨ - الغفلة عن ذكر الله من موجبات الشرك، ومن ينسى الله ييتم الوجه شطر غيره، ﴿نَسِيَ... وَحَمَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.
- ٩ - لا ينحصر الشرك من الإنسان في شيء بعينه، بل الكثيرون هم الشركاء الذين يتخذهم من دون الله، ﴿...أَنْدَادًا﴾.
- ١٠ - الانحراف لا يحصل فجأة، الخطوة الأولى: ﴿...نَسِيَ﴾؛ يلحقها الشرك: ﴿...وَحَمَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾؛ وبعد ذلك يصير منشأ للضلال والانحراف: ﴿...لِيُضِلَّ﴾.
- ١١ - لا تدلّ النعمة على المحبة دائماً، ﴿...تَمَتَّعَ بِكَفْرِكَ قَلِيلًا﴾.
- ١٢ - المشرك كافر، ﴿وَحَمَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا... تَمَتَّعَ بِكَفْرِكَ﴾.
- ١٣ - نعم الدنيا وملذاتها مهما كثرت هي قليلة بالقياس إلى الآخرة وما فيها من نعيم أو عذاب، ﴿تَمَتَّعَ... قَلِيلًا﴾.
- ١٤ - عقاب كفران النعمة، أن يكون الإنسان من أصحاب النار، ﴿...إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.



﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْمُلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ﴾

### إشارات

□ بعد أن بين القرآن في الآية السابقة صفات أصحاب جهنم، بدأ في هذه الآية بذكر صفات المؤمنين. فذكر في الآية السابقة أن الكافر فقط عندما يُصاب بالبلاء يذكر الله ﷻ وينسأه عند الرخاء، وأما المؤمن فإنه يذكر الله دائماً سواء في حالات الشدة أو في حالات الرخاء.

□ عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قال: يعني صلاة الليل<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - الليل أفضل وقت للعبادة، ﴿قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾.
- ٢ - علامة العلم العبودية، ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا... الَّذِينَ يَكْمُلُونَ﴾ (العلم والعبادة قرينان، فمن يقوم في الليل للعبادة ويتذكر الآخرة ويأمل رحمة الله هو العالم الحقيقي) ﴿قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ... يَعْلَمُونَ﴾.
- ٣ - العبادة التي لها قيمة هي العبادة التي تكون دائمة ومستمرة. (فقوله تعالى: ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ ورد بصيغة اسم الفاعل وهو يدل على الاستمرار).
- ٤ - رجال الآخرة هم الذين يحذرون الآخرة ويأملون رحمة الله، ﴿يَحْذَرُ، وَيَرْجُوا﴾.
- ٥ - الخوف يكون بسبب ما ارتكبه في هذه الدنيا من عمل، ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾؛ ولكن الأمل يكون بفضل الله ورحمته الواسعة، ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾.
- ٦ - من طرق التربية المقارنة بين الفعل الحسن والفعل القبيح، وبين المحسنين والعاصين، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ﴾، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْمُلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٧ - التسليم بالعبودية لله ﷻ علامة على امتلاك العقل السليم، ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَلْبَبِ﴾.

﴿قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠)

### إشارات

□ ورد عن رسول الله ﷺ: إذا نُشرت الدواوين ونُصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان، ولم ينشر لهم ديوان، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

### التعاليم

- ١ - عند دعوة الآخرين إلى فعل الخير لا بدّ من مخاطبتهم باحترام، ﴿يَبْعَادِ﴾.
- ٢ - لا يكفي الإيمان وحده، بل لا بدّ من أن يقترن بالتقوى والابتعاد عن ارتكاب الذنوب، ﴿ءَامِنُوا... اتَّقُوا﴾.
- ٣ - قيمة فعل الخير بصدوره من أهل الإيمان والتقوى، ﴿ءَامِنُوا اتَّقُوا... أَحْسَنُوا﴾.
- ٤ - يقابل الله ﷻ الإحسان وفعل الخير بالخير والإحسان، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا... حَسَنَةٌ﴾، (كما ورد في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ...﴾ (٢) ﴿مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (٣) ..
- ٥ - قد يتوقف حفظ التقوى على الهجرة، ﴿ءَامِنُوا اتَّقُوا... أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾.
- ٦ - الهجرة مقدّمة لتلقّي اللطاف الإلهية، ﴿أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ... أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.
- ٧ - لا بدّ في الهجرة من الصبر والتحمل، ﴿أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ  
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

### التعاليم

- ١ - بإعلان الإخلاص في العبادة لله ﷻ يدخل اليأس في قلوب المشركين من إمكان النفوذ والتأثير على ما لدينا من إيمان، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾.
  - ٢ - لا قول ولا فعل يقوله النبي أو يقوم به من عند نفسه، ﴿أُمِرْتُ... وَأُمِرْتُ﴾.
  - ٣ - لا بد أن يكون القائد أولاً في الكمالات، ﴿أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾.
  - ٤ - قيام النبي ﷺ بالعبادة خالصاً لله ﷻ وبسائر الأعمال على وتيرة واحدة؛ سواء أكان وحده أو كان الآخرون معه أيضاً، ﴿أُمِرْتُ... مُخْلِصًا... أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾.
  - ٥ - لا فرق في محكمة العدل الإلهية بين الأنبياء وبين سائر الناس، ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.
  - ٦ - الإيمان بالعذاب في يوم القيامة هو من أهم الأسباب التي تمنع من الوقوع في المعاصي، ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.
- ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾

### إشارات

- الخسارة هي ضياع رأس المال. فبائع الثلج إذا لم يشتري منه أحد الثلج فإنه ليس لن يربح فحسب، بل سوف يخسر رأس ماله أيضاً. وخسران النفس بمعنى الهلاك بنحو يضع ما فيها من قابليات.
- تكررت كلمة خسارة في هذه الآية ثلاث مرات تنبيهاً للإنسان عن خسارة النفس في يوم القيامة.

□ الإيمان بغير الله ﷻ من أيّ كان ولاي سبب كان بيع للنفس وخسران. فالإنسان عندما يعقد صفقة لا بدّ إما أن يكون له فيها ربح وإما أن لا يكون عليه فيها ضرر أو ضرر قليل، ولكنّ المشركين باعوا آخرتهم ولذا كان خسرانهم مبيناً؛ لأنهم مضافاً إلى أنهم خسروا أنفسهم فإنّهم لن يتمكنوا من جبران ذلك في يوم القيامة.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ من بيان موقف واضح وصريح من الكفار، ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - الوحداية في العبادة هي من أفضل ما تحدّث به الأنبياء، ﴿قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ﴾.
- ٣ - يُقبل الأنبياء على امثال الأوامر الإلهية بكلّ كيانه، (في الآية السابقة نقراً قوله: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً﴾؛ وفي هذه الآية نقراً قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصاً﴾).
- ٤ - ورد التعرّض أربع مرّات منذ بداية السورة وإلى هذه الآية للإخلاص؛ وذلك لأنّ أعظم آفة أصيب بها الدّين على مرّ التاريخ البشريّ هو ما لحق به من خرافات وتحريفات، ﴿مُخْلِصاً لَهُ رَبِّي﴾.
- ٥ - لا ينبغي في إنفاذ أحكام الدّين القبول بأيّ نوع من التغيير والحذر من الخضوع لما يريده الآخرون، ﴿مُخْلِصاً لَهُ رَبِّي﴾.
- ٦ - قد يكون من اللازم أحياناً اللّجوء إلى أسلوب التهديد والقوّة في سبيل الدعوة ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿...أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ...﴾<sup>(١)</sup>).
- ٧ - لا بدّ للقائد من أن يعلم بأنّ الناس لن يسلموا له جميعاً، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾.
- ٨ - إذا حصلت القطيعة مع الله، فلا فرق في الصّلة بين أيّ كان، ﴿مَا شِئْتُمْ﴾.
- ٩ - خسران النفس هو أعظم الخسارة، ﴿إِنَّ الْخَسِرَاتِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

- ١٠ - الإنسان مسؤول عن أهله وأسرته، ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾.  
 ١١ - النفع والضرر الحقيقي هو في يوم القيامة، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.  
 ١٢ - لا بد من تكرار الحق على مسامع من يتأخر في التصديق، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ...﴾.

﴿لَكُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا ۖ﴾

### التعاليم

- ١ - عقوبة من تخلَّى عن الله ﷻ ولجأ إلى غيره ووقع في الخسران الشديد أن تحيط به نار جهنم من فوقه ومن أسفل منه ومن كل جانب، ﴿مِن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ...﴾.  
 ٢ - الشرك في الدنيا موجب للعذاب في الآخرة، ﴿مِن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ...﴾.  
 ٣ - جهنم مملوءة بالنار والظلمة، ﴿ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ...﴾.  
 ٤ - التحذير الإلهي هو من مظاهر الرحمة الإلهية، ﴿يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا...﴾.  
 ٥ - التقوى سبب للنجاة من عذاب نار جهنم، ﴿ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ... فَاتَّقُوا...﴾.  
 ٦ - الإيمان بمخاطر يوم القيامة سبب للتقوى، ﴿ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ... فَاتَّقُوا...﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ۚ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ ﴿١٨﴾﴾

### إشارات

□ تُطلق كلمة (طاغوت) على من كان من أهل الطغيان والتعدي. والاجتناب عبارة عن جعل الشيء إلى جانب وجعل الإنسان نفسه إلى جانب آخر. والمراد من الإنابة إلى الله ﷻ والاجتناب عن الطاغوت هو ما نقرأه في آية الكرسي: ﴿...فَمَنْ يَكْثُرِ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>.

□ المراد من عبادة الطاغوت طاعة الظالم والطاغية. ولذا جاء في الحديث الذي ذكره في مجمع البيان: من أطاع جبّاراً فقد عبده.

□ ورد في الآية ١٨ الأمر بالبشارة للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وفي آية أخرى ورد وصف الدعوة إلى الله ﷻ بأنها أحسن القول: ﴿...أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>، وأفضل داعية هو رسول الله ﷺ ﴿...أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾<sup>(٢)</sup>، ولذا لا بد من اتباع أحسن القول والذي هو الدعوة إلى الله ﷻ وأفضل دعوة إلى الله ﷻ هي دعوة رسول الله ﷺ، فاتّباع الأحسن يكون باتباع الوحي ودعوة الرسول.

### التعاليم

- ١ - من صفات المؤمنين وعباد الله المخلصين الاجتناب عن الطاغوت، ﴿اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.
- ٢ - الاجتناب عن الطاغوت مقدّمة للتوجه إلى الله ﷻ، ﴿اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾.
- ٣ - الاجتناب عن الطاغوت شرط للتوبة، أمّا طاعة الطاغوت فهي مانع من الإنابة والتوبة، ﴿اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾.
- ٤ - بركات اختيار الأحسن لا حدّ لها، (كلمة بشر مطلقة تشمل كافة أنواع البشارة).
- ٥ - للناس الحقّ في استماع القول، مع الالتفات إلى الكلام وعدم الوقوع تحت تأثير شخصية المتكلّم، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ...﴾.
- ٦ - ينبغي أن يمتلك الإنسان القدرة على تحمّل استماع كلام الآخرين، وأن يكون واسع الصدر، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ...﴾.
- ٧ - لا يخشى الإسلام من أن يتحدّث الآخرون بما يريدون، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ...﴾.

(١) سورة فصلت: الآية ٣٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

٨ - العقل حجة باطنة، والتقليد الأعمى ممنوع، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

٩ - مما يُلَفَت إليه القرآن أتباع الأحسن، ﴿يَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

١٠ - للناس الحق في استماع القول إذا كانت لديهم القدرة العلمية والعقلية على اختيار الأحسن، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ... فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

١١ - القول الذي لا يكون حسناً، لا يستحق أن يُستمع إليه، ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

١٢ - لا تقنع بالحسن بل اتبع الأحسن، ﴿يَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

١٣ - لا يمكن اختيار الأحسن إلا مع التوفيق الإلهي، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾.

١٤ - الهداية الإلهية هي نصيب من سعى وصرف الوقت في سبيل الوصول إلى الحقيقة واستماع القول، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾.

١٥ - ليس في عداد العقلاء من يتبع قولاً وهو أعمى البصر ولا سمع له، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾.

١٦ - الطريق الباطن على الاطمئنان هو الذي يكون عن وعي وإدراك، ﴿يَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ... أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩) ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَفْقَوْا رَهْمَ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (٢٠)

### إشارات

□ الغرف جمع غرفة وهي الماء الذي يأتي من مكان أعلى أو البناء الذي يكون فيه طبقة عليا.

□ كان قلب النبي ﷺ يحترق لأجل هداية المعاندين، ولذا جاء الأمر الإلهي للنبي بأن لا يعذب نفسه في سبيل هدايتهم؛ لأن سنة الله فيهم هي العذاب وأن نجاتهم ليست بيد النبي ﷺ.

## التعاليم

- ١ - يسدّ بعض الناس باب العفو الإلهي عنهم بسبب عنادهم وإصرارهم، ﴿حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾.
- ٢ - الانحراف في حقيقته نار، ﴿تَقِفُ مَنْ فِي النَّارِ﴾.
- ٣ - الخوف والرجاء قرينان. ولذا نقرأ في الآية ١٦ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ﴾، أي إنّ النار تأتيهم من فوقهم، ونقرأ في هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ قَوْفِهَا عُرْفٌ﴾، أي إنّ لأهل تقوى الله غرفاً فوقها غرف.
- ٤ - لا يتخلف الوعد والبشارة من الله، ولكن الوعيد والعذاب قد يلحقه العفو والطف الإلهي فيمنع منه، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

## إشارات

- سلك من السلوك بمعنى الدخول والنفوذ والينابيع جمع ينبوع هو بمعنى العين النابعة.
- يهيج من الهيجان وهي الحركة السريعة مع الغليان، وهذه الكلمة متى أطلقت على الزرع والنبات كان المراد منها بدء يباسه وجفافه.
- الحطام هو كسر الشيء اليابس، والألباب جمع لب وهو العقل.

## التعاليم

- ١ - لا ينبغي أن نعبر عن مظاهر الطبيعة ونحن غافلون، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٢ - التفكر في ظواهر الطبيعة باب من أبواب معرفة الله، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٣ - ماء السماء هو مصدر الماء النابع من الأرض، ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ﴾.



- ٤ - الأسباب الطبيعية هي مظهر من مظاهر الإرادة الإلهية (فإنبات الزرع هو من الله ﷻ ولكن عن طريق الماء)، ﴿يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾.
- ٥ - مما يدل على سعة القدرة الإلهية اختلاف ألوان النبات واختلاف طعمه مع أنها تُسقى من ماء واحد وتنبث في تراب واحد، ﴿زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾.
- ٦ - خلق كافة الظواهر تابع للإرادة الإلهية، ﴿فَسَلَكُمُ، يُخْرِجُ، يَجْعَلُهُ﴾.
- ٧ - من لا يفكر في مصدر الوجود والهدف منه لا عقل له، ﴿لَذِكْرِي لَأَوْلِي الْأَنْبِيَاءِ﴾.
- ٨ - التذكّر دلالة على امتلاك العقل، ﴿لَذِكْرِي لَأَوْلِي الْأَنْبِيَاءِ﴾.
- ٩ - المؤمن عاقل، وأمّا الكافر فهو لجوج وعنود ولا عقل له، ﴿لَذِكْرِي لَأَوْلِي الْأَنْبِيَاءِ﴾.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

### إشارات

□ ورد في الرواية عن علاج مرض قسوة القلب، أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ: عن شرح الصدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن، يشرح له صدره وينفسخ. قالوا: فهل لذلك أمانة يُعرف بها؟ قال ﷺ: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - مقتضى الربوبية الإلهية هداية من يقبل الحق ومن عنده له سعة صدر، ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

٢ - الإيمان بالدين والتسليم للحق يتوقف على سعة الصدر وهو من عند الله ﷻ، ﴿شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾.

٣ - أصحاب سعة الصدر يمكنهم تمييز الحق من الباطل بالنور الذي يهبهم إياه الله ﷻ، ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

٤ - قسوة القلب تمنع من الاستنارة بنور الله ﷻ، ﴿لِّقَسِيَّةٍ قُلُوبِهِمْ﴾. (استبدل التعبير بقساوة القلب عن التعبير بضيق الصدر مع أنه المعنى المقابل لسعة الصدر؛ لأن من يكون صدره ضيقاً قد ينفذ فيه الحق خلافاً لمن كان قلبه حجراً وقاسياً، فإنه لا ينفذ فيه الحق).

٥ - ليس لأهل التسليم سوى هدف واحد وطريق واحد، وأما الضالون والمنحرفون فلكل واحد منهم هدف، (كلمة «صدر» وردت بصيغة المفرد، وأما «قلوبهم» فقد وردت بصيغة الجمع).

٦ - سعة الصدر والنور في القلب من الله ﷻ، ﴿شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، وأما الضالون والمنحرفون فقال في حقهم: ﴿لِّقَسِيَّةٍ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾

### إشارات

□ الحديث هو القول والكلام ولكن المراد من الحديث في هذه الآية هو القرآن، ووصف القرآن بأنه أحسن الحديث لما فيه من الجامعية، والحقانية، والثبات، والفصاحة والبلاغة.

□ كلمة (متشابه) من التشابه، أي إن لها أكثر من معنى. ومن معانيها وجود بعض الآيات التي لها أكثر من معنى مقابل الآيات المحكمة التي تكون بيّنة وواضحة

المعنى، وفي هذه الآية ورد وصف بعض الآيات بأنها من المتشابه. ﴿...وَمَنْ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَةٌ...﴾<sup>(١)</sup>، ولكن المتشابه في الآية الواردة في هذه السورة المراد منه شَبَه الآيات بعضها ببعض، فهي صفة لكافة آيات القرآن الكريم.

□ المثنائي جمع مثنى وهي بمعنى الانعطاف، أي إن آيات القرآن بعضها معطوف على بعض، فبعضها يفسر بعضاً، وبعبارة أخرى: إن المفهوم الواحد تتعدد الألفاظ التي تعبر عنه في الآيات.

### التعاليم

١ - القرآن هو أحسن الحديث، ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾؛ (لأنه أصدق كلام)، ﴿...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا﴾<sup>(٢)</sup>؛ وهو فصل الخطاب: ﴿...فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢ - تشابه آيات القرآن الكريم بتمامها فلا تضاد بينها ولا اختلاف، ﴿مُتَشَابِهًا﴾.

٣ - تظهر آثار الخوف من الله في جسم المؤمن وعلى بدنه، وصورته تحكي عن سيرته، ﴿نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

٤ - عندما يسمع المؤمن آيات الله التي تتحدث عن العذاب يُصاب بالخوف، ﴿...نَفْسَعِرُ﴾، كما أنه عندما يسمع آيات الله التي تتحدث عن الرحمة يأتيه الأمل، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾.

٥ - القرآن كتاب هداية من الله ﷻ، ﴿كِتَابًا... ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾.

٦ - وقر الله ﷻ أسباب الهداية للناس كافة، ولكن بعضهم، فحسب، يهتدي بهدى الله، ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ... يَهْدِي... يُضِلُّ﴾.

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٧.

﴿أَفَمَنْ يَنْتَقِي بَوَجهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾  
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَلْهَمَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

## إشارات

□ كلمة وجه في قوله تعالى: ﴿بَوَجهِهِ﴾ هي بالمعنى المعروف، ولكن لعل المراد منها في هذه الآية الطريقة والسبيل، نظير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجهَةٌ هَوًى مَوْلَاهَا...﴾<sup>(١)</sup>، حيث ليس المراد من الوجه المعنى المعروف، أي إنَّ كلَّ أحدٍ يختار بما يملكه من إمكانات وقدرات الطريق الذي يرفع به السوء والخطر عنه.

## التعاليم

- ١ - تقوى الله في هذه الدنيا هي سبب للبعد عن العذاب الإلهي في القيامة، ﴿يَنْتَقِي بَوَجهِهِ﴾.
- ٢ - من العذاب الذي يطال العصاة في يوم القيامة الكلام المهين بحقهم، ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾.
- ٣ - ما يوجب عذاب الإنسان في يوم القيامة هي المعاصي التي ارتكبها عن علم والتفات، ﴿تَكْسِبُونَ﴾.
- ٤ - تاريخ الكفار والطواغيت الماضين فيه من العبر ما يكون درساً للآتين، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٥ - يد الله ﷻ مطلقة في عذاب العصاة وله أن يعذبهم من حيث لا يتوقعون، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.
- ٦ - ليس كلَّ العذاب موكول إلى يوم القيامة، ﴿الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٧ - عذاب القيامة عذاب عظيم ومستدام، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.

٨ - ما يقوم به الكفار والمكذبون هو بسبب عدم علمهم بعظمة عذاب يوم القيامة وشدته، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢٨)

### التعاليم

- ١ - المهم هو الموعظة والتذكير لهذا الإنسان سواء كان ذلك عن طريق الاستدلال أو عن طريق ذكر الأمثال، ﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ... مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.
- ٢ - تأثير المثل على عامة الناس أشد من تأثير الاستدلال، ﴿لِلنَّاسِ﴾.
- ٣ - كلُّ مثلٍ فيه موعظة لهذا الإنسان وتذكير له وتحذير عن الوقوع في الغفلة تعرّض له القرآن الكريم، ﴿كُلِّ مَثَلٍ... يَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ٤ - فطرة الإنسان نقيّة والحقيقة كامنة في داخله، ولكنه يُصاب بالغفلة عنها، ولذا كان تذكيره بها ضرورياً، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ٥ - تكرار كلمة قرآن في الآيتين بشكلٍ متتالي يدلّ على أنّ القرآن كتاب للقراءة، التعلّم، وسبب للنجاة، ﴿هَذَا الْقُرْآنُ... قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.
- ٦ - بملاحظة الآية ٢٣ والتي ورد فيها وصف القرآن بأنه أحسن الحديث يعلم أنّ من علامات أحسن الحديث أن يحتوي على الأمثلة الواضحة والبعيدة عن الانحراف، ﴿كُلِّ مَثَلٍ... قُرْآنًا عَرَبِيًّا... غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.
- ٧ - كلُّ كتابٍ يقبل التغيير والتكامل، وتظهر الثغرات فيه عاجلاً أو آجلاً، (ولذا يعتذر كافة الكتاب من ذوي الشأن في مقدّمة كتبهم عن أيّ ضعف في كتابهم) إلّا القرآن فإنه كامل لا ريب فيه، ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾.
- ٨ - التقوى تكون في ظلّ الالتفات المستمرّ والتذكّر المستدام، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ... لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.
- ٩ - يكفي في السعي للدعوة إلى الدين احتمال التأثير ولا يشترط في الدعوة أن يكون لدى الداعية يقين مائة بالمائة بالتأثير، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ  
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩)

### إشارات

□ ورد في الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وفي هذه الآية ذكر أفضل مثل يصف فيه حال المشركين. وهذا المثل نظير المثل الذي ذكره يوسف عليه السلام للمشركين في السجن حيث قال: ﴿...أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١).  
□ متشاكسون أي شركاء من ذوي الأخلاق السيئة الذين يعيشون حالة خلاف مستمر.

### التعاليم

- ١ - لا يهم الموحد سوى أن ينال رضا الله الواحد فقط، وأمّا المشرك فيعيش في كل لحظة همّ رضا أكثر من شخص، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ... سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾.
- ٢ - لا مانع في المسائل الدينية من التمثيل في حقّ الله تعالى، كما ورد في هذه الآية وصف التسليم أمام الله تعالى بتسليم العبد المملوك أمام مولاه، ﴿سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾.
- ٣ - كافة الناس وكافة الطرق يقع فيها التضادّ والتزاحم عدا الله تعالى والطريق إلى الله، وذلك لما بين الطبائع والإرادات من اختلاف كبير، ﴿شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾.
- ٤ - وضوح الحقائق من الموارد التي تستحقّ الشكر، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ... الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ٥ - من الواضح للعقل واللفطرة الفرق بين الطمأنينة التي يعيشها المؤمن والقلق الذي يعيشه المشرك، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾.
- ٦ - لا يعلم أكثر الناس بأضرار الشرك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُم مَّيِّتُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّصُونَ ﴿٣١﴾

### إشارات

□ من النماذج التي ذكرها القرآن لتخاصم الناس في يوم القيامة: قول المستضعفين للمستكبرين: ﴿...لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>؛ ولكن جواب قادة الكفر يكون: ﴿قَالُوا بَلْ لَّوْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. ويقولون لهم أيضاً: ﴿...أَنْتُمْ مَكْدُونٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم

- ١ - كون الشخص محبوباً لا يمنع من جريان السنن الإلهية في حقه ومنها الموت، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾.
  - ٢ - الأنبياء كسائر البشر في حياتهم الاعتيادية، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾.
  - ٣ - كن صريحاً في حديثك حتى مع من تحب، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾.
  - ٤ - إذا أردت أن تبين أمراً صعباً وشاقاً فابدأ بنفسك، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُم مَّيِّتُونَ﴾.
  - ٥ - للقيامة مراحل مختلفة:
- ففي مرحلة هي مرحلة تخاصم الناس في ما بينهم، ﴿تَخَصُّصُونَ﴾.
  - وفي مرحلة يأتيهم الخطاب بالنهي عن المخاصمة، ﴿...لَا تَخَاصَّمُوا لَدَى...﴾<sup>(٤)</sup>.
  - وفي مرحلة أخرى يُخْتَم على أفواههم، ﴿...تَخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ...﴾<sup>(٥)</sup>.

(٤) سورة ق: الآية ٢٨.

(٥) سورة يس: الآية ٦٥.

(١) سورة سبأ: الآية ٣١.

(٢) سورة الصافات: الآية ٢٩.

(٣) سورة سبأ: الآية ٣٢.

## الجزء (٢٤)

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢)

## إشارات

□ المراد من الصديق في الآية هو كلام الله ﷻ المنزل على نبيه ﷺ والذي بلغه إلى الناس وهو القرآن.  
□ «مَثْوًى» من الشواء، وهو محل الإقامة الدائم.

## التعاليم

- ١ - من أسوأ أنواع الظلم، الظلم الذي ينال ثقافة المجتمع وتفكيره، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾.
- ٢ - يلجأ الكفار ودون أي تردد أو انتظار إلى تكذيب الحق بمجرد استماعه، ﴿كَذَّبَ... إِذْ جَاءَهُ﴾.
- ٣ - من أساليب الدعوة والتبليغ توجيه الأسئلة الوجدانية، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ... أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤)

## إشارات

□ للصدق مصاديق عدة:

- الصدق في القول: ﴿جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾.
- الصدق بالوعد: ﴿...إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ...﴾<sup>(١)</sup>.



- الصدق في العهد: ﴿...صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾<sup>(١)</sup>.  
 - الصدق في العمل: ﴿...أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا...﴾<sup>(٢)</sup>.  
 ومن كان صادقاً في جميع أنواع الصدق يطلق عليه وصف (الصدّيق).

### التعاليم

- ١ - المبلّغ لدين الله ﷻ إنّما يكون أهلاً للثناء والمدح متى كان عاملاً بما يدعو إليه، ﴿جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾.
- ٢ - لا تختص الدعوة إلى الدين بالنبي ﷺ، ﴿جَاءَ بِالْصِّدْقِ... أُولَئِكَ﴾؛ (الشاهد ورود كلمة أولئك وليس هو). كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي...﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - من صفات المتقين الدعوة إلى دين الله، ﴿جَاءَ بِالْصِّدْقِ... الْمُتَّقُونَ﴾.
- ٤ - السبيل للوصول إلى نعم الجنة إرادة أهل الجنة، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾.
- ٥ - لا حدّ لللطاف الإلهية في الجنة، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾.
- ٦ - المتّقون هم المحسنون، ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ... الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

### التعاليم

- ١ - الثواب الذي يكتبه الله ﷻ للدعاة إلى دين الله، العفو عنهم والصفح عن أخطائهم، ﴿جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ... يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.
- ٢ - لا منافاة بين مقام التقوى والإحسان مع صدور بعض السيئ من الأعمال،

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(فضمير عنهم يرجع إلى المحسنين والمتقين الذين تعرّض لهم في الآية السابقة)، ﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾.

٣ - من اللطف الإلهي أن يكفر عنهم أسوأ سيئاتهم وأن يجزيهم أحسن الجزاء، ﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ... وَيجزيهم أجراً بأحسن﴾.

٤ - الطهارة من الذنب وآثاره مقدّمة لنيل اللطف الإلهي. (فاولاً يكفر، وبعد ذلك يجزيهم).

٥ - جزاء المتقين والمحسنين من الله بسبب أحسن ما كانوا يعملون. (عملهم المتوسط الحسن لهم عليه أفضل الجزاء)، ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي...﴾.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۖ﴾

### إشارات

□ وجه المشركون تحذيراً للنبي ﷺ بأن إهانة أصنامهم سبب لما يلحق به من أذى وعذاب، فنزلت الآية مطمئنة النبي ﷺ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

□ تعرّض القرآن الكريم وفي آيات عديدة بالإخبار عن كون النبي ﷺ مصوناً عن أن يناله ضرر المتآمرين عليه. كقوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾<sup>(١)</sup>، و﴿إِنَّا كُنْزُكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. كما حفظ الله ﷻ نوحاً من الطوفان، وإبراهيم من النار، وموسى من أذى فرعون، وكذلك حفظ عيسى.

□ وظيفتنا العبودية لله ﷻ في أيّ حال. ورد في الحديث: «من أصبح وهمومه هم واحد، كفاه الله هموم الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.

## التعاليم

- ١ - إذا أخلص الإنسان العبودية لله ﷻ كفاه الله وكفل له وضمن له كل شيء، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.
- ٢ - طمأنينة القلب عند مواجهة تهديد الكفار تكون بالاستعانة بالله والكفالة الإلهية، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ﴾.
- ٣ - وسيلة الكفار السعي لإيجاد جوٍّ من الرعب والخوف، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.
- ٤ - الهداية والضلال بيد الله ﷻ، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ... يَهْدِي اللَّهُ﴾؛ ولكن التوفيق لنيل مقدمات تلقى الهداية الإلهية أو الحرمان منها بيد الإنسان. ولذا نقرأ في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿...لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٥ - لا تخش قلّة العدد والعتاد، بل ما ينبغي الخوف منه هو الخروج عن العبودية لله ﷻ، فما دامت العبودية لله ﷻ فإنَّ أيَّ قوّة تعجز عن إلحاق الهزيمة بك، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ﴾.
- ٦ - يصل الإنسان في قسوة قلبه حدّاً لا يمكن لأيّ هدى أن يؤثر فيه، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾؛ ويصل الإنسان في إيمانه حدّاً لا يمكن لأيّ شيء أن يوجب ضلاله أو انحرافه، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ﴾.
- ٧ - إضلال الله ﷻ للإنسان لا يتحقّق دون مقدمات، بل هو نتيجة لعمل الإنسان، ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾.
- ٨ - حماية الله ﷻ تكون تارة بكفالة عبده وأخرى بالانتقام من أعدائه، ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾.

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٢) سورة غافر: الآية ٢٨.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾

### إشارات

□ تعرض القرآن الكريم في العديد من الآيات لاعتراف المشركين وإقرارهم بأن الله ﷻ هو خالقهم. فلاحظ مضافاً إلى الآية المذكورة أعلاه الآيات ٦١ إلى ٦٣ من سورة العنكبوت، والآية ٢٤ من سورة لقمان، والآية ٩ و ٨٧ من سورة الزخرف.

□ كلمة (ضرّ) تقع مقابل الرحمة، وهي أي بلاء أو شدة.

□ الضمير (هنّ) للمؤنث وهنا استعمل في حق الأصنام؛ لأنّ العرب كانت تطلق على الأصنام أسماء الإناث: كالكلات، ومناة، والعزى.

### التعاليم

- ١ - يعترف عبدة الأصنام بأنّ الله ﷻ هو خالقهم؛ (ولكنهم يرون للأصنام دوراً في الربوبية والشفاعة)، ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.
- ٢ - ليس للأصنام أي تأثير على الإرادة الإلهية، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ... هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ﴾.
- ٣ - من يستحقّ العبادة هو من يملك القدرة على إيصال النفع أو دفع الضرر، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ... هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ﴾.
- ٤ - دفع الضرر أولى من جلب المصلحة؛ ولذا ورد قوله: ﴿كَاشِفَتُ ضَرِّيهِ﴾، قبل قوله: ﴿مُمْسِكَةٌ رَحْمَتِهِ﴾.
- ٥ - لا ينبغي التوكل إلّا على الله ﷻ؛ (ولذا وردت كلمة عليه قبل كلمة يتوكل، للدلالة على الانحصار).



﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١)

### إشارات

□ خلافاً لمن يظن أن مضامين الوحي قد أُلقيت إلى النبي ﷺ وأنه نقل تلك المضامين بالفاظ وعبارات من عنده، فإن القرآن ينصُّ على أن عين كلمات الكتاب قد أنزلت من الغيب: ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾.

### التعاليم

- ١ - لقد كان القرآن في زمان النبي ﷺ على شكل كتاب، ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾.
- ٢ - الكتاب أنزل للناس كافة، ﴿لِلنَّاسِ﴾.
- ٣ - كلُّ ما في القرآن حقٌّ بتمامه ولا مجال فيه للباطل أو للتحريف، وكذلك نزول هذا الكتاب هو بالحق، ﴿بِالْحَقِّ﴾.
- ٤ - للإنسان حرية اختيار الطريق الذي يُريده، ﴿فَمَنِ اهْتَكَيْتَ... وَمَنْ ضَلَّ﴾.
- ٥ - الله ﷻ ورسوله في غنى عن إيمان الناس، ﴿فَمَنِ اهْتَكَيْتَ فَلِنَفْسِهِ﴾.
- ٦ - وظيفة النبيّ البلاغ لا إجبار الناس. (حتى الأنبياء ليس لهم الحق في فرض العقيدة على الناس) ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.
- ٧ - الهداية الحقيقية والتامة لا تتم إلا في ظل الكتاب السماوي، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ... فَمَنِ اهْتَكَيْتَ﴾.
- ٨ - يسأل الله ﷻ نبيّه ﷺ أمام عناد الكفار وإصرارهم، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

### إشارات

□ يتوفى من وقى وهو بمعنى الأخذ التام للشيء، والمراد منها عندما تستعمل في الموت أخذ الروح تامة.

□ سؤال: ورد في الآية ٦١ من سورة الأنعام: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، وورد في الآية ١١ من سورة السجدة: ﴿يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾، وورد في هذه الآية: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾. فكيف يمكن الجمع بينها؟

الجواب: ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَعْوَانًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَقْبِضُونَ الْأَرْوَاحَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ لَهُ أَعْوَانٌ مِنَ الْإِنْسِ يَبْعَثُهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ فَتَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَيَتَوَفَّاهُمُ مَلِكُ الْمَوْتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ مَا يَقْبِضُ هُوَ، وَيَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تعالى مِنْ مَلِكِ الْمَوْتِ<sup>(١)</sup>.**

□ ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء، وبقيت روحه في بدنه، وصار بينهما سبب كشعاع الشمس. فإن أذن الله في قبض الأرواح، أجابت الروح النفس. وإذا أذن الله في رد الروح، أجابت النفس الروح<sup>(٢)</sup>.

□ سؤال: أين تذهب الروح بعد أن تنفصل عن الجسد عند الموت؟

الجواب: تحلّ الروح في بدنٍ مماثلٍ لهذا البدن والذي يطلق عليه اسم البدن المثالي، وتلتحق بعالم البرزخ بذلك البدن، فتتال النعيم أو العذاب، والنفس في عالم الرؤيا بهذا البدن والقلالب المثالي ترى ذلك العالم وتتجول في الأنحاء.

□ جسم الإنسان بحكم السيارة والروح بحكم سائق السيارة.

(٢) مجمع البيان، ج ٨، ص ٤٠٤.

(١) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٤٤.

فتارة تعمل السيارة والسائق خلف هذه السيارة، وهذه حال الإنسان عند اليقظة.

وأخرى تعمل السيارة ولكن السائق ليس في داخلها، وهذه حال الإنسان عند النوم؛ لأن القلب والمعدة وسائر الأعضاء تعمل؛ ولكن الروح قد انفصلت عن البدن وألحقت بالبدن المثالي. وهذا البدن المثالي هو الذي نراه في الحلم وبه نساfer ونسير ونتحرك وهو ما يسمى بالقلب المثالي، وهو من الخفة بنحو يمكن أن نحلق فيه في السماء ونعبر المحيطات ونجول في الأطراف دون واسطة. وأخرى تكون السيارة لا تعمل والسائق ليس في داخلها وهي حالة الموت<sup>(١)</sup>.

□ شبه أئمة الدين الموت والقيامة بالنوم والاستيقاظ. فورد في الحديث: «كما تنامون تموتون»<sup>(٢)</sup>.

وورد أن ممّا وعظ به لقمان عليه السلام ابنه أن قال: يا بني إن تك في شك من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم

- ١ - الجسم والروح حقيقتان مستقلتان وعند الموت أو النوم تنفصلان، وتبقى الروح بعد الموت، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾.
- ٢ - الموت أخو النوم، ﴿حِينَ مَوْتِكَا... فِي مَنَامِكَا﴾.
- ٣ - إذا علمنا أن الروح تسلم عند النوم فإن ذلك يُبعدنا عن الغفلة والغرور، ﴿وَأَلْبَى لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِكَا﴾.
- ٤ - الموت والحياة بيد الله ﷻ، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى... قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ... وَيُرْسِلُ﴾.

(١) للمؤلف بيان يرتبط ببحث البرزخ مذكور في كتاب المعاد.

(٢) رُوي هذا الحديث في كتب عدة منها: الروضة من الكافي، ترجمة: رسول محلاتي، ج ٢، ص ١٢٨؛ رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، ج ٢، ص ٢٣.

(٣) تفسير مخازن العرفان.



- ٥ - لم يكتب الخلود لأحد في هذه الحياة، ﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرِينَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.
- ٦ - الناس كلّها تنام وتستيقظ، ولكن من يعتبر بذلك هم أهل التفكر، ﴿لَا يَنْتَبِهُونَ إِلَّا بِأَنَّاسٍ يُفَتِّتُونَ﴾.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٣)

### إشارات

- لا بدّ للشفيع من أخذ الإذن بالشفاعة من الله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. ولكن من أين الإذن للأصنام؟ فالشفيع لا بدّ من أن يكون ممّن يحبه الله ويرضى عنه، والأصنام لا يحبها الله ولا يرضى بها.
- ورد في الآية ١٨ من سورة يونس قول المشركين: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾، ونقرأ في الآية ٣ من السورة نفسها قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾، وفي هذه الآية يوجّه السؤال للمشرّكين بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾.
- نحن نتوسّل بالأئمة المعصومين ﷺ ونستمدّ منهم الشفاعة لأننا نعرف من الآيات والروايات أنّ الحياة البرزخية ثابتة لأولياء الله ﷻ، ونعلم بقدرة هؤلاء من خلال آلاف النماذج العملية التي نشهدها باستجابة الدعاء والمعجزات والكرامات.

### التعاليم

- ١ - لا يرى بعض المشركين في الأصنام أنّهم آلهة، بل شفعاء ووسطاء لدى الله ﷻ، ﴿أَتَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾.
- ٢ - لا بدّ للواسطة بين الإنسان والله ﷻ من أن تكون مدرّكة للحاجة، وأن تكون قادرة على مدّ يد العون، ولا تملك الأصنام أيّاً من الأمرين، ﴿لَا يَمْلِكُونَ... لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤٤)

### إشارات

□ سؤال: هل يملك غير الله ﷻ من الرحمة والمحبة ما يزيد به عن الله ﷻ حتى تتعلق الإرادة الإلهية بالعذاب ولكن شفاعة الشفعاء تكون أقوى وأشد؟

الجواب: تذكر الآية أن الشفاعة تختص بالله ﷻ وأن شفاعة النبي والإمام ورحمته وشفقته ترجع إلى لطف ورحمة الذات الإلهية المقدسة فهو الذي يأذن بذلك. ﴿مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾<sup>(١)</sup>، وطريق الوصول إلى هذا اللطف هم أولياء الله ﷻ، ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾.

### التعاليم

١ - يعتمد الأسلوب التربوي في القرآن الكريم على دفع كل الأسباب الموجبة للاعتقادات الفاسدة وبيان الأسباب الموجبة للاعتقاد الصحيح. لذا يوجه خطابه للذين يعتقدون أنهم قد يجدون العزة هنا أو هناك بـ ﴿...إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾<sup>(٢)</sup>، فلماذا الذهاب إلى هنا أو هناك؟، كما يقول تعالى: ﴿...أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٥)

### إشارات

□ المخاطب بهذه الآية وإن كان من لا إيمان له بالآخرة، ولكن من بين المسلمين من تراه يشمئز من ذكر الإسلام الأصيل ويظهر نفوره من ذلك،

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(١) سورة يونس: الآية ١٠.

(٢) السورة نفسها: الآية ٦٥.

فينقبض وجهه عندما يأتي الحديث عن (القصاص والقانون الإلهي)، ولكنه ينشرح عندما يأتي الحديث عن حقوق الإنسان العالمية. عندما يقف في الصلاة ويكون المخاطب في صلاته هو الله فقط تجده في حالة نفور، ولكنتك تراه في غاية النشاط عندما يُلقى محاضرة أو درساً ويكون المخاطب غير الله ﷻ.

□ ورد في الآية ٤٦ من سورة الإسراء ما يشبه مضمون هذه الآية قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُ بِرَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَن عَلَىٰ أَذْبَنِهِمْ نُفُورًا﴾.

### التعاليم

- ١ - يعرف الإنسان مدى إيمانه وتصديقه بالآخرة بملاحظته لمدى اهتمامه أو نفوره من الأحكام الإلهية، ﴿أَشْمَازَتْ... يَسْتَبْشِرُونَ﴾.
- ٢ - بين التوحيد والمعاد علاقة وثيقة، ﴿ذُكِّرَ اللَّهُ... أَشْمَازَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.
- ٣ - ذكر الله من أسس طمأنينة القلب، ولكنها لبعض الناس سبب للاشمزاز والنفور، ﴿أَشْمَازَتْ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦)

### التعاليم

- ١ - ينبغي على الدعاة إلى دين الله والقادة الربانيين الذين يقفون بصلاية أمام الكفار، الاستمداد الدائم بذكر الله ﷻ، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾.
- ٢ - الجأ إلى الله ﷻ عند مواجهتك للأفراد الذين يأنسون بذكر غير الله وتشمئز قلوبهم من ذكر الله، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾.
- ٣ - الله ﷻ هو مبدأ الوجود ومنتهاه، فلماذا يتعلق البعض بغير الله ﷻ؟ ﴿مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ... فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٤ - الحكم لله ﷻ في يوم القيامة؛ لأنه العالم بالغيب وبالشهادة، ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.

- ٥ - خلق السموات أهم من خلق الأرض. (ورد ذكر خلق السموات قبل خلق الأرض في جميع آيات القرآن الكريم)، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٦ - علم الله ﷻ بالغيب وبالشهادة واحد، ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.
- ٧ - الناس كلهم على ما بينهم من اختلاف هم عباد لله ﷻ، ﴿عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.
- ٨ - الاختلاف بين الموحدين والمشركين دائم وأبدى، ﴿كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.
- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧)

## إشارات

□ للقائمين بالأسفار من الثواب في يوم القيامة ما لا يعلمه أحد، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾<sup>(١)</sup>، ويظهر للظالمين ما لم يكونوا يحسبون له حساباً: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾. ويقال للظالم: لقد كنت في غفلة عن هذا فكشفنا عنك غطاءك.

## التعاليم

- ١ - ليس لأحد في يوم القيامة من مالٍ أو ثروة يفدي بها نفسه، ﴿وَلَوْ...﴾.
- ٢ - لا شيء في يوم القيامة يحول دون الحكم على المجرمين، ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ... وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.
- ٣ - تغلب غريزة حب الذات على غريزة حب المال، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ... لَافْتَدَوْا بِهِ...﴾.
- ٤ - إذا كنا اليوم نختلف على الدرهم، فعلينا أن نعلم أن ضعف ما في هذه الدنيا من مالٍ لا يكفي لنجاتنا في يوم القيامة، ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾.

- ٥ - الحكم الإلهي على العباد يقتزن بظهور ما فعله العباد من المعاصي للإنسان بنحو لا يمكن إنكاره، ﴿تَتَكَبَّرُ بَيْنَ عِبَادِكَ... وَبَدَا لَهُمْ﴾.
- ٦ - حسابات الإنسان ليست واقعية ولا حقيقية، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

### التعاليم

- ١ - يوم القيامة هو يوم انكشاف الحقائق وظهورها وظهور كافة الأسرار، ﴿بَدَا لَهُمْ﴾.
- ٢ - أول هزيمة معنوية يُمنى بها الكافر هو ظهور وانفضاح ما ارتكبه من جرم، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾.
- ٣ - أول ما يظهر في حساب العصاة في يوم القيامة وبالقدرة الإلهية ما لم يكن في حساباتهم، ثم يُكشف عن أعمالهم التي يعترفون بقبحها، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا... وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ﴾.
- ٤ - الاختلاف يكون جرماً متى اقترن بالظلم، الاستهزاء والتعمد والإصرار، ﴿ظَلَمُوا... كَسَبُوا... كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ٥ - العذاب الإلهي سوف يحيق بالكفار من كل جانب، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَحْمُ إِذَا حَوَّلَتْهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

### إشارات

□ تعرّض القرآن الكريم مكرراً لحال الإنسان حيث يلجأ إلى الله ﷻ عند الشدائد والابتلاءات؛ ولكنه ينسى الله ﷻ في الرخاء، وهذا دليل عدم كونه شاكراً لله ﷻ.

## التعاليم

- ١ - الإنسان موجود معرض للضرر، ﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾.
- ٢ - عجز الإنسان عظيم إلى الحد الذي يلجأ إلى النداء بمجرد أن يمسّه الضرر، ﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَاكَ﴾.
- ٣ - الضرر الذي يلحق بالإنسان بسبب عمله، ولأجل امتحانه واختباره، وأما النعم فهي من لطف الله، ﴿مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ... حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً وَإِنَّا﴾.
- ٤ - الابتلاءات والمصائب تجعل الإنسان يعترف بعجزه، وتعيده إلى فطرة الإيمان بالله ﷻ وتجعله ذاكراً لها، ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَاكَ﴾.
- ٥ - الدعاء مع الإخلاص سبب لنزول الرحمة الإلهية، ﴿دَعَاكَ... حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً﴾.
- ٦ - النعمة والاستقرار سبب للغفلة والغرور، ﴿حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً... إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.
- ٧ - الإنسان موجود كفور وغير شاكِر، ﴿حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً... إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.
- ٨ - المذموم هو نسيان النعمة الإلهية، ولا تدل الآية على أن لا تأثير للعلم في تطوير الحياة، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.
- ٩ - أكثر الناس لا يعلمون أن النعم والبلاء الذي يلحق بهم هو لامتحانهم واختبارهم ليعلم من كان منهم شاكراً ومن كان منهم كافراً، ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾

## إشارات

□ ورد في الآية الخمسون أن ما اكتسبوه في هذه الدنيا لن يُغني عنهم في يوم القيامة، وقد ورد في آيات أخرى بيان مصاديق ما اكتسبوا:

- ﴿...لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

- ﴿...مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿...لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد كان قارون يرى أنَّ ما يملكه من مالٍ إنّما وصل إليه بسبب ما امتاز به من علم ومن سياسة اقتصادية فقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾<sup>(٤)</sup>، ولذا أشارت الآية هنا إلى مقولته فقال تعالى: ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

### التعاليم

١ - ينبغي الاستفادة من النماذج التاريخية للهداية والتربية، ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٢ - التاريخ خير شاهد على أنَّ المال والثروة ليست سبباً لنجاة الإنسان عند نزول العذاب الإلهي لا في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وفي قصة قارون قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ أَلْمُنْتَصِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٣ - السنن الإلهية تسير وفقاً للقانون، وهي ثابتة لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان. فبالنسبة للماضين: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾، وبالنسبة للآتين: ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾.

٤ - أسباب النجاة في يوم القيامة ليست هي المال والسلطة، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

٥ - مصير الإنسان بيده، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾.

٦ - يعجز المجرمون عن دفع عذاب الله ﷻ عنهم، ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٨.

(٥) السورة نفسها: الآية ٨١.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٨.

(٣) سورة الطور: الآية ٤٦.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

### إشارات

- ورد في الآية ٤٩ أن الإنسان ينسب النعم الإلهية إلى نفسه وما لديه من علم، وهذه الآية بينت أن سبب ذلك هو جهل الإنسان.
- ورد في بعض الروايات: إن الله تعالى وسّع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ويعلموا أن الدنيا ليس يُنال ما فيها بعملٍ ولا حيلة<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - السعي وبذل الجهد وما لدى الإنسان من علم وإن كانت شروطاً ضرورية لكسب الرزق؛ ولكنها ليست شروطاً كافية وليست علّة نهائية لذلك: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾. (لا ينبغي أن يعتمد الإنسان على ما لديه من إمكانات ومن علم فقط؛ بل عليه أن يعلم أن ثمة قدرة أخرى دخيلة في ما يصل إليه).

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

### إشارات

- تضمّنت الآيات السابقة تهديداً لأصحاب الغرور وهذه الآية تحمل بشارة لأهل الذنوب من التائبين.
- كافة كلمات هذه الآية تشتمل على اللطف والمحبة من الله ﷻ:

  - ١ - تأمر النبي ﷺ بالإعلان الصريح عن البشارة، ﴿قُلْ﴾.
  - ٢ - يجعل الله ﷻ من الإنسان محلاً لخطابه، ﴿يَبْعَادَى﴾.



- ٣ - يرى الله ﷻ الخلق كلهم عباداً له ويستحقون تلقى رحمته، ﴿يَعْبَادِي﴾.
- ٤ - جناية العصاة كانت على أنفسهم ولم يضرّوا الله شيئاً، ﴿أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٥ - اليأس من رحمة الله حرام، ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾.
- ٦ - رحمة الله ﷻ لا حدّ لها، ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ﴾ (أضيفت الرحمة إلى الله - رحمة الله - ولم تضاف للضمير، رحمتي - للدلالة على شمول الرحمة وسعتها؛ لأنّ لفظ الله هو الاسم الجامع).
- ٧ - الوعد بالرحمة الإلهية قطعي، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ﴾.
- ٨ - الله ﷻ يعفو على الدوام، ﴿يَغْفِرُ﴾.
- ٩ - يعفو الله ﷻ عن الذنوب جميعاً، ﴿الذُّنُوبَ﴾.
- ١٠ - يؤكّد الله ﷻ عفوه على الذنوب كافة، ﴿جَمِيعاً﴾.
- ١١ - الله ﷻ غفور رحيم، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

فبهذه الرأفة والمحبة والرحمة يعلن الله ﷻ لعباده أنّ التهديد والوعيد في الآيات السابقة هو لتربية هذا الإنسان وليست من باب الانتقام والتشفي.

□ للإسراف في الاصطلاح القرآني معنًى واسع، فهو يشمل مضافاً إلى الإسراف في المال الإسراف في الروح والنفس، أي أن يخرج الإنسان عن حدّ الاعتدال في الاستفادة ممّا يملكه من قدرات وطاقات ويقع نتيجة ذلك في الإفراط والتفريط.

□ ليس مراد القرآن من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ أن يُقدّم الإنسان على المعصية ويقول إنّ الله يغفر الذنوب، بل المراد إنّ المذنبين مهما كان عددهم كبيراً فإنّ العفو الإلهي يشملهم، ولا ينبغي أن يدخل اليأس من رحمة الله إلى قلوبهم، ومن الطبيعي أن يكون طريق نيل الرحمة الإلهية بالتوبة وتدارك الذنب كما سوف يأتي في الآية القادمة.

## التعاليم

- ١ - القوانين والأحكام الإلهية هي في حد الاعتدال، فتجاوز الناس عن هذه الأحكام خروج عن حد الاعتدال، ﴿أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٢ - لا فرق في العفو الإلهي بين أنواع الذنوب وكونها صغيرة أو كبيرة، ﴿الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.
- ٣ - اليأس من رحمة الله منهية عنه، ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾.
- ٤ - العفو عن الذنوب هو مقتضى الرحمة الإلهية، ﴿رَحْمَةً اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ﴾.
- ٥ - الأمل برحمة الله باب لنيل العفو الإلهي، ﴿لَا تَقْنَطُوا... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ﴾.
- ٦ - إِنَّ اللَّهَ ۖ هُوَ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إذ قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ بدلاً من «إنه غفور».

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

## إشارات

□ تعرّضت الآية السابقة للحديث عن الرحمة والمغفرة من الله ۞ لتفتح الباب أمام الناس للعودة إلى الله ۞، وهذه الآية تأمر بالتوبة والإنابة، وبيان أهمية التوبة وضرورتها تتعرّض لخطر العذاب الإلهي.

## التعاليم

- ١ - التوبة شرط لشمول المغفرة الإلهية للعبد، ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾.
- ٢ - لا بدّ من أن تصدر التوبة عن تسليم وإلا كانت نفاقاً، ﴿وَأَنِيبُوا... وَأَسْلِمُوا﴾.
- ٣ - المغفرة الإلهية مشروطة بالتسليم واتباع الأوامر الإلهية، ﴿وَأَسْلِمُوا﴾.
- ٤ - يجب اغتنام الفرصة بالتوبة قبل نزول العذاب، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾.

٥ - لا طريق للنجاة أمام هذا الإنسان سوى بالعودة إلى الله ﷻ ونيل النصرة منه ﷻ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥)

### إشارات

□ الأفعال الإلهية تقع على أحسن وجه، فخلق الله ﷻ على أحسن وجه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...﴾<sup>(١)</sup>، ﴿...أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿...فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي القرآن أحسن القصص: ﴿...أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾<sup>(٤)</sup>، وحكمه هو الأفضل: ﴿...وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا...﴾<sup>(٥)</sup>.

كما يأمرنا الله ﷻ بأن نأتي بالعمل على أحسن وجه، واتباع أحسن القول ﴿...فَيَسْئَلُونَ أَحْسَنَهُ...﴾<sup>(٦)</sup>، وأن نقول التي هي أحسن: ﴿...يَقُولُوا أَلَيْسَ هِيَ أَحْسَنُ...﴾<sup>(٧)</sup>. وأن ندفع بالتي هي أحسن: ﴿...أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾<sup>(٨)</sup> وأن نحتي بالأحسن: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾<sup>(٩)</sup>، وأن لا نتصرف في مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾<sup>(١٠)</sup>، وأن يكون جدالنا مع الناس بالتي هي أحسن: ﴿...وَحَدِّثْ لَهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾<sup>(١١)</sup>.

### التعاليم

١ - ينبغي بيان العلل وفلسفة الأحكام عند الدعوة إلى الإسلام؛ (اتباع القرآن لأنه أحسن ما أنزل من الله ﷻ)، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ... مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

(٧) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(٨) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٩) سورة النساء: الآية ٨٤.

(١٠) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(١١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(١) سورة السجدة: الآية ٧.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٣) سورة التين: الآية ٤.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٦) سورة الزمر: الآية ١٨.

٢ - لا تكفي الإنابة والتسليم، بل لا بدّ من العمل، ﴿وَأَنِيبُوا... وَأَسْلِمُوا... وَأَتَّبِعُوا﴾.

٣ - حيث كان عمر الإنسان محدوداً وكانت إمكاناته محدودة وكانت الكمالات كثيرة، فإنّ على الإنسان أن يختار الأفضل والأحسن، ﴿أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾.

٤ - القرآن هو أشمل وأجمع ما أنزل الله ﷻ لهذا الإنسان، ﴿أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ...﴾.

٥ - الأوامر الإلهية وسيلة لهداية الإنسان وتربيته، ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

٦ - لا بدّ من معالجة الحادث قبل وقوعه (التوبة قبل نزول العذاب)، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾.

٧ - العذاب الإلهي يأتي فجأة، ﴿بَغْتَةً﴾.

٨ - العذاب الإلهي يفوق شعور البشر، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (٥٦)

### إشارات

□ الحسرة هي الندم الشديد، والتفريط هو التقصير والمراد من الجنب الجهة والناحية.

□ ورد في الروايات أنّ الأئمة المعصومين ﷺ هم جنب الله، وورد في أكثر من عشر روايات أنّ التفريط في جنب الله هو بعدم نصره أمير المؤمنين ﷺ<sup>(١)</sup>.

□ ورد عن الإمام الباقر ﷺ: «... وَأَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَذْلًا ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

١ - يوم القيامة هو يوم الحسرة، ﴿بِحَسْرَتٍ﴾.

- ٢ - من التفريط ترك الإنابة والتسليم وعدم اتباع الوحي، ﴿فَرَطْتُ﴾.
- ٣ - يجب اتباع ما في جنب الله ﷻ، ﴿جَنِبَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ، أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾.
- ٤ - النتيجة المترتبة على الاستهزاء بالحق في هذه الدنيا الحسرة والخسارة في الآخرة، ﴿بَحَرَّتْ... السَّخِرِينَ﴾.
- ٥ - يوم القيامة هو يوم الإقرار والاعتراف، ﴿فَرَطْتُ... كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾.
- ٦ - جذور التقصير والتفريط في جنب الله، الاستهانة بأوامر الله ﷻ والأسوأ من ذلك الاستهزاء بها، ﴿لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

### إشارات

□ إن المجرمين وإن قالوا - كما ورد في الآية ٥٧: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، ولكن الجواب عن ذلك ورد في الآية ٥٩: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ عَائِنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

### التعاليم

- ١ - يسعى المذنبون في يوم القيامة لتبرئة أنفسهم، ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾.
- ٢ - لا بد للإنسان من الهداية الإلهية لكي يصل إلى النجاة والاستقامة، ﴿أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.
- ٣ - علامة التوفيق للهدى الإلهي التقوى والاستقامة، ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.
- ٤ - قيمة التقوى تظهر واضحة في يوم القيامة، ﴿أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.
- ٥ - يغبط المذنبون المتقون للحال التي هم عليها، ﴿...لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

- ٦ - طرق الاجتناب عن الذنوب تذكر أهوال يوم القيامة، ﴿أَوْ تَقُولَ... أَوْ تَقُولَ﴾.
- ٧ - التقوى والإحسان وسيلتان للنجاة في يوم القيامة، ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْظَرِينَ... فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.
- ٨ - أمنية المذنبين في يوم القيامة الرجوع إلى الدنيا للعمل بالإحسان (لأنفسهم وللآخرين)، ﴿لَوْ أَنَّكَ لِي كَرِهًا﴾.
- ٩ - الرجوع إلى الدنيا مستحيل، ﴿لَوْ أَنَّكَ لِي كَرِهًا...﴾؛ (كلمة لو تستعمل في المورد الذي يكون الشيء فيه مستحيلاً).

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

### إشارات

□ يعترف المجرم في يوم القيامة بالعديد من الأمور:

- ١ - الاعتراف بالتقصير: ﴿فَرَطْتُ فِي جُنْبِ اللَّهِ﴾.
  - ٢ - الاعتراف بما كان عليه من الاستهزاء: ﴿لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾.
  - ٣ - تمنّي الهداية: ﴿لَوْ أَنَّكَ لَأَلَّهْتَ هَدَنِي﴾.
  - ٤ - الأمل بالعودة إلى الدنيا: ﴿لَوْ أَنَّكَ لِي كَرِهًا﴾.
- وهذه الاعترافات مقبولة منه عند الله ﷻ ولكنّ الجواب يأتيه عن الاعتراف الثالث كما في هذه الآية بأنّ الله قد هداه، ولكنّه لم يتّبع هدى الله، وأمّا الجواب عن اعترافه الرابع فهو في آية أخرى حيث يقول تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لا يعذّب الله ﷻ أحداً إلّا بعد إتمام الحجّة عليه، ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي﴾.
- ٢ - التكذيب الفوري وبدون تفكير يكشف عن روح التكبر والعناد، ﴿فَكَذَّبْتَ﴾.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى  
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠)

### إشارات

□ للكذب على الله ﷻ وجوه عدة، منها:

- أ - جعل شريك لله ﷻ.
- ب - تشبيه الله ﷻ بالأشياء.
- ج - جعل الملائكة بنات لله ﷻ.
- د - نسبة العمل القبيح لله ﷻ.
- هـ - دعوى الألوهية أو النبوة.
- و - التحريف والبدع في التشريعات الإلهية.

□ ورد في الروايات: من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله ﷺ،  
ومن كذب على رسول الله ﷺ، فقد كذب على الله ومن كذب على الله عذبه  
الله ﷻ (١).

### التعاليم

- ١ - من يكذب على الله ﷻ ليخفي نوره، فإن عقابه في يوم القيامة أن يُحشر  
مسود الوجه، ﴿كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَوُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.
- ٢ - كون الإنسان أسود اللون بحسب الطبيعة ليس عيباً، (كسواد الجلد أو الشعر)  
ولكن السواد العرضي موجب للحقارة والذلة، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾.
- ٣ - سواد الوجه الحقيقي وسواد القلب هو الذي يظهر في يوم القيامة، ﴿وُجُوهُهُم  
مُّسْوَدَّةٌ﴾.
- ٤ - التكبر هو السبب الداعي للكذب على الله ﷻ، ﴿كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ...﴾.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيقَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦١﴾

### إشارات

□ تعرّضت الآية السابقة لاسوداد وجوه الذين كذبوا على الله ﷻ من أهل جهنم، وهذه الآية تتحدث عن المتقين والمهتدين.

### التعاليم

- ١ - التقوى هي وسيلة النجاة والاستقامة، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيقَاتِهِمْ﴾.
- ٢ - لا يصل إلى المتقين شيء من السوء، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ﴾.
- ٣ - لا مجال للحزن في قلوب المتقين، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿٦٣﴾

### إشارات

□ يقرّ المشركون بكون الله ﷻ هو الخالق، كما ورد في الآية ٣٨ من هذه السورة ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، ولكنهم يرون الأصنام أرباباً ومدبرين من دون الله.

### التعاليم

- ١ - الموحد الحقيقي هو الذي يعتقد بالتوحيد بتمام أبعاده:
  - التوحيد في الخالقية: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.
  - التوحيد في الربوبية: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.
  - التوحيد في العبادة؛ في الآية التالية: ﴿أَفَعْبَدِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾.
- ٢ - الخلق جميعاً بحاجة إلى الله ﷻ في أصل وجودهم وفي بقائهم واستمرارهم، ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.



- ٣ - الله ﷻ هو خالق الوجود وله سلطة على الخلق أيضاً، ﴿خَلَقُوا... لَهُمْ مَقَالِيدُ﴾.  
 ٤ - كفر المنكرين لا يضر الله ﷻ شيئاً؛ لأنه مالك السموات والأرض، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾

### إشارات

- الشرك بعد العبادة يمحو أثرها. وقد ورد في هذه الآية وفي الآية ٢١٧ من سورة البقرة أنّ الارتداد سبب لحبط العمل: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ... فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.  
 □ الخطاب في هذه الآيات وإن كان موجهاً للنبي ﷺ، ولكنه خطاب يعم الناس جميعاً، والخطاب إنّما وجه للنبي نظراً لأهمية الموضوع وبيان أنّ الشرك لو حصل من النبي فإن عمله سوف يُحبط ويجازى على ذلك، أو على طريقة: إياك أعني، واسمعي يا جارة.

### التعاليم

- ١ - الجهل أساس كل انحراف، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ... أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي التسليم إطلاقاً لما يريده الجاهلون، ﴿تَأْمُرُونِي... أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.
- ٣ - لا بدّ للعبادة من أن تكون عن معرفة بالمعبود، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ... أَعْبُدُ... أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.
- ٤ - يسعى الجاهلون لجبرّ الناس نحو الانحراف حتى الأنبياء منهم ﴿تَأْمُرُونِي... أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.
- ٥ - نبي الإسلام هو آخر أنبياء الله ﷻ، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؛ (ولم يرد في القرآن إطلاقاً من بعدك).

- ٦ - لا تجاوز عن الشرك بالله من أي كان، ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ﴾.
- ٧ - عصمة الأنبياء لا تمنع من أمرهم ونهيهم وترغيبهم وترهيبهم من الله ﷻ، ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ﴾.
- ٨ - خطر الشرك عظيم جداً (ورد تكرار حرف اللام المفتوحة للتأكيد)، ﴿لَيْنَ... لِيَحْبَطَ... وَلَتَكُونَنَّ﴾.

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

### إشارات

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّ المراد من اليمين القدرة الإلهية<sup>(١)</sup>.
- الأوامر الإلهية على ثلاثة أنواع:
- ١ - الأمر المولوي الصادر من الله ﷻ بما هو مولى، ولا طريق للعقل إلى سره، كالأمر بالطواف حول الكعبة: ﴿...وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾<sup>(٢)</sup>.
  - ٢ - الأمر الإرشادي الذي يدرك العقل السر فيه ويكون الحكم الإلهي إرشاداً إلى حكم العقل. كقوله تعالى: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾؛ لأن شكر ولي النعمة هو من أحكام العقل.

### التعاليم

- ١ - التوحيد في العبادة باب النجاة من الخسران، ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ... بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾.
- ٢ - عبادة الله ﷻ أفضل طريق لشكره، ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.
- ٣ - التوحيد دليل على المعرفة الصحيحة بالله ﷻ، وأما الشرك فأساسه عدم معرفة الله ﷻ، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

(١) توحيد الصدوق، ص ١٦١.

(٢) سورة الحج: الآية ٢٩.

٤ - ليست السموات والأرض بشيء أمام القدرة الإلهية، ﴿قَبَضَتْهُ... مَطَوَّيَتْ بِمِيزْنِهِ﴾

٥ - المعرفة الصحيحة بالله ﷻ تتحقق من خلال التأمل في سعة القدرة والإحاطة الإلهية، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا... وَالسَّمَوَاتُ...﴾.

٦ - لا تلجأ إلى غير الله ﷻ؛ لأنَّ الأمور كلها بيد الله ﷻ، ﴿وَالْأَرْضُ... وَالسَّمَوَاتُ مَطَوَّيَتْ... سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾

### إشارات

□ صريح هذه الآية أنَّ نهاية الدنيا وبداية العالم الآخر يتم عن طريق النفخة. وهذه النفخة ورد التعبير عنها تارة بالنفخ في الصُّور: ﴿...يُفْرَ فِي النَّافُورِ﴾<sup>(١)</sup>، وأخرى بـ ﴿الْفَارَعَةُ﴾<sup>(٢)</sup> وهي التي تفرق القلب، وثالثة بـ ﴿الْفَاكَةُ﴾<sup>(٣)</sup>، وهي الصوت المهلول ورابعة بـ ﴿إِلَّا صَيِّحَةً﴾<sup>(٤)</sup>.

□ التصديق باختلال نظام الوجود وخراب عالم الطبيعة عن طريق إيجاد صوت مهول ومرعب ممكن بالتأمل بصوت الموجات الانفجارية أو خرق جدار الصوت.

□ ورد في الروايات أنَّ الملك الموكل إليه النفخ في الصُّور هو إسرافيل<sup>(٥)</sup>.

□ يموت الناس جميعاً عند النفخ في الصُّور إلا من استثنى ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، وهذا بيان لسعة القدرة الإلهية. أي إنَّ الله ﷻ لا يعجز عن شيء. وحيث

(٤) سورة يس: الآية ٥٣.

(٥) تفسير نور الثقلين.

(١) سورة المدثر: الآية ٨.

(٢) سورة الفارعة: الآية ١.

(٣) سورة عبس: الآية ٢٣.

يصاب الجميع بالموت فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لو شاء لأبقى بعضهم أحياء. كما ورد في بعض الروايات أَنَّ جبرائيل وإسرافيل وميكائيل أو الشهداء هم الذين لا يُصيبهم الموت بالنفخة<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - الموت والبعث بعد الموت لكافة الناس سهل على الله ﷻ؛ لأنه كالنفخ في الصور، ﴿نُفِخَ... فَصَعِقَ﴾.
  - ٢ - ينبغي أن نتيقن بأن القيامة واقعة لا محالة (فيوم القيامة وإن كان أمراً يتعلق بالمستقبل ولكن كل ما يجري فيه ورد التعبير عنه بصيغة الماضي، وهذا دليل حتميته)؛ ﴿نُفِخَ... فَصَعِقَ... ثُمَّ نُفِخَ﴾.
  - ٣ - لا يختص البعث بالإنسان وبمن في هذه الأرض، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.
  - ٤ - بين النفخة الأولى والنفخة الثانية في يوم القيامة زمان طويل ﴿نُفِخَ... ثُمَّ نُفِخَ﴾.
  - ٥ - البعث يكون دفعةً ومفاجئاً، ﴿فَإِذَا هُمْ﴾؛ إذا للمفاجأة.
- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

### إشارات

□ المراد من «نور الرب» إما نور الحق والعدل الذي يُنير به الله ﷻ هذه الأرض، أو المراد منه نور غير نور الشمس والقمر وهو الذي يشرق في ذلك اليوم. نعم ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان أَنَّ المراد من نور الرب هو كشف

(١) أنظر: تفاسير الميزان؛ تفسير نور الثقلين؛ تفسير الدرّ المنثور.

الأسرار والحقائق في يوم القيامة، ويورد لتأييد ذلك قوله تعالى في الآية ٢٢ من سورة ق: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾.

□ ورد في تفسير أطيب البيان أنّ نور الشمس والقمر حيث يُصاب بالخسوف والكسوف فإنّ المراد من نور الربّ هو النور الذي يشرق من المؤمنين. ثمّ ذكر لتأييد ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

١ - تقديم صحيفة الأعمال ومجيء الأنبياء والشهود والحكم بالحقّ في يوم القيامة هي من الأمور الحتمية. (كلمات قضى، وضع وجيء وجاء وردت جميعها بصيغة الماضي).

٢ - الشهود في يوم القيامة متعدّدون (الأنبياء، الأئمة، الملائكة، أعضاء الجسم، الأرض، الزمان، وغير ذلك)، ﴿الْكِتَابُ... بِالنِّيَّتِ... الشُّهَدَاءُ﴾.

٣ - سلوك الإنسان وعمله في هذه الدنيا كلّه خاضع للرقابة من الشهود، وذلك لأنّ شرط الشهادة أن يتحمّلها الإنسان بمعنى أن يكون مشرفاً ومراقباً على الأعمال في هذه الدنيا، ﴿وَجَاءَ بِالنِّيَّتِ وَالشُّهَدَاءُ﴾.

٤ - السؤال في يوم القيامة وإن كان يشمل الأنبياء أيضاً، ﴿...وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولكن إحصار الأنبياء في هذه الآية يكون إلى جانب الكتاب والشهداء، وذلك للشهادة على أعمال أمتهم، ﴿وَجَاءَ بِالنِّيَّتِ وَالشُّهَدَاءُ﴾.

٥ - القضاء والحكم الإلهي يكون على أساس صحيفة عمل الإنسان وشهادة الأنبياء والشهداء، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنِّيَّتِ وَالشُّهَدَاءُ... وَقُضِيَ﴾.

(١) سورة الحديد: الآية ١٣؛ سورة التحريم: الآية ٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦.

﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٧١) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحِتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا فُتِنْتُمْ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾

## إشارات

- «سيق» من «السوق» وهو الجرّ إلى الإمام، ويُطلق السوق على مكان البيع والشراء؛ لأنّ ما فيه من جاذبيّة تسوق الإنسان.
- كلمة زُمَر تعني الجماعات وأطلق هذا الاسم على هذه السورة لوروده في هذه الآية (٧١)، وفي الآية (٧٣)<sup>(١)</sup>.
- يسوق الملائكة أهل جهنّم إلى جهنّم: ﴿وَحَاطَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم

- ١ - لا مجال للزيادة ولا للنقيصة في الثواب والعقاب الإلهيين، ﴿وُفِّيَتْ﴾؛ وهو الوفاء التام والكامل.
- ٢ - لا يُستثنى أحد في يوم القيامة من الثواب والعقاب، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾.
- ٣ - الله ﷻ عالم بكلّ شيء، وإحضار الشهود والشهادة لأجل تنميط نظام محكمة العدل وليس ليعلم الله ﷻ بذلك، ﴿أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.
- ٤ - سوق المجرمين إلى جهنّم فيه مهانة لهم مضافاً إلى العذاب الآخر الذي ينتظرهم، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٥ - أبواب جهنّم تكون مغلقة، وعندما يصل إليها أهل جهنّم تفتح لهم الأبواب بشكل مفاجئ وهذا لإيجاد الرعب في نفوسهم، ﴿جَاءُوهَا فَتُحِتْ أَبْوَابُهَا﴾.
- ٦ - لجهنّم أبواب متعدّدة، ﴿أَبْوَابُهَا﴾؛ وفي الآية ٤٤ من سورة الحجر نقرأ قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾.

- ٧ - يخاطب الملائكة أهل جهنم مباشرة في يوم القيامة، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾.
- ٨ - لجهنم خزنة مختصون بها، ﴿خَزَنَتُهَا﴾.
- ٩ - لقد تمت الحجة على المجرمين، ﴿يَا أَيُّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾.
- ١٠ - مضافاً إلى ما يقوم به أنبياء الله من بيان لآيات الله ﷻ؛ فإنهم يقومون بإبذار الناس أيضاً، ﴿يَتْلُونَ... وَيُنذِرُونَكُمْ﴾.
- ١١ - يوم القيامة هو يوم الإقرار والاعتراف، ﴿قَالُوا بَلَى﴾.
- ١٢ - سبب استحقاق العذاب هو الكفر من قبل الناس، ﴿حَقَّتْ... عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.
- ١٣ - جذر الكفر يرجع إلى صفة التكبر، ﴿الْكَافِرِينَ... الْمَتَكَبِّرِينَ﴾.
- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٧٣)

### إشارات

- ورد في الآية (٧١) أَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ تُفْتَحُ عندما يصل أهل جهنم إليها، ﴿جَاءَهَا وَفُتِحَتْ﴾، ولكن في هذه الآية ورد العطف بالواو (وفتحت) أي إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يصلون إلى الجنة وقد فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا.
- ورد في كتاب الخصال عن الإمام علي عليه السلام إِنَّ لَجَنَّهُمْ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَأَنَّ كُلَّ بَابٍ هُوَ لَفْئَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ النَّاسِ. فأحد هذه الأبواب هو للأنبياء والصدّيقين، وآخر للشهداء والصالحين، والخمسة الأخرى لشيعة وواحد لمن لم يبغض علياً عليه السلام (١).
- سؤال: على الرغم من كون عمر الإنسان وما يصدر منه من الخير في هذه الدنيا محدوداً، فإنَّ الله ﷻ وعده بالشواب الجزيل وغير المحدود، ولذا ورد في الآيات أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ فيها.

الجواب: أولاً: إنّ الخلود في الجنة هو من باب اللطف الإلهي ولا يُنافي العدل. وثانياً، إنّ الخلود في جهنم لا يشمل كافة أهل جهنم بل إنّ الكثير من أهلها يدخلون الجنة بعد نيلهم جزاء عملهم وتطهرهم من الذنوب. وثالثاً، إنّ مدة العقاب ترتبط بنوع الذنب شدة وضعفاً، ولا ترتبط بالزمان الذي يستغرقه فعل الذنب. فقد يُقدّم أحدهم على قتل نفس في لحظة، وقد لا يوفّق لذلك ولكن يُحكم عليه بالسجن المؤبد. فهل يتحد جزاء إشعال عود ثقاب في برميل للوقود مع إشعاله في ناقلة نفط؟ نعم من لم يمثل الأوامر الإلهية في حياته كلّها لا بدّ أن يخلد في العذاب.

### التعاليم

- ١ - التقوى هي طريق الفوز بالجنة، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾.
  - ٢ - للجنة أيضاً أبواب عدة، ﴿أَبْوَابُهَا﴾.
  - ٣ - «السلام عليكم» هي صيغة سلام الملائكة على أهل الجنة، وهي الصيغة التي أمر الإنسان بالسلام فيها في هذه الدنيا.
  - ٤ - شرط دخول الجنة الطهارة إمّا منذ البدء وإما بعد التوبة، ﴿طَبِئْتُ فَأَدْخُلُوهَا﴾.
- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ  
فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾

### إشارات

□ المراد من الأرض في هذه الآية الجنة.

### التعاليم

- ١ - سيرة أهل الجنة قول (الحمد لله) عند تلقي النعم الإلهية، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.



٢ - من النعم الإلهية المعطاة لأهل الجنة حق اختيار مكان السكن، ﴿نَبَوُّا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾.

٣ - يمكن لكل إنسان نيل الثواب الإلهي من خلال فعل الخير، ﴿أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾.

٤ - للجنة ثمن ولا تُعطى مجاناً، ﴿أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾.

﴿وَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥)

### إشارات

□ حَافِينَ من حف بمعنى الإحاطة، والعَرْش هو محل القدرة والإرادة الإلهية.

### التعاليم

١ - يمكن لأولياء الله رؤية الملائكة، ﴿وَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾.

٢ - العرش هو مكان تواجد الملائكة، ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾.

٣ - الملائكة على جهوزية تامة لتنفيذ الأوامر الإلهية، ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾.

٤ - الملائكة مشغولة بالتسبيح دائماً، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾.

٥ - الحمد والتسبيح مقرونان، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

٦ - الملائكة كالبشر يخضعون للربوبية الإلهية، ﴿رَبِّهِمْ﴾.

٧ - الحكم الإلهي في يوم القيامة يبتني على الحق والعدل ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ (يجب أن نعمل في الدنيا على أساس الحق لأننا سوف نحاسب بالحق): ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾.

٨ - الحمد والثناء إنما يليق بمن كان رباً للعالمين كافة، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

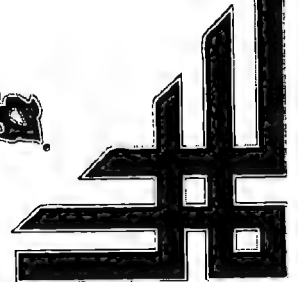
«والحمد لله رب العالمين»



# سُورَةُ غَافِلٍ

السورة: ٤٠ الجزء: ٢٤

عدد الآيات: ٨٥





## ملامح سورة غافر

تحتوي هذه السورة على خمس وثمانين آية وهي من السور المكية.

اسم هذه السورة غافر وهو مأخوذ من الآية الثالثة وفيها قوله تعالى: ﴿غَافِرٍ الذَّنْبِ﴾. والاسم الآخر لهذه السورة هو سورة المؤمن. وذلك لتعرضها لقصة مؤمن آل فرعون الذي كان يكتنم إيمانه لكي يكون عوناً لموسى عليه السلام. فتحدثت الآيات ٢٨ وما بعدها عن قصة هذا الرجل.

مضمون هذه السورة يشمل مضافاً إلى قصة موسى، نوح وعاد وثمود، معارف التوحيد والمعاد والحكمة الإلهية، وقد تعرضت في ما يقرب من عشرين آية لقصة مؤمن آل فرعون ولم يذكر له في موضع آخر من القرآن الكريم.

في القرآن الكريم سبع سور تبدأ بـ ﴿حَمْدٌ﴾، وهذه السورة هي أول هذه السور، والسور الباقية هي: فصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية والأحقاف، ويُطلق عليها تسمية (الحواميم).

حُثَّت الروايات على قراءة السور الحواميم في صلاة الليل، وقد ورد عن النبي ﷺ أن الحواميم هي لباب القرآن.

ورود في الحديث: الحواميم رياحين القرآن، فإذا قرأتموها فاحمدوا الله واشكروه كثيراً، لحفظها وتلاوتها، إنَّ العبد ليقوم ويقرأ الحواميم، فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر والعنبر، وإنَّ الله ﷻ ليرحم تاليتها أو قارئها ويرحم جيرانه وأصدقاءه ومعارفه وكلَّ حميم وقريب له، وإنَّه في القيامة يستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقربون<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ  
الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾

### إشارات

□ ورد في بعض الروايات أَنَّ للحروف المقطعة تأويلاً لا يعلمه إلا الله ﷻ<sup>(١)</sup>. ولكن بعضاً آخر من الروايات ورد فيه تفسير هذه الحروف بلحاظ الآيات التي وردت بعد هذه الحروف والتي تتحدث عن أَنَّ الله ﷻ أراد بهذه الحروف المقطعة أن يحتج على الكفار بأنَّ القرآن يتألف من هذه الحروف، فإن أمكنكم فأتوا بمثله.

□ المراد من ذي الطول أحد معنيين، إمّا صاحب الفضل والعطاء وهو رمز الرحمة الإلهية، وإمّا صاحب القدرة وهو رمز القوة الإلهية.

□ الآيات التي ابتدأت بقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ذكرت اسم الله ﷻ مع بعض صفاته منها:

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

- ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(٥)</sup>.

- ﴿...تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

- ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْمَلَكِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(٥) سورة يس: الآية ٥.

(٦) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٧) سورة الواقعة: الآية ٨٠.

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) سورة الزمر: الآية ١.

(٣) سورة غافر: الآية ٢.

(٤) سورة فصلت: الآية ٢.

وطبقاً لهذه الآيات فإن مُنْزَلَ الوحي هو صاحب القدرة، الحكمة، الرحمة، والربوبية ومن يليق به الحمد والثناء.

### المغفرة في القرآن

□ تعرّضت آيات القرآن الكريم لأسباب المغفرة ومن ذلك:

- الإيمان: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا...﴾<sup>(١)</sup>.
- التقوى: ﴿...إِن تَتَّقُوا اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.
- اتباع الأنبياء: ﴿...فَاتَّبِعُونِي... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.
- العفو عن الناس: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَغْفِرْ لَكُمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.
- الإنفاق على الناس: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾<sup>(٥)</sup>.
- الجهاد: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>.
- العبادة: ﴿إِن أَعْبَدُوا اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ...﴾<sup>(٧)</sup>.
- اجتناب الكبائر: ﴿إِن تَحْتَسِبُوا كِبَاءَ رَبِّ... تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾<sup>(٨)</sup>.
- الدعاء والاستغفار والتوبة: ﴿...ظَلَمْتُ نَفْسِي... فَغْفِرْ لَهُ...﴾<sup>(٩)</sup>.
- دعاء أولياء الله للإنسان: ﴿...يَتَأَبَّأْنَا أَسْتَغْفِرَ لَنَا...﴾<sup>(١٠)</sup>.

### التعاليم

- ١ - اعتماد أسلوب جديد في بيان بعض المضامين يشكّل دافعاً للاستماع من قبل الآخرين، ﴿...حَمِّمْ، نَزِيلٌ﴾.
- ٢ - القرآن أنزل تدريجاً (التزليل هو النزول التدريجي).

(١) سورة طه: الآية ٧٣.	(٦) سورة الصف: الآيتان ١١ و١٢.
(٢) سورة الانفال: الآية ٢٩.	(٧) سورة نوح: الآيتان ٣ و٤.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١.	(٨) سورة النساء: الآية ٣١.
(٤) سورة النور: الآية ٢٢.	(٩) سورة القصص: الآية ١٦.
(٥) سورة التغابن: الآية ١٧.	(١٠) سورة يوسف: الآية ٩٧.

- ٣ - عظمة القائل لا ينبغي أن تكون مانعاً من نزول الكلام بمستوى فهم المخاطب (الله العزيز أنزل كلامه) ﴿تَنْزِيلٌ... مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾.
- ٤ - كلام الله ﷻ العزيز عزيزاً أيضاً فلا ينفذ فيه شيء ولا يغلبه منطق أو كلام آخر، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ... الْعَزِيزُ﴾.
- ٥ - القرآن تجلٍّ من تجليات العزة والعلم الإلهيين، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.
- ٦ - القرآن وسيلة لعزة المسلمين ولمعرفتهم وعلومهم، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.
- ٧ - نزول الكتاب وبيان المغفرة الإلهية والإنذار الإلهي تقع كلها في مسير كمال الإنسان ووصوله إلى الله ﷻ، ﴿تَنْزِيلٌ... غَافِرٌ... شَدِيدٌ... إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.
- ٨ - نزول الكتاب لمعرفة المبدأ والمعاد، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.
- ٩ - شمول الألفاظ الإلهية لهذا الإنسان يكون في ظل الكتاب السماوي، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ... غَافِرِ الذَّنْبِ﴾.
- ١٠ - لا بد من وجود كتاب وقانون، وحساب وعفو أو عقاب كل في محله، ﴿تَنْزِيلٌ... غَافِرٌ... الذَّنْبِ... شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.
- ١١ - العفو حسنٌ ممَّن يتحلَّى بالقدرة، ومن المنتصر، ﴿الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ﴾.
- ١٢ - لا يمكن لأحد أن يقف حائلاً أمام نزول الوحي، إذاً لا طريق للغلبة عليه، ﴿مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾، وهو يعلم على من أنزل، ﴿الْعَلِيمُ﴾.
- ١٣ - الخط الذي يمكن من خلاله تعريف الإسلام هو أنه من الله وإلى الله، ﴿مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ... إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.
- ١٤ - الرحمة الإلهية تسبق الغضب الإلهي، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ... شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.
- ١٥ - يُعْفَى عن الذنب بسبب العمل الصالح أحياناً، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (نظير قوله

تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ﴾<sup>(١)</sup> وعن طريق التوبة أحياناً أخرى، ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾.

١٦ - المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء؛ لأن الله ﷻ غفور وشديد العقاب، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ... شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.

١٧ - الرحمة والعذاب الإلهيين لا بد من أن يكونا إلى جانب بعضها البعض حتى لا يُصاب الإنسان باليأس ولا يُصاب بالغرور، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ... شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.

١٨ - سبب العذاب الإلهي عمل الإنسان، ولولا ذلك فإنّ اللطف الإلهي متتابع، ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾.

١٩ - اللطف الإلهي دائم، ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾.

﴿مَا يُجَادِلُ فِيْ ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرِزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْإِلْدَادِ﴾

### إشارات

□ الجَدَل في اللغة هو قتل الحبل، وهو في الاصطلاح الحوار الذي يدور بين طرفين ويسعى كل منهما للغلبة على حجة الطرف الآخر.

### الجدال والحوار

□ الجدال على نوعين:

أ - الجدال بالتي هي أحسن هو سيرة الأنبياء، وهو حوار يقوم به الأنبياء لإرشاد الناس إلى الحق. ولذا خاطب الكفار نوحاً ﷺ بقولهم: ﴿...يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدْلَانَا...﴾<sup>(٢)</sup>.

ب - الجدال الباطل الذي يكون الهدف منه إبطال الحق أو إضعافه من خلال نشر أنواع الباطل والانحرافات: ﴿...وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ...﴾<sup>(٣)</sup>.

(٣) سورة غافر: الآية ٥.

(١) سورة هود: الآية ١١٤

(٢) السورة نفسها: الآية ٣٢.



□ يجب الاحتراز عن الجدل في قضايا العقيدة وفي المسائل العلمية إلا أن يكون بالتي هي أحسن:

- ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾<sup>(١)</sup>.

- ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ نماذج من الجدل بالتي هي أحسن.

• دعا النبي إبراهيم عليه السلام النمرود إلى الإيمان بالله ﷻ وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعِثُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

• في جدال القرآن الكريم مع المشركين يكرر القرآن الكريم القول والتحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

□ الجدل بالباطل هو من إحياءات الشيطان: ﴿...وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

### □ مفساد الجدل

١ - سبب للضلال: «ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»<sup>(٤)</sup>.

٢ - سبب للغضب الإلهي: «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع»<sup>(٥)</sup>.

٣ - سبب للندم «إياك واللجاجة فإن أولها جهل وآخرها الندامة»<sup>(٦)</sup>.

(٤) نهج الفصاحة، الحديث ٢٦٤٨.

(٥) المصدر نفسه، الحديث ٢٨٦٥.

(٦) المصدر نفسه، الحديث ١٠٠٨.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

□ أسلوب الجدل والجدال بالتي هي أحسن:

- ١ - المطالبة بالدليل، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٢ - عدم النظر إلى نفسه على أنه الأفضل، ﴿وَلَوْ أَنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ...﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - قبول الحق وإن اقتضت المصلحة الشخصية رفضه، ﴿...فِيهِمَا إِنَّمَا كَبِيرٌ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ لِلثَّانِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ...﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٤ - أعطِ الخصم فرصة التفكير، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ...﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٥ - لا بدّ من رعاية الأدب، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا...﴾<sup>(٥)</sup>.
- ٦ - الإنصاف والنظر إلى الجميع بعين واحدة، ﴿...فَرِيقٍ مِّنْهُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>.
- ٧ - اعتماد الحديث المنطقي، ﴿...قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(٧)</sup>.
- ٨ - اعتماد الكلام القريب من القلب، ﴿...قَوْلًا لِّتَأْتَا...﴾<sup>(٨)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لا سبب لمجادلة الحق إلا الكفر، ﴿مَا يُجَدِّلُ... إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٢ - لا تتوقع أن يرضى الجميع بالحق منك، ﴿يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾.
- ٣ - أسلوب الكفّار، الجدال بالباطل، ﴿مَا يُجَدِّلُ﴾ فعل مضارع وهو يدل على الدوام).
- ٤ - الأنبياء أيضاً بحاجة إلى الموعظة والتذكير، ﴿فَلَا يَغْرُوكَ...﴾.
- ٥ - لا ينبغي الخوف من الكفّار كما لا ينبغي أن نكون في موقع ردة الفعل، ﴿فَلَا يَغْرُوكَ نَفْسُهُمْ﴾.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٢٣.

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٧٠.

(٨) سورة طه: الآية ٤٤.

(١) سورة البقرة: الآية ١١١.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦.

- ٦ - حركة الكفار هي من المهلة التي أعطاها الله ﷻ لهم إلى الأجل الذي جعل لهم، فلا داعي للقلق، ﴿فَلَا يَغْرُوكَ﴾.
- ٧ - لا ينبغي الغفلة، فإن الكفار في حال سعي دائم، ﴿تَقْلُبُهُمْ فِي أَلْيَدٍ﴾ (المناورات العسكرية، المؤتمرات السياسية، الزيارات المتكررة والاتفاقات الدولية التي تقوم بها قوى الاستكبار هي مصاديق لتقلبهم في البلاد).
- ٨ - لا بد لقائد المجتمع الإسلامي من أن يُحيط بتحركات الكفار، ﴿تَقْلُبُهُمْ فِي أَلْيَدٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝﴾

### إشارات

□ ورد في الآية ١٢ من سورة ص بيان الأحزاب والقوم الذين جاؤوا من بعد نوح، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾.

### التعاليم

- ١ - الاطلاع على ما يعانيه الآخرون سبب للثبات والتصبر، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ...﴾.
- ٢ - نشوء الأحزاب وتعددتها ليس دليلاً على كونها على حق، ﴿كَذَّبَتْ... الْأَحْزَابُ﴾.
- ٣ - برنامج الأحزاب المكذبة بالأنبياء عبارة عن:
  - التكذيب، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾.
  - التأمر، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ﴾.
  - الدعاية للباطل، ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.
- ٤ - لقد كان النمط القبلي هو النمط السائد في بداية التاريخ، ولكن بعد ذلك ابتدأت الأحزاب، ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

٥ - منكرو النبوات تارة هم الطواغيت (فرعون)، وأخرى القبائل (قومهم)، وثالثة الأحزاب (الأحزاب).

٦ - الله ﷻ هو الذي يحمي الأنبياء، ﴿كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ...﴾.

٧ - يتحد الهدف لدى كافة منكري النبوات في مواجهتهم للأنبياء، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾.

٨ - لا يقنع منكرو النبوات بأقل من قتل رُسل السماء، ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾؛ وإفناء الحق، ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

٩ - عقاب المنكرين على الله ﷻ، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

١٠ - قد يكون العقاب الإلهي في هذه الدنيا، ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ﴾ (٦) الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ﴾ (٧)

### إشارات

□ ذكرت الآيات السابقة أن موقف الناس من دعوة الأنبياء على نوعين، ولذا كانت المغفرة نصيب أحد الفريقين وكان العذاب الإلهي هو من نصيب الفريق الآخر. وتذكر هذه الآيات أن الملائكة يعملون على الدفاع عن الفريق الأول.

### ما هو العرش؟

□ جاء القرآن على ذكر العرش في عشرين موضعاً. والعرش في اللغة هو السرير ذو الأعمدة العالية، وأما الكرسي فهو السرير ذو الأعمدة القصيرة. وعندما قرأ قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ نعم، إن كرسيه تشمل الوجود كله، فما هو العرش؟

العرش كناية عن مركز القدرة الإلهية، أو محل صدور الأحكام الإلهية،

والمراد من حَمَلَة العرش هم الملائكة الذين يبلغ عددهم ثمانية: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

□ لا ندرك حقيقة العرش، ولكن الاستفادة من مجموع الآيات أن لعالم الوجود مركزاً وإنَّ الله ﷻ محيط بهذا المركز تماماً: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وإنَّ الإرادة الإلهية تسري إلى الأطراف من خلال الملائكة.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله»<sup>(٢)</sup>.

□ تعرّضت الآيات إلى جانب العرش لبعض المضامين التي يظهر من خلال تصنيفها أنَّ العرش هو مركز الأمر الإلهي، نحو:

- ﴿...أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

- ﴿...يُنشِئُ اللَّيْلَ أَنهَارٌ... لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿...يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾<sup>(٤)</sup>.

- ﴿...يُقِصِّلُ الْأَيَّاتِ...﴾<sup>(٥)</sup>.

- ﴿...يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا...﴾<sup>(٦)</sup>.

فحركة الليل والنهار وتدبير الأمور وتفصيل الآيات والعلم بتمام ذرات الوجود وكلُّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يدلُّ على ما يقع في العرش الإلهي.

□ يرى العلامة الطباطبائي أنَّ العرش حقيقة من الحقائق الوجودية وأمر من الأمور الخارجية وهو مركز تدبير أمور العالم<sup>(٧)</sup>.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢.

(٦) سورة الحديد: الآية ٤.

(٧) تفسير الميزان.

(١) سورة الحاقة: الآية ٧.

(٢) معاني الأخبار، ص ٢٩.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٣.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَنَّهُ سئِلَ عَنِ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ؟ فَقَالَ: «إِنَّ لِلْعَرْشِ صِفَاتٍ كَثِيرَةً...» إلى أن قال: «لِأَنَّهُمَا بَابَانِ مِنْ أَكْبَرِ أَبْوَابِ الْغُيُوبِ»<sup>(١)</sup>.

□ ليس المراد من العرش السرير المادي؛ لأنَّ السرير المادي لا يكون على الماء: ﴿...وَكُنَّ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...﴾<sup>(٢)</sup>، بل المراد أنَّ العالم قبل خلق السموات والأرض كان عبارةً عن ماء، وأنَّ دائرة الأمر الإلهي كانت على الماء وبعد أن خلق السموات والأرض انتقل مركز الأمر في عالم الوجود إلى السماء.

### التعاليم

- ١ - العذاب الإلهي في حقَّ الكفار هو من السنن الإلهية، ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.
- ٢ - العقاب الإلهي ليس جزافاً، بل يقوم على أساس الحق والعدل، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.
- ٣ - مجازاة المجرمين وإنزال العقاب بهم من شؤون الربوبية، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.
- ٤ - الكفر هو سبب زوال الأمم الماضية، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٥ - يجب على المؤمنين أن يعلموا دائماً أنَّ المقربين من الساحة الإلهية في حال دعاء دائم لهم، ﴿يَجْلُونَ الْعَرْشَ... وَاسْتَغْفِرُونَ﴾.
- ٦ - يرفع الإسلام من تفكير الإنسان في المأكل والملبس والمسكن إلى التفكير بالعرش والملائكة والتسبيح والتحميد، ﴿يَجْلُونَ الْعَرْشَ... يُسَبِّحُونَ﴾.
- ٧ - اللامتناهي هو الله ﷻ وحده، ولذا كان العرش أيضاً محدوداً، ﴿حَوْلَهُ﴾.
- ٨ - تعرّض القرآن للحمد والتسبيح بشكل متقارن مراراً، ولذا كان تقارنهما في ذكر الركوع والسجود، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.
- ٩ - من آداب الدعاء البدء بالتسبيح والتحميد لله ﷻ، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ ثم التعظيم والتبجيل، ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾؛ وبعد ذلك الدعاء، ﴿فَاغْفِرْ﴾.

- ١٠ - عظم المسؤولية لا ينبغي أن يكون مانعاً من تسبيح الله وحمده وذكر من يستحق الدعاء. فالملائكة هم حملة العرش ويذكرون الله ﷻ، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ ويدعون لأهل الإيمان، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١١ - لا بدّ في الدعاء من السخية. فالملائكة يدعون لأهل الإيمان، ﴿يُؤْمِنُونَ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١٢ - الإيمان هو حلقة الوصل بين عالم الملك وعالم الملكوت، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١٣ - الاستغفار للآخرين إنّما يكون مؤثراً متى كانوا من أهل الإيمان، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١٤ - بين الملائكة والإنسان ارتباط وعلاقة. (فالإمام السجاد عليه السلام وفي الصحيفة السجادية يسلم ويدعو لمجموعة من الملائكة) والملائكة من حملة العرش يستغفرون للناس، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١٥ - الدعاء للآخرين فعل حسن يدعو إليه القرآن، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١٦ - الذين يشملهم دعاء الملائكة هم أهل الإيمان والعمل، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ١٧ - لا تكفي التوبة وحدها، بل لا بدّ من العمل بعدها، ﴿تَابُوا وَاتَّبَعُوا﴾.
- ١٨ - طريق النجاة في اتباع سبيل الله ﷻ، ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفَهُمْ عَذَابَ الْحَرِّ﴾.
- ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

### إشارات

□ في ما يرجع إلى اجتماع أعضاء الأسرة الواحدة الذين هم من أهل الجنة ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿الْفَقْنَا بِهِمُ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

□ يبدأ الأنبياء والملائكة دعاءهم بكلمة (ربنا) أو (رب):

- دعاء النبي آدم عليه السلام: ﴿...رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾<sup>(١)</sup>.
- دعاء النبي نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ...﴾<sup>(٢)</sup>.
- دعاء النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿...رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾<sup>(٣)</sup>.
- دعاء النبي يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ...﴾<sup>(٤)</sup>.
- دعاء النبي موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>.
- دعاء النبي سليمان عليه السلام: ﴿...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ...﴾<sup>(٦)</sup>.
- دعاء النبي عيسى عليه السلام: ﴿...رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً...﴾<sup>(٧)</sup>.
- دعاء رسول الله ﷺ: ﴿...رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٨)</sup>.
- دعاء المؤمنين: ﴿...رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٩)</sup>.
- دعاء الملائكة في هذه الآية: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ﴾.

### التعاليم

- ١ - لا بد من أن يكون الإنسان صالحاً حتى يشملته دعاء أولياء الله ﷻ، ﴿وَأَدْخِلْهُمْ... وَمَنْ صَلَحَ﴾.
- ٢ - لا تكفي النجاة من النار، بل لا بد من الفوز بالجنة، ﴿وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ﴾.
- ٣ - لا بد أولاً من تطهير النفس من السيئات، حتى تُنال الكمالات، ﴿وَفِيهِمْ... وَأَدْخِلْهُمْ﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٢) سورة نوح: الآية ٢٨.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٢٦ - ١٢٨.

(٤) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٥) سورة القصص: الآية ٢٤.

(٦) سورة النمل: الآية ١٩.

(٧) سورة المائدة: الآية ١١٤.

(٨) سورة المؤمنون: الآية ٩٧.

(٩) سورة آل عمران: الآيات ١٩١ - ١٩٤.



٤ - شرط دخول الجنة أن يكون الإنسان من الصالحين، ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ... وَمَنْ صَلَحَ﴾.

٥ - لا قيمة للعلاقة مع عدم كونه صالحاً ولا أهلاً لها، ولكنها تزيد من قيمة من يكون صالحاً. (الصالح هو القانون، والإلحاق بالأقارب هو بسبب العلاقة)، ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾.

٦ - الله ﷻ له القدرة على العطاء، ولكن عطاءه على أساس الحكمة، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٧ - مجاورة الأهل والعيش إلى جانبهم من النعم الإلهية، ﴿وَأَدْخِلْهُمْ... وَمَنْ صَلَحَ﴾.

٨ - العزة تختص بالله ﷻ، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ نَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿١﴾﴾

### التعاليم

١ - تطهير النفس يتوقف على إرادة الإنسان وهيمته، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك يتحقق من خلال الابتعاد والاجتناب عن أهل السوء ومواطن السوء: ﴿أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿...فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>، كما يتوقف على اللطف والممدد من الله ﷻ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾.

٢ - الرحمة الإلهية لا تنحصر بالنعم المادية، بل تشمل الوقاية من السيئات، ﴿وَمَنْ نَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ﴾.

٣ - الاستقامة الكبرى تتحقق متى كان الإنسان بعيداً عن الأمراض المادية والمعنوية، ﴿السَّيِّئَاتِ﴾؛ (فالأمراض المعنوية هي من السيئات، ﴿...مَنْ

(١) سورة النازعات: الآية ٤٠.

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

كَسَبَ سَيِّئَةً...<sup>(١)</sup>، وكذلك الأمراض المادية: ﴿وَلِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا<sup>(٢)</sup>﴾، كما أَنَّ للحسنة مصاديق في الدنيا ومصاديق في الآخرة، ﴿...رَبِّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ...<sup>(٣)</sup>﴾.

- ٤ - لا بدّ من أن نسأل الله ﷻ التوفيق لاجتناب الذنوب، ﴿وَرَفِيقَهُمُ السَّيِّئَاتِ<sup>٤</sup>﴾.  
 ٥ - الاستقامة ليست من فعل أنفسنا بل هي من لطف الله ﷻ ورحمته، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>٥</sup>﴾.  
 ٦ - الاستقامة لا تتحقّق بالرفاه الدنيوي، بل بالتقوى، ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ... ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>٦</sup>﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ<sup>(١٠)</sup>﴾

### إشارات

- وردت كلمة ﴿يُنَادَوْنَ﴾ في موضعين من القرآن الكريم في حقّ أهل جهنّم توهيناً لهم. أحد الموضعين هو في هذه الآية والموضع الآخر في الآية ٤٤ من سورة فصلت: ﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.  
 □ تعرّضت الآيات السابقة لدعاء الملائكة للمؤمنين، وهذه الآية تتحدّث عن العذاب الإلهي في حقّ المشركين، فهناك كان الحديث عن سعة الرحمة الإلهية، ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ﴾، وفي هذه الآية عن العذاب العظيم ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فرحمته كبيرة وغضبه عظيم.

### التعاليم

- ١ - مضافاً إلى عذاب النار ففي جهنّم عذاب آخر نفسي وهو المهانة والاحتقار لأهل جهنّم، ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(١) سورة البقرة: الآية ٨١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

٢ - لئن كفروا اليوم، فإنهم سيمقتون أنفسهم غداً، ﴿مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

٣ - الله ﷻ قد أتم الحجة عليهم، ﴿إِذْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ﴾.

٣ - منشأ عقاب أهل جهنم هو كفرهم، ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَفْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ

سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

### إشارات

□ المراد من الموت مرتين بحسب الظاهر الموت عند نهاية العمر، والموت عند نهاية عالم البرزخ، والمراد من الإحياء مرتين، الإحياء في عالم البرزخ والإحياء في القيامة. وقال بعضهم: المراد من الموت مرتين هو الموت قبل خلقهم وبعد نهاية عمرهم في هذه الدنيا، والمراد من إحيائهم مرتين هو الإحياء عند خلقهم في هذه الدنيا وعند القيامة، والدليل على هذا الرأي هو قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>، وما ذكرناه أولى لأن الآية تتحدث عن الإمامة لا عن الموت قبل الولادة.

□ يتمنى أهل جهنم العودة إلى هذه الدنيا، وقد تعرض القرآن لذلك مراراً:

فتارة يسأل هؤلاء عن السبيل للعودة إلى هذه الدنيا، وأخرى يتمنى هؤلاء العودة ليعملوا صالحاً، وثالثة يطلبون من الله ﷻ أن يعيدهم إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحاً، والآيات التالية تبين ذلك:

- ﴿...هَلْ إِلَى مَرَرٍ مِّنْ سَبِيلٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿...لَوْ أَنَّ لِي كَرْزَةٌ فَأَكُوتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨.

(٣) سورة الزمر: الآية ٥٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ٤٤.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٠٧.

- ﴿رَبِّ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾<sup>(١)</sup>.

- ﴿فَارْجِعْنَا تَعْمَلْ صَالِحًا﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

- ١ - تكرار كلمة اثنتين إلى جانب تمنّي الخروج من النار، يدلّ على أنّ الكفار يقولون: ربّنا! لقد أحييتنا أكثر من مرّة وأمتنا كذلك، فأحيينا مرّة أخرى لننجو، ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾.
- ٢ - سوف يؤمن الكفار يوماً ما بالقدرة الإلهية. فمن كان يقول منهم: ﴿وَمَا يُلْكَا إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>، سوف يقول في ذلك اليوم: ﴿أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾.
- ٣ - الاعتراف في محاكم الدنيا قد يكون سبباً لتخفيف العقاب، ولكنّه في الآخرة ليس كذلك، ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.
- ٤ - إذا تحققت التوبة في وقتها وقبل الموت، فإنّ دعاء الملائكة واللفظ الإلهي سوف يلحقا بها، ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا...﴾، ولكن إذا كانت بعد فوات وقتها وعند الموت فلا أثر لها، ولن يُستجاب للكافر ذلك، ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.
- ٥ - عجز أهل جهنّم وحاجتهم تصل حدّاً يتمنون فيه للنجاة لحظة الخروج من جهنّم، ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

الْكَبِيرِ ﴿١٧﴾﴾

### إشارات

□ الكثير من الناس لا يملكون إيماناً خالصاً، فيرتبطون إلى جانب إسلامهم وإيمانهم بقوى أخرى، ويسعون مع اعتقادهم بالإسلام إلى تحصيل رضا هذه القوى ويهتمون بمراعاة قوانين وأنظمة الشرق والغرب، ويظهرون في مجالس

(٣) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

(١) السورة نفسها: الآية ١٠٠.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٢.

الكفار نوعاً من الضعف والضعة ويتظللون بالخجل، بل قد يصل بهم الأمر أحياناً إلى ترك الصلاة لأنهم يُشاركون في جلسة رسمية.

### التعاليم

- ١ - عند معاقبة المجرمين، لا بدّ من بيان سبب سقوطهم واستحقاقهم للعذاب، ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا...﴾
- ٢ - الكفر سبب للعذاب الدائم، ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ... كَفَرْتُمْ﴾.
- ٣ - الشرك كفر، ﴿دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾.
- ٤ - الحكم في يوم القيامة هو الله ﷻ، ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾.
- ٥ - إنّ أيّ موجود يجعل شريكاً لله لا يُمكن مقارنته به تعالى؛ لأنّه العليّ الكبير، ﴿الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾.
- ٦ - لا يظنّن أحد أنّ الشرك يضرّ الله شيئاً، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ... فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾  
 فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

### إشارات

□ تحدّث الآيات السابقة عن شركهم وكفرهم، وهذه الآيات تدعو الناس إلى التوحيد.

□ ورد في هذه الآية أنّ أهل الإنابة هم الذين يتذكرون، وفي الآية ١٩ من سورة الرعد قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وعليه فإنّ أولي الألباب حقيقة هم أهل الإنابة، وأهل الإنابة هم أولو الألباب؛ نعم، الدمع لا بدّ من أن يكون على أساس المعرفة: ﴿...رَأَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ...﴾<sup>(١)</sup>.

□ تَكَرَّرَتْ جُمْلَةٌ: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ثلاث مرّات في القرآن الكريم، وتَكَرَّرَتْ جُمْلَةٌ: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ مرتّين، وكذلك جُمْلَةٌ: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾، وهذا إرشاد إلى أنّنا لا ينبغي أن نعمل على تحصيل رضا الكافرين والمشركين والمجرمين، والامتناع عن القيام بواجبنا إذا كان مخالفاً لرغبتهم ورضاهم.

### التعاليم

- ١ - عالم الوجود مليء بالدلائل على التوحيد. فلماذا نذهب ناحية الآخرين؟ ﴿وَإِنْ يَشْرَكْ بِهِ تَبَتُّوا... هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾.
- ٢ - يدعو الله ﷻ عباده على الدوام إلى الإيمان بقدرته وحكمته وعلمه وذلك من خلال ما ينزل من آيات كإنزال المطر من السماء، وبهذا يُتِمُّ الحجة عليهم ﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ... يُزِيلُ﴾.
- ٣ - مصدر الرزق من السماء، الشمس والغيمة والطقس، هو الذي يؤمّن الضوء والحرارة والمطر والأوكسجين الذي نحتاجه في حياتنا، ﴿مِنْ أَلْسَمَاءٍ رِزْقًا﴾.
- ٤ - لا بدّ أولاً من توفير الظروف ثمّ الدعاء، ﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ... فَادْعُوا اللَّهَ﴾.
- ٥ - المعرفة أولاً ثمّ العمل، ﴿يُرِيكُمْ آيَاتِهِ... فَادْعُوا...﴾.
- ٦ - الدعاء وإظهار الحاجة خالصاً لله ﷻ سبب لتطوّر حياة الإنسان، لا حاجة الله إلى التعظيم، ﴿أَلَمَلِيَ الْكَبِيرِ... هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ... فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾.
- ٧ - الأسباب ليست مهمّة، بل المهم هو العزم والإرادة (الآيات الإلهيّة أسباب للمعرفة، ولكن الإنسان الأعمى القلب، لا يدرك. نعم، حالة الإنابة توفّر الظروف المناسبة لمعرفة الآيات الإلهيّة وتأثيرها)، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾.
- ٨ - لا ينبغي لأيّ رأي أو قانون أو طبيعة أو ميل أو عادة أو آداب أو عادات أو تقاليد لدى الماضين أو لدى الآخرين، ولا لأيّ تهديد أو إعلام أو تطميع أن يكون له تأثيره في الإيمان التوحيديّ لديكم، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

- ٩ - الله ﷻ هو وحده الذي يليق أن يُدعى ويناجى، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾.
- ١٠ - الإخلاص شرط لقبول الدعاء، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾.
- ١١ - لا ينبغي أن يسعى الإنسان لتحقيق رضا الكفار، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.
- ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ۝١٥﴾
- يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝١٦﴾

## إشارات

□ الرفعة والعلو على نوعين:

أ - الرفعة المكانية كقوله تعالى: ﴿...يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ...﴾<sup>(١)</sup> فرفع قواعد البيت مكانية.

ب - الرفعة في المقام، كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا... دَرَجَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ يمكن تفسيرها بأحد نحوين:

أحدهما أن الله ﷻ الدرجات الرفيعة والعليا وأفضل المقام.

ثانيهما، أن الله ﷻ يُعطي الناس الدرجات الرفيعة بحسب ما يستحقون مما يليق بهم، كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup>، أي إن الله ﷻ يفضل بعضكم على بعض بسبب ما يؤديه من عمل.

□ المراد من الروح إما نفس الوحي الذي يكون سبباً للحياة المعنوية في المجتمع أو المراد منه الملك المأمور بالوحي. ونقرأ في مواضع أخرى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا﴾<sup>(٥)</sup>.

□ حيث أُطلق على القرآن والوحي أنه روح، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ نعلم بأن الوحي

(٤) الشورى: الآية ٥٢.

(٥) سورة النحل: الآية ٢.

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٥٨.

(٣) سورة الأنفال: الآية ١٦٥.

يكون سبباً لحياة الناس، وأن الأنبياء يدعون للحياة المعنوية: ﴿...دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في الرواية: يوم التلاق: يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض<sup>(٢)</sup>.

□ المرسل للوحي هو الله ﷻ صاحب العرش.

المتلقي للوحي هم العباد الخالصون الذين اختارهم الله ﷻ: ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

الهدف من الوحي وموضوعه الإنذار: ﴿يُنذِرَ﴾.

الواسطة في الوحي هو فرد خاص من الملائكة: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾.

□ ورد في الروايات: إن السؤال: لمن الملك هو من الله ﷻ وأن الجواب التالي: (الله الواحد القهار هو من أولياء الله ﷻ وأتباعه)<sup>(٣)</sup>.

□ يبرز الناس في يوم القيامة ويحضررون في ساحة القدس الإلهية بنحو لا يبقى معه أيُّ مجالٍ للشك والإبهام في القضاء الإلهي العادل. وذلك يرجع إلى عدة أمور:

أ - انبساط الأرض وزوال الجبال: ﴿فَاعَا مَصْفَصًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ب - خروج جميع الناس من قبورهم: ﴿وَلِذَا الْفُجُورُ بُعِثَتْ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾<sup>(٦)</sup>.

ج - نشر صحف الأعمال: ﴿وَلِذَا الشُّحُفُ تُشْرَتْ﴾<sup>(٧)</sup>.

د - تجسّم الأعمال: ﴿...يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ...﴾<sup>(٨)</sup>.

هـ - انكشاف الخفي من الأمور: ﴿...بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ...﴾<sup>(٩)</sup>.

و - شهادة أعضاء البدن: ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(٦) سورة الزلزلة: الآية ٢.

(٧) سورة التكوين: الآية ١٠.

(٨) سورة النبأ: الآية ٤٠.

(٩) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(١٠) سورة يس: الآية ٦٥.

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٦٠.

(٣) تفسير الميزان.

(٤) سورة طه: الآية ١٠٦.

(٥) سورة الانفطار: الآية ٤.



## التعاليم

- ١ - يصل الله ﷻ بمن يستحق من الناس إلى كماله الذي يليق به، ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾.
- ٢ - الإخلاص سبب لعلو الدرجات، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾.
- ٣ - إعطاء الدرجات متى كان من الحاكم المطلق على هذا الكون فإن له قيمته، ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾.
- ٤ - نزول الوحي بواسطة الملك الخاص خاضع للإرادة الإلهية، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾.
- ٥ - اختيار الأنبياء لتلقي الوحي الإلهي خاضع للإرادة الإلهية، ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾.
- ٦ - العبودية لله ﷻ شرط لتلقي الوحي الإلهي، ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾.
- ٧ - الوظيفة الأساس للأنبياء الإنذار، ﴿يُنْذِرَ﴾.
- ٨ - يوم القيامة يوم التلاقي، ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾، (التلاقي مع الله ﷻ)، ﴿...مُتْلَقُوا رَبِّهِمْ...﴾<sup>(١)</sup>.
- ٩ - من أهداف نزول الوحي دعوة الناس إلى الإيمان بالمعاد وإخبارهم به، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ... يُنْذِرُ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.
- ١٠ - في يوم القيامة تنكشف كافة الأسرار والحقائق للناس، ولا يبقى لأحد مجال للإنكار، ﴿هُمْ بَرُّوْنَ﴾.
- ١١ - تُلغى في يوم القيامة كلُّ الفوارق بين الناس من العرق أو اللغة أو القبيلة أو المقام أو المال ويتساوى الناس في إنسانيتهم، ﴿هُمْ بَرُّوْنَ﴾.
- ١٢ - يشعر الجميع في يوم القيامة بسعة القدرة والعلم الإلهي ويعترف الجميع بذلك، ﴿...لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾.
- ١٣ - القدرة هي في ظل الوحدة، ﴿الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

### إشارات

□ تعرّضت هذه الآية والآية السابقة لخصائص ست ترتبط بيوم القيامة وهي:

أ - حضور الناس كافة: ﴿هُمْ بِرُؤُوسِهِمْ﴾.

ب - كشف كافة الأعمال والأفكار: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾.

ج - تجلّي القدرة الإلهية: ﴿لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

د - نيل كل نفس جزاءها: ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾.

هـ العدالة المطلقة: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.

و - سرعة الحساب: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

□ يوم القيامة من الأيام المهمة للغاية. فقد تكرّر في هذه الآية وفي الآية السابقة

وصفه بكلمة (يوم) أربع مرات: ﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤُنَ﴾، ﴿لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمَ﴾، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ﴾، ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.

□ للظلم مظاهر متعدّدة:

أ - تجاهل ما يبذله الآخرون من جهد.

ب - قلة الجزاء.

ج - زيادة العقوبة للمجرم عمّا يستحقّه.

وليس في القيامة أيّ من أنواع الظلم هذه، فلا يُظلم أحد، ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.

□ ورد في الروايات أنّ المراد من قوله: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾، أنّه سوف يتمّ التقاص في يوم القيامة للمظلوم من الظالم<sup>(١)</sup>.

□ تطول المحاكمات في هذه الدنيا لأسباب عدّة منها إنكار المجرم والتستر على

ذنبه، وأمّا في يوم القيامة فإنّ الأرض وأعضاء البدن والملائكة وصحيفة الأعمال كلّها تشهد، ولا مجال للتستر أو الإنكار.

- أو بسبب سعي المذنب للدّفاع عمّا فعله من ذنب، ولكن في يوم القيامة الجميع يعترف وليس له ما يدافع به عن نفسه.

- أو بسبب الحاجة إلى إحضار الأشخاص والملفات، وهي في يوم القيامة حاضرة جميعها.

- أو بسبب حاجة القاضي إلى التفكير والنظر في القضية، والله ﷻ لا يخفى عليه شيء.

- أو بسبب عدم وجود مكان في السجن، وجهنّم لا تمتلئ.

- أو بسبب ما يسعى إليه المذنب من تدخل الشفعاء أو المناصرين، وفي يوم القيامة لا شفيع ولا نصير.

- ولذا كان الحساب في يوم القيامة من قبل الله ﷻ سريعاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

### التعاليم

١ - لا يُسْتَنَى أحدٌ في يوم القيامة من الحساب، ﴿تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ...﴾.

٢ - الثواب والعقاب متناسبان مع العمل، ﴿تُجْزَى... مَا كَسَبَتْ﴾.

٣ - الذنوب التي يُجازى عليها بالعقاب هي ما كان عن علم وعمد، ﴿كَسَبَتْ﴾.

٤ - القوى المتفرّدة تلجأ إلى الاستبداد عادةً، ولكنّ الله ﷻ مع توّحّده في القدرة فهو الغالب القهار ولكنّه لا يظلم أحداً (فقهره يقترن بعدله)، ﴿الْوَجْدُ الْفَهَارُ... لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.

٥ - الازدحام في المحاكم إمّا أن يكون بسبب عدم الإسراع في العمل القضائي، ولكنّ الله ﷻ، ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ وإمّا لعدم التمكن من الوفاء بحقوق الناس بشكل صحيح، ولكن ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾.

﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

### إشارات

- الأزف بمعنى الاقتراب، والمراد من اليوم القريب هو يوم القيامة. كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَيْدًا وَزَنَّهُ قَرِيبًا﴾<sup>(١)</sup>.
- الكاظمين من الكظم بمعنى غلق فوهة القربة، ثم أطلقت بعد ذلك على الأشخاص المملوئين غضباً إلا أنهم لا يُظهرونه لسبب من الأسباب.
- من مصاديق خائنة الأعين، النظر إلى ما لا يحل، والنظر إلى الآخرين بعين الاحتقار، والنظر بغرض الترغيب في الفساد.
- وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾: «ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين»<sup>(٢)</sup>.
- ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «من سرته حسنة وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن، ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم

- ١ - الموت ويوم القيامة قريان، فلنجهز أنفسنا، ﴿يَوْمَ الْأَزْفَةِ﴾.
- ٢ - المذنب في يوم القيامة لا يموت ولا يستريح، ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾، ونقرأ في آية أخرى: ﴿...وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ...﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - تملأ الحسرة والغضب المجرمين في يوم القيامة، ولكنهم لا يقدرّون على إظهار ذلك، ﴿كَظِيمٍ﴾.

(٣) المصدر نفسه.

(١) سورة المعارج: الآيتان ٦ و٧.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٧.

(٢) تفسير نور الثقلين.

- ٤ - يصبح المذنب يوم القيامة وحيداً (لا صديق حميم ولا شفيع صاحب نفوذ)، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.
- ٥ - قياس قيمة الأشياء يرتبط بالدافع والنية. فالنظرة الواحدة وباختلاف الدافع والنية قد تكون عبادة وقد تكون خيانة، ﴿حَاطَّةَ الْأَعْيُنِ﴾.
- ٦ - الإيمان بأن الله ﷻ يعلم حقيقة الأشياء وباطنها يمنع الإنسان من ارتكاب الذنوب، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ...﴾.
- ٧ - علم الله ﷻ لا يقتصر على الظاهر، بل هو عالم ومحيط بالباطن أيضاً، ﴿حَاطَّةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

### التعاليم

- ١ - القضاء بالحق هو شؤون الله ﷻ، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾.
- ٢ - العلم ضروري للقضاء، ﴿يَعْلَمُ حَاطَّةَ الْأَعْيُنِ... وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾.
- ٣ - لا بد للقاضي بالحق من أن يكون ممن يسمع ويُبصر، ﴿يَقْضِي... هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
- ٤ - ليس للمعبودات من دون الله القدرة على القضاء أو على القضاء بالحق، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾.
- ٥ - السميع والبصير الحقيقي هو الله ﷻ، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾

### إشارات

□ كان الكلام في الآية السابقة عن القضاء بالحق؛ وفي هذه الآية يذكر نموذجاً من القضاء بالحق وهو العذاب الذي أنزله الله ﷻ بالمذنبين.

## التعاليم

- ١ - السير والسياسة في هذه الأرض لا بد من أن يكون لهدف ولغاية، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا... فَيَنْظُرُوا﴾.
  - ٢ - التجربة والعلم بحاجة إلى السير في الأرض، ﴿يَسِيرُوا... فَيَنْظُرُوا﴾.
  - ٣ - التاريخ مصدر من مصادر العلم والمعرفة، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾.
  - ٤ - سبب رفض الكفار لدعوة نبي الإسلام ﷺ ما كانوا يظنون من عدم امتلاكه للقوة، ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.
  - ٥ - حفظ آثار الماضين ضروري ليعتبر الآتون، ﴿فَيَنْظُرُوا... وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾.
  - ٦ - يجب أن نأخذ العبرة من التاريخ، ﴿كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الَّذِينَ...﴾.
  - ٧ - لو لم ننظر إلى اليوم فسوف ننظر إلى العاقبة، ﴿عِقَابُهُ...﴾.
  - ٨ - لا ينبغي أن نعجب بما نملكه من قوة، ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا﴾.
  - ٩ - قوى الطاغوت لا يمكنها منع نزول العذاب الإلهي، ﴿أَشَدَّ قُوَّةً... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.
  - ١٠ - امتلاك القوة والإمكانات لا يُعتبر دليلاً على الاستقامة، ﴿أَشَدَّ قُوَّةً... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.
  - ١١ - الذنب سبب لنزول العذاب الإلهي، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُّوهُمْ﴾، (زوال الحضارات وسقوط الأمم كان بسبب كفرهم ومعاصيهم).
  - ١٢ - مع نزول العذاب الإلهي فليس لأي قوة القدرة على دفعه، ﴿مِنْ وَاقٍ﴾.
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدٌ
- الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

## التعاليم

- ١ - بعثة الأنبياء سنة من السنن الإلهية، ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ...﴾.
- ٢ - الأنبياء كانوا يسعون للقاء الناس، ولم تكن عاداتهم انتظار أن يأتي الناس إليهم، ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ﴾.

٣ - لا يعذب الله ﷻ قوماً ولا يؤاخذهم حتى يتم الحجة عليهم، ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ... نَكْفُرُوا... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.

٤ - لكل نبي معجزة، ولا إيهام في معجزته على الإطلاق، ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

٥ - الكفر هو سبب انهيار وزوال الحضارات، ﴿كَفَرُوا... فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.

٦ - من السهل على الله ﷻ إفناء الكفار وإنزال العقاب بهم، ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْدُمُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾

### إشارات

□ بعد أن حُتَّت الآيات السابقة على السير في الأرض للنظر في عاقبة الظالمين والاعتبار بذلك، تتعرض هذه الآيات لقصة فرعون وهامان وقارون.

□ على الرغم من تكرار القرآن لقصة موسى وفرعون؛ ولكنه في كل مورد تعرض فيه لذلك لاحظ ذلك من جانب مختلف وجديد. وفي هذه السورة يُشير إلى دور رجل كان من جماعة فرعون؛ ولكنه كان يكتُم إيمانه، وأدى دوراً مهماً وهو يمارس التقية.

□ بعد أن بيّن القرآن مسألة بعثة الأنبياء وإصرار الناس على الكفر، بدأ في هذه الآيات بالحديث عن قصة موسى ومنكري نبوته.

□ كلمتا (آيات) و(سلطان) وردتا في مواضع متعدّدة بشكل منفصل عن بعضهما، ولكنهما متى استخدمتا في قصة موسى وفرعون فإنّ ذلك يعني أنّ موسى أظهر المعجزات لفرعون وجاءه بالدليل والبرهان.

## التعاليم

- ١ - لا بدّ من النفاذ إلى مراكز القوة لأجل الدعوة للدين والدفاع عن الحق، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى... إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٢ - للأنبياء في مواجهة الطاغوت سلاحان؛ أحدهما المعجزة، ﴿ءَايَاتُنَا﴾؛ والآخر المنطق الواضح، ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.
- ٣ - وسائل إقناع الناس مختلفة، فبعضهم يؤمن بالمعجزة، وبعضهم بالمنطق. وقد امتلك الأنبياء كلا الأمرين، ﴿بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.
- ٤ - المهمة الأولى لرسالة الأنبياء هي مواجهة قادة الفساد والكفر؛ سواء اتَّخذ ذلك شكل الظلم والسلطة السياسيّة الفاسدة، ﴿فِرْعَوْنَ﴾، أو شكل الشيطنة والسلطة الفكرية والإدارية، ﴿وَهَمَّانَ﴾، أو المال والثروة والسلطة الاقتصادية، ﴿قُرُونٍ﴾.
- ٥ - مضمون دعوة الأنبياء مواجهة الاستكبار، ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَى... إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ...﴾.
- ٦ - لقد كان الأنبياء أصحاب شجاعة فوقفوا بوجه كافة القوى المتسلطة، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقُرُونٍ﴾.
- ٧ - لا بدّ من تحذير الناس من النماذج الفاسدة، ﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقُرُونٍ﴾.
- ٨ - يصف منكرو النبوة المعجزة بأنها سحر ويصف هؤلاء الأنبياء بالكذب، ﴿فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾.
- ٩ - جوهر الدين هو الحق والحقيقة، ﴿جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾.
- ١٠ - لا بدّ للإنسان لكي يتعرّف على طرق الحق من التمسك بالوحي والنبوة واللفظ الإلهي، ﴿بِالْحَقِّ مِن عِنْدِنَا﴾.
- ١١ - يسعى منكرو النبوة لتحطيم شخصية النبي عن طريق بثّ الشائعات، ﴿فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾؛ كما أنهم يسعون لذلك عملاً، ﴿أَقْتُلُوا...﴾.
- ١٢ - طريقة أهل الاستكبار على مرّ التاريخ تمثّلت بقتل أتباع الحق، ﴿أَقْتُلُوا...﴾.



- ١٣ - أعداء الأنبياء وإن كان يزعمهم إيمان الناس بالأنبياء؛ ولكن ما يجعلهم يغضبون هو رؤيتهم الناس يتبعون الأنبياء عملاً، ﴿ءَامَنُوا مَعَهُ﴾.
- ١٤ - يستهدف أعداء الأنبياء النساء والأبناء، ﴿أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ... وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾.
- ١٥ - يكيد الكافرون؛ ولكنهم لا يصلون إلى مرادهم وخططهم الكيدية تكون كالرسم على الماء، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.
- ١٦ - يحبط الله ﷻ خطط الفراعنة من خلال إخبار الأنبياء والمؤمنين بما يكيدون له، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾

### إشارات

□ تعرضت الآية السابقة لقتل أبناء بني إسرائيل وتبين هذه الآية أن هذا الفعل لم يكف فرعون؛ بل كان يرى الخطر الأساس في موسى، ولذا تحدثت هذه الآيات عن عزمه على قتل موسى.

□ بالنظر إلى ما لقتل النبي موسى ﷺ من تأثير على الرأي العام؛ فإن فرعون يضع الموضوع أمام وزرائه ومستشاريه. ويدل قول فرعون: ﴿ذَرُونِي﴾، على أن وزرائه ومستشاروه كانوا يمنعونه من فعل ذلك.

### التعاليم

- ١ - منطق الطواغيت قتل قادة الحق، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾.
- ٢ - أسلوب المستكبرين إما التكذيب، ﴿فَقَالُوا سَجَرٌ كَذَابٌ﴾؛ وإما التهديد، ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾؛ وإما الإهانة، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾.
- ٣ - دولة فرعون دولة استبداد وظلم وفوضى، ﴿أَقْتُلْ مُوسَى﴾.
- ٤ - يسعى المجرم لتبرير جريمته (يذكر فرعون أن دافعه إلى قتل موسى هو خوفه من أن يغيّر موسى دين الناس)، ﴿أَقْتُلْ... إِنِّي أَخَافُ﴾.

٥ - يُظْهِر الطواغيت أنفسهم على أنهم يحبّون الناس، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾.

٦ - عندما يرى الطواغيت أنّ سلطتهم أصبحت في خطر يُظهِرون أنفسهم على أنهم حماة للناس، وعلى أنهم أنصار للدين وللإصلاح، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ... الْفَسَادَ﴾.

٧ - الذين من وجهة نظر فرعون هو التسليم للطاغوت، ﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾.

٨ - دعوى الأمن والاستقرار هي الحجّة التي يستخدمها الطواغيت لقمع الحركات الدينية والإصلاحية، ﴿أَفْتُلْ مُوسَى... إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ... الْفَسَادَ﴾.

٩ - يصف الطواغيت المصلحين بأنهم مفسدون، ﴿يُظْهِرُ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

١٠ - يرى الطواغيت أنّ بقاءهم هو في استمرار الوضع الموجود، ولذا يرفضون أيّ حركة إصلاح، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾.

١١ - الأنبياء يتدخلون في المسائل السياسية والاجتماعية، ولذا تعرّضوا للأذى من الطواغيت، ﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١٧)

### إشارات

□ تمكّن موسى من خلال قوله: ﴿عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ من الاستعاذة بالله ﷻ ومن لفت نظر الناس إلى أنّ فرعون ليس ربّهم.

□ المثل المعروف (في أيّ مكان أكلت الملح لا تكسر المملحة) غير صحيح دائماً؛ لأنّ موسى كان لسنوات في قصر فرعون؛ ولكنّ فرعون حيث لم يرضَ بالحقّ فإنّ عاقبته كانت العذاب الإلهي.

### التعاليم

١ - ينبغي أن نلجأ إلى الله ونستعيذ به عند تهديد الأعداء إيانا، ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾.

٢ - ينبغي أن نستعِذَ بمن كانت أمورنا كلها بيده، ومن نحن جميعاً تحت ربوبيته، ﴿يَرْقِ﴾.

٣ - ليست الأهمية لشخص فرعون بل للخصال الفرعونية والتي أساسها التكبر، ومن ذلك نستعِذ بالله، ﴿كُلُّ مُتَكَبِّرٍ﴾.

٤ - الأنبياء كانوا شجعاناً، فموسى يُجيب فرعون عندما هُدد بالقتل فيصفه بالمتكبر، ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾.

٥ - انعدام الإيمان بالحساب يجعل الإنسان من المتكبرين، ﴿مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٨)

### إشارات

□ لم يتعرض القرآن الكريم لقصة مؤمن آل فرعون، إلا في هذه السورة. وهو من أقارب فرعون كان يكتُم إيمانه بموسى عن فرعون، لينتصر لموسى في مواطن الحاجة لذلك، أو لينجز عملاً لموسى.

ومؤمن آل فرعون هذا ليس هو زوجة فرعون، ولا هو ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى لينذر موسى بتآمر القوم عليه لقتله.

ويذكر الفخر الرازي والمراغي في تفسيريهما أنه كان من وجهاء القوم وكان رئيس شرطة فرعون.

□ طبقاً للرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق في الأمالي ونقلها الفخر الرازي في تفسيره الصديقون ثلاثة: حبيب النجار (مؤمن آل يس)، مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم.

□ بدل أن يذكر مؤمن آل فرعون موسى باللقاب التعظيم، جعله رجلاً مجهولاً فقال: رجلاً، وذلك لكي يُخفي إيمانه به عن فرعون.

- الإسراف هو كلُّ تجاوز للحدِّ مهما كان نوعه. سواء أكان التجاوز عن الحدِّ في المأكَل والمشرب والسكن، أو كان في التعامل مع الناس وفي الأخلاق.
- ورد في الروايات تشبيه إيمان أبي طالب والد الإمام علي عليه السلام بإيمان مؤمن آل فرعون<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - من مظاهر المدد الإلهي الذي يتحقّق للإنسان إذا استعاذ بالله ﷻ أن يجد له ناصراً بين أعدائه، ﴿عُدْتُ بِرَبِّي... وَقَالَ رَجُلٌ﴾.
- ٢ - لا بدّ من إبقاء المجادلات والحوارات التي دارت في الماضي حيّة (يبين القرآن الكريم طريقة جدال مؤمن آل فرعون)، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ...﴾.
- ٣ - لا بدّ عند سرد التاريخ من الاهتمام بالعناصر الرئيسة وليس بالأسماء والألقاب، ﴿رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾.
- ٤ - لا مانع من العمل في دولة الظالم إذا كان ذلك للقيام بغرض أهمّ، ﴿رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٥ - النّظام الفاسد والبيئة الفاسدة والمحيط لا يشكّلان عاملاً جبريّاً للإنسان على ارتكاب المعاصي (ففي النّظام الفرعونيّ تجد أفراداً مؤمنين)، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٦ - قد يكون من الضروريّ العمل بالتقيّة لأجل القيام بعمل مهمّ والوصول إلى هدفٍ أعلى، ﴿يَكُنْكُمْ إِيْمَنُهُ﴾.
- ٧ - من بركات النهي عن المنكر أنّ نجاة نبيّ من القتل ونجاة المجتمع تحقّقاً بالقيام به، ﴿أَفَقَتُلُوْنَ رَجُلًا﴾.
- ٨ - لا يكون المؤمن غير مباليّ، فهو يحمي المظلوم ويقف بوجه الظالم، ﴿أَفَقَتُلُوْنَ رَجُلًا﴾.

- ٩ - أيقظ الوجدان النائم من خلال السؤال، ﴿أَفَقُلُّونَ...﴾.
- ١٠ - الدعوة إلى الله ذنب في الأنظمة الطاغوتية، ﴿أَفَقُلُّونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ...﴾.
- ١١ - يستخدم المؤمن المنطق في دفاعه، ﴿أَفَقُلُّونَ... جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.
- ١٢ - لا بد من ترك التعصب في الدعوة إلى الله ﷻ (فمؤمن آل فرعون لم يقل إن موسى صادق أو كاذب، بل ذكر أنه إما أن يكون كاذباً فعلياً كذبه أو أن يكون صادقاً فعلياً)، ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا... وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾.
- ١٣ - ضرر الكذب يرجع إلى الكاذب، ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾.
- ١٤ - الإسراف والتكذيب يمنعان من الهدى، ﴿لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.
- ﴿يَقُومُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصْرِفْنا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٩﴾

### التعاليم

- ١ - المؤمن يهتم لأمر الناس (ورد تعبير يا قوم ست مرات من الآية ٢٩ إلى الآية ٤١).
- ٢ - لا بد من الاستعانة بعنصر العاطفة في التبليغ، ﴿يَقُومُ﴾.
- ٣ - من خصائص المؤمن في النظام الكافر السعي والحضور، لا الانزواء والعزلة، ﴿يَكُنْكُمْ إِيْمَنُهُ... يَقُومُ﴾.
- ٤ - لا ينبغي الاعتماد على القوة التي نملكها اليوم، ﴿لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ﴾.
- ٥ - في الأنظمة الفرعونية تجد الإيمان مخفياً والكفر والطغيان ظاهراً وعلنياً، ﴿يَكُنْكُمْ إِيْمَنُهُ... ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٦ - لا بد من تحذير أهل الغرور من البأس الإلهي، ﴿فَمَنْ يَصْرِفْنا مِنْ بَاسِ اللَّهِ﴾.
- ٧ - اللامبالاة أمام دعوة الأنبياء تستتبع العذاب الإلهي، ﴿فَمَنْ يَصْرِفْنا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

- ٨ - يكفي في الإنذار بيان احتمال الخطر والضرر، ﴿بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.
- ٩ - لا بد في أسلوب الدعوة من بيان كون الخطر مشتركاً، ﴿جَاءَنَا﴾ بدل (جاءكم).
- ١٠ - لا يهتم الطواغيت بالإنذار، ﴿يَقَوْمٍ... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ...﴾.
- ١١ - من خصائص الطواغيت بروز نزعة (الأناني) بشكل متتالي، ﴿أَهْدِيكُمْ... أُرِيكُمْ، مَا أَرَى﴾.
- ١٢ - لا يرى الطواغيت الحق في إبداء الرأي إلا لأنفسهم، ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾.
- ١٣ - يدعي الطواغيت أنهم يهدون الناس إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.
- ١٤ - الإنسان بفطرته يطلب السعادة والهدى ويستغل الطواغيت هذه الفطرة بشكل سيئ، ﴿إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.
- ١٥ - يستخدم الطواغيت الذين ضدّ الدين (يستعمل فرعون كلمة رشاد، وهي ذات طابع ديني).

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقَوْمٍ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾

### إشارات

- المراد من القوم الذين أهلكوا من بعد قوم نوح وعاد وثمود هم قوم لوط وأصحاب الأيكة (قوم شعيب) الذين تعرّضت لهم الآية ١٣ من سورة ص.
- مقابل دعوى فرعون احتيلاً: ﴿إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، نجد دعوى مؤمن آل فرعون بقوله: ﴿إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

## التعاليم

- ١ - لا ينبغي الكف عن الدعوى بمجرد سماع رأي المنكرين، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ.....  
وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ﴾.
- ٢ - عدم الناصر والمعين لا يُعتبر عذراً لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،  
﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ﴾.
- ٣ - الدعوة من ضروريات الإيمان، ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوَّم﴾.
- ٤ - لا بدّ من أن يكون للداعية لهفة، ﴿يَتَقَوَّم﴾.
- ٥ - ينبغي أن يكون الداعية مطلعاً على التاريخ، ﴿يَمَثَلُ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾.
- ٦ - لا بدّ من اعتماد أسلوب بيان المسائل العامة في الدعوة والتعرّض أحياناً  
لبعض النماذج والمصاديق، ﴿يَمَثَلُ يَوْمِ الْأَحْزَابِ... يَمَثَلُ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ و...﴾.
- ٧ - من أعظم المخاطر أن يُصبح إنكار الحقّ لدى الإنسان خصلة وعادة فيه،  
﴿دَأْبِ﴾.
- ٨ - العذاب الإلهي لا يختصّ بيوم القيامة، بل من الأمم من نالها العذاب في  
هذه الدنيا، ﴿يَمَثَلُ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾.
- ٩ - تدمير الأنظمة الطاغوتية سنة من السنن الإلهية، ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ  
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.
- ١٠ - لا بدّ في أسلوب الدعوة عندما يتمّ التعرّض للعقاب من التعرّض لسبب  
العقاب حتّى لا تُتهم بالعنف، ﴿نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ... وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾،  
فتدميرهم كان مطابقاً للعدل.
- ١١ - سبب العذاب الإلهي عمل الإنسان وهو مطابق للعدل والحكمة، ﴿وَمَا اللَّهُ  
يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.
- ١٢ - الله ﷻ لا تتعلّق حتّى إرادته بظلم العباد، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.
- ١٣ - أسوأ أنواع الظلم هو الظلم الذي يصل من الإنسان إلى من تحت يده،  
﴿ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.

﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (٣٢) يَوْمَ تُولُونَ مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

### إشارات

□ التناد من النداء بمعنى أن ينادي بعضهم بعضاً.

يوم القيامة هو يوم التناد والصياح:

- ينادي المؤمن تعالوا اقراؤا كتابي، ﴿هَآؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي﴾<sup>(١)</sup>.

- والكافر ينادي بحسرتة بمثل: ﴿...يَلْتَنِي...﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يَلْوَلِّي﴾<sup>(٣)</sup>.

- ينادي أهل الجنة على أهل النار بقولهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

- ويستمد أهل جهنم من أهل الجنة بأن يعطوهم شيئاً من الرزق الذي يصل إليهم.

وتطلق هذه النداءات جميعاً بصوت عال.

□ المراد من إضلال الله ﷻ للمجرمين هو تركهم لأنفسهم، لا أنه يهديهم إلى طريق الضلال. كالولد الذي لا يهتدي لقول أبيه، فيقع في الهلاك والضلال.

### التعاليم

١ - لا ينبغي أن نتوقع عند الدعوة أن تكون الاستجابة من أول مرة، بل لا بد من التكرار، (تكرار كلمة ﴿يَقُولُ﴾).

٢ - لا ينبغي أن ننسى استخدام لغة العاطفة في الدعوة، ﴿يَقُولُ﴾.

٣ - لا بد من أن نستفيد في الدعوة من أسلوب الإنذار بشكلٍ واسع، (تكرار ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾).

٤ - لا بد في الدعوة من أن نذكّر الناس بالعذاب الإلهي في هذه الدنيا، ﴿قَوْلُ نُوحٍ وَعَادٍ...﴾، وكذلك العذاب الإلهي في يوم القيامة، ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٨.

(٤) سورة المدثر: الآية ٤٢.

(١) سورة الحاقة: الآية ١٩.

(٢) سورة النبأ: الآية ٤٠.



- ٥ - لا مجال للفرار في يوم القيامة، ﴿تَوَلَّوْنَ... مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ﴾.
- ٦ - الهداية والضلال بيد الله ﷻ؛ نعم مقدمات كلا الأمرين بيد الإنسان، ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَّهُ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

### إشارات

- بدأ مؤمن آل فرعون دعوته لقومه إلى الهدى بذكر تاريخ الأمم السالفة، فحذَّره من أن يصيبهم ما أصاب قوم نوح وعاد وحمود، ثم تعرَّض لتاريخ بني إسرائيل وما فعلوه مع يوسف ﷺ.
- الإسراف هو كل ما يكون تجاوزاً عن الحدّ، والمراد من المسرف في هذه الآية هو من يصرّ على رفض الحق وإنكاره<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لسلوك الآباء تأثيره في ميل أو عناد أبنائهم، ولذا قال مؤمن آل فرعون: إذا لم تؤمنوا بموسى الآن فهذا ليس ببعيد عنكم؛ لأنكم لم تؤمنوا بيوسف من قبل، ﴿جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾.
- ٢ - كان ليوسف معاجز عديدة، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾.
- ٣ - للشك قيمته إذا كان دافعاً للبحث والتحرك لمعرفة الحق، ولكنه يعتبر آفة إذا كان سبباً للركون وسوء الظن، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ﴾.
- ٤ - الشك حالة طبيعية، ولكن التشكيك هو المذموم، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾.
- ٥ - الموت مكتوب على الجميع حتى على الأنبياء، ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾.
- ٦ - الاعتقاد بختم النبوة بالنبى يوسف ﷺ هو السبب في إنكار بعض بني

إسرائيل لنبوة النبي موسى ﷺ، ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

٧ - الرضا بما يرتكبه الآخرون من المعاصي موجب لكوننا شركاء في ذلك (فيوسف ﷺ كان قبل أربعمئة عام من بعثة موسى ﷺ، ولكن نظراً لرضا اللاحقين من بني إسرائيل عن كفر السابقين وخذ الله ﷻ في الخطاب بينهم)<sup>(١)</sup>، ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ﴾.

٨ - ختم النبوة أمر بيد الله ﷻ وليس بيد الناس، ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

٩ - لا يدع الله الناس بلا حجة وبلا دليل (انتقاد من كان يقول بلا دليل: لن يبعث الله رسولا).

١٠ - من السنن الإلهية أن يترك من يكون مصراً على إنكار الحق ورفضه، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

١١ - من لم يؤمن بالأنبياء ولم يسر في طريق دعوتهم، سوف يضيع ما يمكن أن يهبه الله ﷻ من إمكانات وطاقات وألطف، ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

١٢ - سقوط الإنسان يتم بشكل تدريجي: ففي مرحلة يبدأ التشكيك، ﴿مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾، وفي مرحلة أخرى يبدأ التكذيب، ﴿...مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٣ - الفيض الإلهي عام، ولكن الناس يحرمون أنفسهم من ذلك من خلال سلوكهم السيئ ونفوسهم الشيطانية، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْنًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

### إشارات

□ السلطان هو الحجة والبرهان، والمقت هو الغضب الشديد.

□ هذه الآية تفسير للآيات التي تتحدث عن طبع الله ﷻ على القلوب: ﴿يَطْغُ اللَّهُ...﴾.

### التعاليم

- ١ - الجدل الذي ينشأ من الجهل وعدم التفكير ودون دليل يكون سبباً للترديد والتشكيك والحرمان من الهداية الإلهية، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ، الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾.
- ٢ - للجدال طريقته وأسلوبه وأخلاقياته الخاصة به، والجدال المرفوض هو ما كان بلا دليل، ﴿يُجَادِلُونَ فِيءِ آيَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ...﴾.
- ٣ - لدى الانبياء أدلتهم الواضحة والبيّنة، ﴿جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ ولكن الكفار لا يملكون ذلك، ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ﴾.
- ٤ - الدليل والبرهان يكون سبباً لنوع من السلطة على الآخرين، ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ﴾.
- ٥ - أصحاب التعصب بلا دليل محرومون من محبة الله ومحبة الناس، ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٦ - العذاب الإلهي مقتن، ﴿كَذَلِكَ﴾.
- ٧ - التكبر في غير موضعه موجب لحرمان الإنسان من الألفاف الإلهية، ﴿يَطْغُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾.
- ٨ - لا بدّ عند الدعوة والإرشاد في النظام الذي يكون الحاكم فيه فرعوناً متكبراً وجباراً من استعمال بعض المفردات التي يتمكن الناس من مشاهدة مصاديقها، ﴿يَطْغُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾.
- ٩ - سبب إنكار رسالة النبي موسى ﷺ (الذي تعرّضت له الآية السابقة) هو روح التكبر لدى القوم، ﴿مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾.
- ١٠ - لا بدّ للمؤمنين من أن يتخذوا موقفاً من أهل التعصب غير المنطقي والبراءة منهم وإعلان سخطهم عليهم، ﴿يُجَادِلُونَ... يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَنَّهُمْ كَبَرُ مَقْتًا... وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ ابْنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٣٧)

### إشارات

- الصرح هو البناء العالي الذي يبدو من مكانٍ بعيد؛ لذا يُطلق على الكلام الواضح صفة صريح. والتباب هو استمرار الخسران، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، أي إن هلاكه وخسرانه مطلق ومؤبد.
- لقد أثرت موعظة مؤمن آل فرعون أثرها. ففرعون الذي كان يرفع شعار «قتل موسى» تركه وقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾، فاستبدل قتل موسى ببناء صرح يطلع من خلاله على إله موسى.

### التعاليم

- ١ - حيث ينسَد باب المنطق أمام الطاغوت يلجأ إلى فعل ما يصرف به الأنظار، ﴿أَبْنِي لِي صَرَحًا...﴾؛ فالهدف من بناء ذلك الصرح هو الإثارة والتعظيم ولذا جاء في آخر الآية: ﴿كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٢ - ينظر أهل الدنيا إلى كل شيء بعين المادّة، (فرعون كان يعتقد أن الله في السماء ويظن أن طريق معرفته لا تتم إلا عن طريق الحسّ والنظر إليه)، ﴿فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾.
- ٣ - طريقة الطغاة الاحتيال على الناس وإظهار القوة، ﴿أَبْنِي لِي صَرَحًا﴾.
- ٤ - الدعوة والإرشاد لا بدّ من أن يكون لهما تأثيرهما بنحو ما، (فرعون كان مصمماً على قتل موسى في البدء: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾؛ ولكنه بعد حديث مؤمن آل فرعون خرج من القطع إلى الظن فقال: ﴿لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾).
- ٥ - يقيس الكافر الناس جميعاً على نفسه، (حيث كان فرعون كاذباً في دعواه الألوهية: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَعْلَمُونَ﴾؛ اتَّهم موسى بالكذب أيضاً، ﴿لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾).

- ٦ - من أساليب الشيطان تزيين السوء للإنسان، ﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾.
- ٧ - كلُّ من يرى السوء منه حسناً فقد أصيب بالانحراف في تقييم الأشياء، ولن يفكر في تغيير أسلوبه وبهذا يكون محروماً من الوصول إلى الحق، ﴿زَيْنَ... وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾.
- ٨ - لا داعي للقلق، فكيد الطواغيت لا أثر له، ولن يكون ضرره إلا عليهم، ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْفَوِرَ اتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨) ﴿يَنْفَوِرَ إِنَّمَا هَٰذَا هِجْوَةٌ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٣٩)

### التعاليم

- ١ - قد يكون المطلوب أحياناً ترك العمل بالتقية وإعلان الإنسان عقيدته، (فمؤمن آل فرعون الذي أخفى إيمانه مدةً من الزمن، ترك التقية وأعلن موقفه أمام فرعون طالباً من الناس أن تتبعه)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْفَوِرَ اتَّبِعُونِ﴾.
- ٢ - من واجبات المؤمن دعوة الآخرين إلى الإيمان، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْفَوِرَ اتَّبِعُونِ﴾.
- ٣ - قد يلزم الأمر أن يقف الإنسان وحده ليدعو الناس، ولا ينتظر في ذلك أحداً، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ﴾.
- ٤ - الدعوة إلى الدين في ظلِّ نظامٍ طاغوتيٍّ له قيمته الخاصة، ولذا يتحدث عنه القرآن الكريم ويتلو على مسامع الناس ذلك، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْفَوِرَ...﴾.
- ٥ - اتباع كلام المؤمن اتباع لكلام الله ﷻ ورسوله، ﴿فَاتَّبِعُونِ﴾.
- ٦ - لا بدّ في أسلوب الدعوة من السعي لنزع سلاح العدو واصطياد شعاراته الجذابة. (نقرأ في الآية ٢٩ أن فرعون قال: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، وفي هذه الآية نقرأ أن مؤمن آل فرعون يقول: ﴿أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. فكما يستخدم الطواغيت شعار السعادة والرشاد بغرض الوصول إلى أغراضهم

السبقة، فإنَّ على المؤمنين أن يستخدموا هذه الشعارات المنسجمة مع الفطرة الإنسانية لكي يصلوا إلى الأهداف الصحيحة، ﴿فَاتَّبِعُونِي... أَهْدِيَكُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ﴾.

٧ - الرشاد هو في معرفة منزلة الدنيا من الآخرة، ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَقْوَمُ إِنَّمَا...﴾.

٨ - الإيمان بعدم دوام الدنيا وبخلود عالم الآخرة هو سبب للسعادة والرشاد، ﴿سَبِيلَ الرَّشَادِ... الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ...﴾.

٩ - الدنيا ليست سوى وسيلة لنعيم موقَّت، ﴿مَتَّعٌ﴾، (تطلق هذه الكلمة على الشيء الذي لا يستفاد منه إلا قليلاً).

١٠ - مقارنة عالم الدنيا بعالم الآخرة موجب لإدراك الحقائق بشكل أفضل، ﴿مَتَّعٌ... دَارُ الْفَكَارِ﴾.

١١ - متاع الدنيا الذي يفنى بسرعة يجب أن يكون داعياً للتفكير بالعالم الأبدي، ﴿مَتَّعٌ... دَارُ الْفَكَارِ﴾.

١٢ - لا بد في أسلوب الدعوة من الاهتمام بحاجات الناس الطبيعية والفطرية. (فالحياة الخالدة حاجة فطرية وطبيعية لدى الإنسان، ومؤمن آل فرعون ذكّر قومه بأن الوصول إلى هذه الحاجة يكون باتباع الحق)، ﴿يَقْوَمُ... الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَلَئِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَكَارِ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

### التعاليم

١ - الثواب والعقاب يكون على أساس العمل لا الآمال والتمنيات، ﴿وَمَنْ عَمِلَ﴾.

٢ - الله ﷻ عدل لا يُعاقب المذنب بأكثر مما يستحقه ﴿مِثْلَهَا﴾.

٣ - الإنسان مخلوق صاحب اختيار، ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً... وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾.

- ٤ - لا يبقى العمل الصالح ولا العمل السيئ دون ثواب أو عقاب مهما كان صغيراً، ﴿سَيِّئَةٌ... صَالِحًا﴾.
- ٥ - أفضل طريق للمعرفة المقارنة بين العمل الصالح والعمل السيئ وبين الثواب والعقاب، ﴿عَمِلَ سَيِّئَةٌ... عَمِلَ صَالِحًا﴾.
- ٦ - لا علاقة للعمل الصالح بجنس العامل وكونه ذكراً أو أنثى، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى﴾.
- ٧ - الرغبة ضروري لإيجاد الدافع للقيام بالعمل الصالح، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا... فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.
- ٨ - المرأة والرجل حالهما واحدة في طي طريق الكمال وتلقي الألفاظ الإلهية، ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى﴾.
- ٩ - إنما يكون الإيمان والعمل مثمرين في النجاة متى اجتماعاً، ومتى انفرد أحدهما عن الآخر لم يكن سبباً للنجاة، ﴿عَمِلَ... وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.
- ١٠ - الإيمان شرط لقبول العمل، ﴿عَمِلَ... وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.
- ١١ - لا بد من الإيمان لأجل دخول الجنة، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.
- ١٢ - الثواب الإلهي لا حساب له «يا من سبقت رحمته غضبه»، ﴿يَغَيِّرُ حِسَابَ﴾، (المراد من الحساب الزيادة في الثواب لا الحساب بمعنى المحاسبة).

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ﴾ (٤١) ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٤٢)

### إشارات

- مؤمن آل فرعون تخلى عن العمل بالتيقن بشكل تدريجي، وشرع في الدعوة إلى الله ﷻ بشكل أصرح.
- تكرار كلمة (يا قوم) من الآية ٢٩ وإلى هذه الآية تدل على مدى حرص وإصرار مؤمن آل فرعون على هداية الناس بل وحتى النظام الفرعوني.

□ تكرر في هاتين الآيتين جملة ﴿أَدْعُوكُمْ﴾ لمرتين، وجملة ﴿تَدْعُونِي﴾ مرتين، ووردتا بصيغة المضارع وهذا يدل على استمرار الدعوة من جبهتي الحق والباطل.

### التعاليم

- ١ - إذا وُجدت اللفظة والإيمان والاستقامة، فإنَّ الإنسان يقوم بكلِّ كيانه لتحذير الناس من السير في خطِّ الانحراف، ﴿أَدْعُوكُمْ﴾.
- ٢ - التضادَّ والصراع بين الحق والباطل صراع مستمرّ ودائم، ﴿أَدْعُوكُمْ... تَدْعُونِي﴾.
- ٣ - كثرة دعاة الباطل لا ينبغي أن تؤثر في داعية الحق ولو كان واحد، ﴿وَتَدْعُونِي﴾، وردت بصيغة الجمع، و﴿أَدْعُوكُمْ﴾ وردت بصيغة المفرد.
- ٤ - الأنظمة الفاسدة تسعى لنشر الانحراف بين المؤمنين، ﴿تَدْعُونِي﴾.
- ٥ - طريق الحق موصل إلى النجاة وطريق الباطل سببٌ لدخول جهنم، ﴿إِلَى النَّجْوَةِ... إِلَى النَّارِ﴾.
- ٦ - لا ينبغي عند الدعوة إلى الحق الاهتمام بعامّة الناس فقط، بل لا بدّ من الاتجاه ناحية دعاة الكفر والشرك أيضاً، ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ... تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ﴾.
- ٧ - لا يمتلك المشرك أيّ منطق أو برهان، ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾.
- ٨ - لا بدّ من استخدام أفضل التعابير لأجل جذب أهل الضلال والانحراف (ولذا كان الخطاب في الآية بصيغة ﴿مَا لِي﴾، ولم يكن موجهاً إليهم بصيغة ﴿مَا لَكُمْ﴾ مثلاً، وكذلك لاحظ مفردات: النجاة، العزيز، الغفار، وهذا سبب لانجذابهم إلى طريق الرشاد والسعادة).
- ٩ - التوبة والرجوع من الكفر إلى الإيمان مقبولة عند الغفار، ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾.
- ١٠ - ليست المغفرة الإلهية بسبب العجز بل هي عين القدرة، ﴿الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾.



﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٤٣)

### إشارات

- جَرَم بمعنى تقطيع الفواكه وتقسيمها، ولا جرم بمعنى عدم القطع والارتباط، إنه هكذا دائماً وليس غير هذا.
- هذه الآية تتميم لكلام مؤمن آل فرعون في دعوته إلى الهدى.
- جملة: ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ يمكن تفسيرها بأحد أنحاء:
  - أ - ليس للأصنام ولا للطواغيت القدرة على إجابة أيّ دعاء.
  - ب - ليس للأصنام ولا للطواغيت رسالة دعوة إلى الهدى أو لنجاة البشر.
  - ج - ليس لدى الطواغيت معرفة بقيمة دعوتنا.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ من الحسم في موضوع الإيمان والعقيدة، ﴿لَا جَرَمَ﴾.
- ٢ - لا بدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاعتماد على الدليل في الكلام، (ليس للأصنام قدرة على دعوة الناس إليها)، ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾.
- ٣ - الإسراف لا يكون في المال فقط، بل تضييع القوى والاستعدادات والطاقات الإنسانية بسبب عبادة الأصنام الجامدة التي لا تقدر على شيء هو من الإسراف أيضاً، ﴿...وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَئِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) فوقه  
اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِكَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)

### إشارات

- التفويض هو إيكال الأمر إلى الله ﷻ، وهي حالة أرقى من التوكّل؛ لأنّه في الوكالة يمكن للموكّل أن يُشرف على عمل الوكيل، وأمّا في التفويض فالأمور

بتمامها توكل إلى الله ﷻ<sup>(١)</sup>. نعم، تفويض مؤمن آل فرعون الأمر إلى الله ﷻ والذي جعله شعاراً من قبله كان بعد أن بذل سعيه وما وسعه من أجل حماية موسى ﷺ من القتل والتحذير والإنذار والدعوة إلى الله. وهذا النوع من التفويض تستبعه الوقاية من قبل الله ﷻ، ﴿فَوَقَّلهُ اللهُ﴾.

□ المستفاد من هاتين الآيتين أن آل فرعون قاموا بتهديد هذا المؤمن، وقد تأمروا عليه وكادوا له، ولكن الله ﷻ وقاه من كيدهم وتأمرهم.

□ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أما لقد سطوا عليه وقتلوه ولكن أتدرون ما وقاه، وقاه أن يفتنوه في دينه»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

- ١ - يجب على المبلِّغ والداعية أن يكون صاحب أمل وأن يبين المستقبل، ﴿سَتَذْكُرُونَ...﴾.
- ٢ - لا بد من استخدام أسلوب الإنذار والتهديد في العمل التبليغي، ﴿سَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾، (عندما ينزل العذاب الإلهي سوف تتبهنون من غفلتكم).
- ٣ - لا بد للمبلِّغ من أن يكون على يقين من الأهداف التي يريدتها، ﴿سَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾.
- ٤ - يجب الاستعاذة بالله ﷻ، ﴿...وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أمام كل تهديد أو تأمر نواجهه، ﴿مَكُرُوا﴾.
- ٥ - لا بد من أن يمتلك المبلِّغ سنداً معنوياً، ﴿...وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾.
- ٦ - لا بد من أن نوكل أمرنا إلى من له اطلاع وعلم بحالنا، ﴿يَمِيزُ بِالْفُجَادِ﴾.
- ٧ - التوكل على الله ﷻ وتفويض الأمر إليه باب للاستجابة السريعة، ﴿فَوَقَّلهُ اللهُ﴾.

٨ - إذا أراد الله ﷻ حفظ عبده المؤمن من شرِّ النَّظام الضالِّ والفساد وقاه من تأمره عليه، ﴿فَوَقَّئَهُ اللَّهُ﴾.

٩ - بلطفٍ من الله ﷻ تُحفظ روح المؤمن ويُحفظ إيمانه ممَّا يُحاك له، كما تفشل كلُّ الخطط التي تُحاك له، ﴿فَوَقَّئَهُ اللَّهُ... وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ﴾.

١٠ - معونة الظالمين والكون معهم موجب لكون الإنسان شريكاً لهم في العقاب النازل بهم، ﴿وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنَ﴾.

١١ - للعذاب الإلهي درجات، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦)

### إشارات

□ يُعْرَضُ المجرمون بعد موتهم وانتقالهم إلى عالم البرزخ على النار وهي الموضع الذي سوف ينقلون إليه في الآخرة صباحاً ومساءً، ويرون العذاب، ويبقون على هذه الحال إلى يوم القيامة حيث يدخلون إلى جهنم<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

١ - يرى العصاة والمذنبون مكانهم في جهنم في الفترة الفاصلة بين الموت وقيام الساعة، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا...﴾.

٢ - يعذب المذنب في النار صباحاً ومساءً، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا...﴾.

٣ - العذاب الإلهي على أنواع مختلفة، (ففي الآية السابقة ورد قوله تعالى: ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾، وفي هذه الآية ورد قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾).

(١) انظر: تفسير نور الثقلين؛ وتفسير مجمع البيان.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّْا فَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ (٤٧)

### إشارات

□ متى وردت مفردة «احتجاج» في القرآن الكريم كان المقصود منها الأفراد المنحرفون ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾.

□ تعرّضت الآيات السابقة للعذاب الذي سوف يناله آل فرعون، وتعرّض هذه الآيات للحوار الذي سوف يدور بين المستكبرين وفراغة التاريخ وبين أتباعهم وأنصارهم المتملقين إليهم. نعم، يجعل هؤلاء من الطواغيت سبباً للإحساس بالضعة والحقارة، ولكن هذا الأمر مرفوض في نظر العقل والمنطق والوحي. فحالهم حال الإنسان الذي يُرجع السبب فيما يلجأ إليه من المعاصي إلى ما يعانيه من مشاكل في الحياة، مع أنّ واجبه يقضي بأن يسعى لحلّ هذه المشاكل من خلال الصبر والزهد والسعي لا من خلال اللجوء إلى المعاصي.

### التعاليم

- ١ - التعرّض لحوار أهل جهنم سبب للإنذار والحذر، ﴿وَإِذْ﴾.
- ٢ - المحاجة والمخاصمة بين أهل النار حالة مستمرة، ﴿يَتَحَاوَرُونَ﴾.
- ٣ - على الرغم من عظمة عذاب جهنم وشدته؛ ولكنه لا يكون سبباً لزوال قدرة الإنسان على الإدراك والفهم، ﴿يَتَحَاوَرُونَ﴾.
- ٤ - تقع بين أهل جهنم احتجاجات وخصومات، ﴿يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾.
- ٥ - لا تبرّر المشاكل التي يواجهها الإنسان في هذه الدنيا التحاقه بالطواغيت، بل هذا الالتحاق سوف يكون سبباً للدخول إلى جهنم، ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ...﴾.
- ٦ - يعرف المجرمون أمثالهم في جهنم، فيتذكرون ما كان في الدنيا ولهم القدرة على الحديث والحوار، ﴿يَتَحَاوَرُونَ... فَيَقُولُ﴾.

- ٧ - عاقبة التقليد والاتباع غير الصحيح نار جهنم، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾.
- ٨ - الخطر يكمن في أن يكون الإنسان تابعاً للباطل في كل وجوده وكيانه، ﴿تَبَعًا﴾، (أي بكل وجوده وكيانه خلافاً لكلمة تابع).
- ٩ - أتباع الباطل سبب للابتلاء والمشاكل، فلا بد من الدقة في اختيار القائد، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾.
- ١٠ - عندما لا يجد المجرم أحداً يلجأ إليه، يطلب النصرة من أمثاله، ﴿فَهَلْ أَنتُ مُغْنِيكَ عَنْهَا﴾.
- ١١ - يكفي المجرم بطلب تخفيف شيء من العذاب، ﴿نَعِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾.
- ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ ﴿٤٩﴾﴾

### التعاليم

- ١ - الرد على طلب الكفار المدد في يوم القيامة سوف يكون بالسلب، فلا أحد يحمل وزر غيره (كيف يمكن لمن كان في جهنم أن ينجي غيره منها)، ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.
- ٢ - سوف يعترف المستكبرون في يوم ما بعجزهم وضعفهم، ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.
- ٣ - المال والمقام لا يمنعان من دخول الإنسان إلى جهنم، ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.
- ٤ - لا مجال للتشكيك في الحكم الصادر من الله ﷻ، ﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾؛ (فالحكام المستكبرون اليوم هم المحكومون في ذلك اليوم).
- ٥ - ورد في الآية ٤٤: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، وفي هذه الآية: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾، أي إن الحاكم هو من كان رقيباً على كل ما يجري.
- ٦ - ورد في الآية السابقة أن الضعفاء يستمدون العون من المستكبرين، وفي هذه الآية تعرض لطلبهم المدد والعون من خزنة جهنم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾.

- ٧ - يرى الإنسان الملائكة في يوم القيامة ويتحدث معهم، (خزنة جهنم من الملائكة)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾.
- ٨ - لجهنم خزنة موكلٌ إليهم أمرها، ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾.
- ٩ - يصل الأمر بالكافر حداً يستنجد فيه بملائكة العذاب، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾.
- ١٠ - تخفيف العذاب بيد الله ﷻ وحده، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾.
- ١١ - يُصاب أهل جهنم باليأس من النجاة الدائمة؛ لذا يكتفون بطلب الحد الأدنى وهو التخفيف الكمي والكيفي من العذاب، ﴿يُخَفِّفُ... يَوْمًا﴾.
- ١٢ - لا مجال في عذاب جهنم لا للإيقاف ولا للتخفيف، ﴿يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾.
- ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٥١﴾

## إشارات

- لا فائدة من إيمان من يؤمن بعد أن يرى العذاب: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا...﴾<sup>(١)</sup>.
- والتوبة عند الموت لا تنفع الإنسان أيضاً، ففرعون تاب لحظة غرقه ولكن الخطاب وجهه إليه بالرفض: ﴿ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ...﴾<sup>(٢)</sup>، كما أن دعاء ورجاء الكافرين لا فائدة منه ولا ثمرة فيه: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

## التعاليم

- ١ - العذاب الإلهي لا ينزل إلا بعد إتمام الحجة، ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ﴾.
- ٢ - إرسال الأنبياء من الله ﷻ ستة دائمة، ﴿تَكُ تَأْتِيكُمُ﴾.

- ٣ - لا بدّ من أن يبادر المبلّغ بالذهاب إلى الناس، ﴿تَأْيِيْكُمْ﴾.  
 ٤ - لكلّ نبيّ معجزة، ﴿تَأْيِيْكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.  
 ٥ - يوم القيامة هو يوم الاعتراف والإقرار، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾.  
 ٦ - لا ثمرة من دعاء الكفار في جهنم، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

### إشارات

□ ورد في الآيات السابقة أنّ مؤمن آل فرعون كان يكتُم إيمانه أولاً ثمّ قام دفعةً واحدةً لإرشاد نظام فرعون، وقد سعى آل فرعون لثنيه عن إيمانه وعقيدته ولكنّ الله ﷻ حفظه وحفظ دينه.

وتتعرّض هذه الآية لخاتمة قصّة مؤمن آل فرعون، وتبيّن أنّ السنّة الإلهيّة بحماية رسل الله لا تختصّ بمؤمن آل فرعون، بل هي تشمل كافّة الرسل وكافّة المؤمنين متى واجهوا الصّعاب والمخاطر.

□ ذكرنا في كتاب (المعاد) أسماء الشهود في يوم القيامة اعتماداً على الآيات والروايات وهم: الأنبياء، الأئمّة، الملائكة، الأرض، الزمان، أعضاء الجسم، فهؤلاء سوف يشهدون على كلّ قولٍ أو فعلٍ صدر من بني آدم.

□ في يوم القيامة مواقف مختلفة، ففي بعض هذه المواقف لا يؤذن للظالمين ليقدموا عذرهم: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وتبيّن هذه الآية أنّهم حتّى لو اعتذروا فإنّ عذرهم لا ينفعهم: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾.

### الأنبياء والنصرة الإلهيّة

□ تعرّض القرآن الكريم للحديث عن نصره الله ﷻ لأنبيائه؛ ونذكر هنا بعض

نماذج ومصاديق ذلك؛ لكي نلقي الضوء على الآية الكريمة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وآية: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾.

\* نصره النبي نوح عليه السلام: ﴿...فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ﴾<sup>(١)</sup>.

\* نصره النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿...يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا...﴾<sup>(٢)</sup>.

\* نصره النبي لوط عليه السلام: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* نصره النبي يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ...﴾<sup>(٤)</sup>.

\* نصره النبي شعيب عليه السلام: ﴿...نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ...﴾<sup>(٥)</sup>.

\* نصره النبي صالح عليه السلام: ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾<sup>(٦)</sup>.

\* نصره النبي هود عليه السلام: ﴿...نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ...﴾<sup>(٧)</sup>.

\* نصره النبي يونس عليه السلام: ﴿...وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ...﴾<sup>(٨)</sup>.

\* نصره النبي موسى عليه السلام: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٩)</sup>.

\* نصره النبي عيسى عليه السلام: ﴿...إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...﴾<sup>(١٠)</sup>.

\* نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾<sup>(١١)</sup>.

\* نصره المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾<sup>(١٢)</sup>، ﴿ثُمَّ أَرْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٣)</sup>، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا...﴾<sup>(١٤)</sup>.

وورد في سورة الأنبياء إن الله سبحانه استجاب لدعاء النبي نوح ويونس وزكريا

(٨) سورة الأنبياء: الآية ٨٨.

(٩) سورة الشعراء: الآية ٦٥.

(١٠) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(١١) سورة الفتح: الآية ١.

(١٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

(١٣) سورة التوبة: الآية ٢٦.

(١٤) سورة الفتح: الآية ٤.

(١) سورة يونس: الآية ٧٣.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٣٤.

(٤) سورة يوسف: الآية ٥٦.

(٥) سورة هود: الآية ٩٤.

(٦) السورة نفسها: الآية ٦٦.

(٧) السورة نفسها: الآية ٥٨.



وأيوب عليه السلام: ﴿...فَأَسْتَجِبْنَا...﴾<sup>(١)</sup>. وفي سورة الشورى في الآية ٢٦ نقرأ قوله تعالى: ﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

□ تتجلى النصر الإلهية للأنبياء وللمؤمنين بصور وأشكال متعددة:

فتارة بإيجاد الإلفة بين القلوب والشبات: ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾<sup>(٣)</sup>.

وأخرى باستجابة الدعاء: ﴿...فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿...رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وأخرى بالمعجزة والبيّنات: ﴿...أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ...﴾<sup>(٦)</sup>.

وأخرى بإعطاء الملك والسلطة: ﴿ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ مُلْكًا عَظِيمًا﴾<sup>(٧)</sup>.

وأخرى بالغبلة في الحرب: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...﴾<sup>(٨)</sup>.

وأخرى بالسكينة وطمأنينة القلب: ﴿...فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدَاهُ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا...﴾<sup>(٩)</sup>.

وأخرى بإهلاك عدوه: ﴿...فَأَغْرَقْنَاهُمْ...﴾<sup>(١٠)</sup>.

وأخرى بالإمداد الغيبي ونزول الملائكة: ﴿أَن يَكِينَكُمْ أَن يُدْكُمَ رَبُّكُم بِإِلَافَةٍ ءَالِفٍ مِّنَ الْمَلَكَةِ مَزْلِيلٍ﴾<sup>(١١)</sup>.

وأخرى بإيجاد الرعب في قلب العدو: ﴿...وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ...﴾<sup>(١٢)</sup>.

وأخرى بانتشار الدين وكثرة أتباعه وأنصاره: ﴿...لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾<sup>(١٣)</sup>.

وأخرى بأن يكتب له النجاة من المخاطر: ﴿فَأُجِيبَتْهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفَةَ...﴾<sup>(١٤)</sup>.

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٧٦، ٨٤، ٨٨ و ٩٠. (٨) سورة التوبة: الآية ٢٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١. (٩) السورة نفسها: الآية ٤٠.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٧. (١٠) سورة الأعراف: الآية ١٣٦.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٤. (١١) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٥) سورة نوح: الآية ٢٦. (١٢) سورة الحشر: الآية ٢.

(٦) سورة الحديد: الآية ٢٥. (١٣) سورة الصف: الآية ٩.

(٧) سورة النساء: الآية ٥٤. (١٤) سورة العنكبوت: الآية ١٥.

وأخرى بإفشال خطط العدو وكيدته، ﴿...وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - نصرة الأنبياء والمؤمنين سنة من السنن الإلهية (انتصار الحق على الباطل وعد إلهي)، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾.
- ٢ - لا ينبغي الشك في النصرة الإلهية، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ﴾؛ (إنا وحرف اللام من علامات التوكيد).
- ٣ - يبعث الوعد الإلهي الأمل والدافع والطمأنينة في نفوس المؤمنين، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾.
- ٤ - النصرة الإلهية تشمل كافة الجوانب، من إفشال مخططات الأعداء إلى زيادة الأتباع وغير ذلك، ﴿لَنَنْصُرُ﴾ وردت مطلقة).
- ٥ - البشارة والإنذار يُشيران متى اقترنا، ﴿لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا... لَا يَفْعُ الْقَلِيلِينَ﴾.
- ٦ - الإيمان هو الذي يُعلي من شأن الإنسان ويجعله في مصاف الأنبياء ومشمولاً للنصرة الإلهية، ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٧ - ما يواجهه الإنسان في هذه الدنيا من مصاعب وأذى لا يتجاوز الساعات والأيام، وفي هذه الدنيا النصر حليف المؤمنين أيضاً<sup>(٢)</sup>، ﴿لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(١) سورة الأنفال: الآية ١٨.

(٢) نكتب تفسير هذه الآية في ظل عشرة فجر انتصار الثورة الإسلامية في ١٤ بهمن ١٣٧٨. ولعل من المناسب أن نذكر نموذجاً من النصرة الإلهية لنهضة الفقيه المجاهد والمخلص الإمام الخميني. ففي سنة ١٣٤٢ قام في ظل نظام الشاه الطاغوتي. وقد نفى ١٥ عاماً إلى تركيا والعراق، ولاقى أنصاره الكثير من الأذى والضرر، فاستشهد بعضهم ولكن الله ﷻ كتب له النصرة، ففر الشاه وسقط النظام الشاهنشاهي بعد ١٥٠٠ عام من قيامه، وتمكن الإمام الخميني من أن يحقق أهدافه. ويذكر سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) أن نظام بني أمية تمكن من تقطيع جسد الحسين ﷺ ولكن الحسين تمكن من أن يصل إلى أهدافه. واليوم نجد الملايين ممن يفتخر بأنه من نسل الحسين ﷺ، ولا نجد شخصاً يفتخر بأنه من نسل يزيد. ونجد رسالة الحسين وتعاليمه قد ملأت الآفاق. وفي كل عام يذهب آلاف الزائرين لزيارة مرقده الشريف، ومجالس الحسين تحيا في كل مكان، فتجد أن زعيم بلاد الهند، وهو ليس من المسلمين، يحضر يوم عاشوراء ويقول: علمني الحسين أن لا أخضع للظلم حتى لو قطعت قطعاً.

- ٨ - الإنسان في حاجة مستمرة للنصرة الإلهية، ولا يستغني إطلاقاً عن اللطف الإلهي، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.
- ٩ - النصره الإلهية دائمة ومستمرة، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.
- ١٠ - على الرغم من كفاية الشهادة الإلهية على الأعمال؛ ولكن تعداد الشهود لكي تكون حجة المؤمن أقوى ولكي يغرق الكافر في الندم والخجل، ﴿يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.
- ١١ - الشهود في يوم القيامة كثر، ﴿الْأَشْهَادُ﴾.
- ١٢ - من لا إيمان له فهو من الظالمين، (استخدمت مفردة «الظالمين» مقابل الذين آمنوا).
- ١٣ - في القيامة عذابٌ روحي، ﴿لَهُمْ أَلْقَنَةٌ﴾؛ وبدني أيضاً، ﴿سُوءَ الدَّارِ﴾.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ﴾

### إشارات

- بعد أن تعرّضت الآيات السابقة لنصرة الأنبياء والمؤمنين تحدّث هذه الآية عن نموذج من نصره الأنبياء، ﴿رُسُلَنَا﴾؛ وهو النبي موسى ﷺ، ونموذج من نصره، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهم بنو إسرائيل.
- ألباب جمع لب وهو العقل الخالص.

### التعاليم

- ١ - الهداية هبة من الله ﷻ (الإيتاء) هو بمعنى العطاء، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾.
- ٢ - لا بدّ من أن يكون الهادي مهتدياً مسبقاً، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾.
- ٣ - كافّة الناس حتّى الأنبياء محتاجون إلى هداية الله ﷻ، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾.
- ٤ - إذا أريد للهداية أن تبقى فلا بدّ أن تكون مدوّنة، وسرّ خلود الأديان السماوية هو الكتب السماوية، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾.

- ٥ - إذا لم تقترن الهداية بالتذكير فإن مصيرها سوف يكون النسيان، ﴿هُدًى وَذِكْرَى﴾.
- ٦ - نيل المعارف السماوية يتوقف على امتلاك العقل والتقوى، ﴿...هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.
- ٧ - العقل لا يغني الإنسان عن الوحي، بل يكمل أحدهما الآخر، ﴿هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.
- ٨ - عناصر السعادة هي الأمور الآتية:
- أ - اللطف والهداية من الله ﷻ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾،
- ب - القيادة المعصومة، ﴿مُوسَى﴾.
- ج - القانون السماوي، ﴿الْكِتَابِ﴾.
- د - التذكّر والابتعاد عن الغفلة، ﴿وَذِكْرَى﴾.
- هـ - العقل الخالص والسليم، ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.
- ٩ - التذكّر والتعلّم دليل على امتلاك العقل السليم، ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.
- ١٠ - معارف الكتاب السماوي مطابقة للعقل، ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.
- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَمَسِيحَ بَحْمَدٍ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾

### إشارات

□ ثبت الأدلة العقلية والنقلية عصمة الأنبياء ﷺ؛ وذلك لأنهم لو لم يكونوا معصومين لم يكن من معنى للأمر بطاعتهم المطلقة، بل لا بد من أن تكون طاعتهم مشروطة، كطاعة الوالدين فإنها مشروطة بأن لا يدعو إلى الشرك والمعصية، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى حاجتنا إلى النبي والأئمة ﷺ تتمثل

بالأمن من الانحراف عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف ممكناً في حقهم فهذا يعني أن الحجة لم تتم لله ﷻ على عباده، مع أن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْكَلِمَةُ...﴾<sup>(١)</sup>.

إذاً، الرسول الذي يقول الله ﷻ إن طاعته من طاعتي ومعصيته من معصيتي لا بد من أن يكون معصوماً. وعليه، ففي موارد كهذه الآية حيث تتعرض لمسألة ذنب النبي، لا بد أن يكون المراد من الذنب ترك الأولى أي ترك فعل ما هو الأفضل وليس ترك فعل ما هو واجب.

ونذكر بعض الأمثلة التي يُمكن أن تبين ذلك: لو أن إنساناً أراد أن يمدّ رجله بسبب ألم فيها في مجلس فيه بعض الشخصيات من ذوي المكانة والاحترام، فإنه يطلب العذر من الحضور أولاً. ولو أن مديعاً تلفزيونياً أصيب بالسعال فإنه يطلب المعذرة من المشاهدين، ولو أن صاحب بيت لم يوفّر طعاماً من الصنف الأول لضيوفه فإنه يطلب العذر منهم، مع علمنا بأن المريض في مده لرجله أو المذيع الذي أصيب بالسعال أو صاحب البيت الذي وقر الطعام دون المقام لا يعدّ مذنباً؛ ولكن الإنسان عندما يكون في محضر الكبار أو عندما يكون أمام المشاهدين أو عندما يرى طعامه أقلّ شأناً من شأن المدعوين يطلب العذر. فإذاً ليس كل طلبٍ للعذر كاشفاً عن المعصية، بل قد يكون أحياناً من باب الأدب واحترام الكبار وأصحاب الشأن.

### عصمة الأنبياء واستغفارهم

□ إذا دخلت إلى مكانٍ وبرفتك ضوء خافت فإنك لن ترى سوى الأشياء الكبيرة، ولكنك إذا دخلت ذلك المكان وبرفتك نور قوي فإنك سوف ترى حتى نواة التمر أو ما هو أصغر من ذلك. فنور الإيمان إذا كان ضعيفاً فإنه لم يكشف سوى الذنوب الكبيرة، ولكن نور الإيمان إذا غمر وجود الإنسان كله، فإنه سوف يكشف حتى الذنوب الصغار. وسوف يجتنب عن تلك الذنوب. وأنبياء

الله ﷻ ونظراً إلى ما يملكونه من إيمان كامل ومن تقوى فإنهم يجتنبون حتى تلك الذنوب الصغيرة، ولذا يُطلق عليهم أنهم معصومون.

□ قد يكون الخطاب في بعض آيات القرآن الكريم موجّهاً للنبي ﷺ ولكن المراد به غيره. ففي الآية ٢٣ من سورة الإسراء نقراً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْفَنُّ عِنْدَكَ الْكَبَرَّ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَمَّا أَتَى﴾، مع أننا نعلم بأن نبي الإسلام ﷺ فقد والديه وهو صغير السن، ولا مجال لأن يُخاطب بـ (عندك الكبير)، فخطاب (عندك) هو لأمة النبي ﷺ. وكذلك الحال في الآية التي نحن بصدد تفسيرها أي قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، فإن المخاطب وإن كان هو النبي ﷺ، ولكن المخاطب الأساس هم المذنبون من أمة النبي وإن عليهم الاستغفار من ذنوبهم، وإن كان المخاطب هو شخص النبي ﷺ فالمراد طلب الاستغفار لما ترتكبه أمته من ذنوب.

### استغفار الأنبياء في القرآن

تعرّضت العديد من الآيات لاستغفار الأنبياء، ونعرض هنا بعضاً من هذه

الآيات:

- \* استغفار النبي آدم ﷺ: ﴿...رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّارْتَفَعِرْ لَنَا...﴾<sup>(١)</sup>.
- \* استغفار النبي موسى ﷺ: ﴿...رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾<sup>(٢)</sup>.
- \* استغفار النبي سليمان ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا...﴾<sup>(٣)</sup>.
- \* استغفار النبي نوح ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ...﴾<sup>(٤)</sup>.
- \* استغفار النبي داود ﷺ: ﴿...وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ...﴾<sup>(٥)</sup>.
- \* استغفار النبي يونس ﷺ: ﴿...سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ...﴾<sup>(٦)</sup>.
- \* استغفار النبي محمد ﷺ: ﴿...وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...﴾<sup>(٧)</sup>.

(٥) سورة ص: الآية ٢٤.

(٦) سور الأنبياء: الآية ٨٧.

(٧) سورة غافر: الآية ٥٥.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٢) سورة القصص: الآية ١٦.

(٣) سورة ص: الآية ٣٥.

(٤) سورة نوح: الآية ٢٨.

## التعاليم

- ١ - بملاحظة الوعد الإلهي بنصرة الأنبياء في الآية السابقة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا...﴾ تأمر هذه الآية بالصبر، ﴿فَاصْبِرْ﴾.
  - ٢ - سبب الصبر الوصول إلى الوعد الإلهي، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.
  - ٣ - النبي ﷺ مأمور بالاستغفار أيضاً، ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذَلِكَ﴾.
  - ٤ - تنزيه الله ﷻ إذا كان مع حمده والثناء عليه كان أرقى وأفضل، ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾.
  - ٥ - لعنصر الزمان تأثيره على الدعاء والعبادة، ﴿وَسَيَحْمَدُ... بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَرِ﴾.  
(كما ورد في آيات أخرى قوله تعالى: ﴿وَيَا أَصْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّعْلَوَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ...﴾<sup>(٢)</sup>).
  - ٦ - التسبيح والحمد إنما يكونا سبباً للرفق والتربية وسبباً لتقوية التوحيد متى كان دائماً في الصباح وفي المساء، ولم يكن آتياً مؤقتاً، ﴿بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَرِ﴾.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانِ أَتْلَهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ يَبْلِغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّكِينُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٥٦)</sup>

## إشارات

- يُعطي الإسلام قيمة أساسية للنية والدافع وما يكون في القلب؛ لذا كان العمل الذي لا يصدر عن إخلاص باطلاً ولا قيمة له. وقد ورد في سورة عبس وفي عشر آيات ذم من عبس في وجه شخص أعمى مع أن الأعمى لا يرى عبوس الوجه أو انبساطه وسروره، ولكن القرآن ذم ذلك لأن عبوس الوجه فيه إهانة للغير وتوهين له.
- فاهتمام الإسلام بالباطن والسريرة قبل اهتمامه بالظاهر، كما تتعرض هذه الآية لروح التكبر الموجودة في قلب المتكبرين.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧.

## التعاليم

- ١ - سبب الجدل بغير حق حالة التكبر التي يعيشها الإنسان في داخله، ﴿يَجِدُولُونَ... فِي صُدُورِهِمْ... كِبَرٌ﴾.
- ٢ - الدافع للجدل مع الحق هو حالة التكبر لا اتباع المنطق، ﴿يَغْتَرِ سُلْطَانِي أَنْتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ﴾.
- ٣ - إذا لم يراقب الإنسان نفسه، فإنَّ التكبر سوف يغمره بتمام كيانه ووجوده، بنحو لا تجد في قلبه شيئاً سوى التكبر، ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ﴾.
- ٤ - من يعاند على أساس التكبر ولا يمتلك المنطق فإنه لن يصل إلى هدفه من الرئاسة والسيادة على الناس، ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾.
- ٥ - ليس للوقاية من عشرة المتكبر من دواء سوى الاستعاذة بالله ﷻ، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.
- ٦ - استعذ بمن يسمع ويرى. (وبهذا تكون له القدرة على حمايتك وإفشال ما يحاك ضدك)، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧)

## التعاليم

- ١ - إذا أحطنا بعظمة الوجود فلن نعيش التكبر في أنفسنا، ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ... لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ...﴾.
- ٢ - لا بد من أن يصاب المتكبرون بالهزيمة، ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾؛ فلماذا يتكبرون؟
- ٣ - النظرة إذا لم يكن فيها اعتبار فهي جهل، ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ... لَا يَعْلَمُونَ﴾.
- ٤ - جذور التكبر ترجع إلى الجهل والغفلة، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.



﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٥٨)</sup>

### التعاليم

- ١ - التكبر أكبر مانع يحول من معرفة الحق والإيمان به. (المتكبر كالأعمى)، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾.
  - ٢ - الإيمان والاعتقاد يتقدمان على العمل، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا...﴾.
  - ٣ - المحوري هو التعلم والتذكر لا الأرقام والعدد، ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ... قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.
  - ٤ - الإنسان الذي لا يهتم بالحقائق أعمى، ﴿الْأَعْمَى... قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.
  - ٥ - أكثر الناس لا يعلمون وقليل منهم الذين يتذكرون ويخضعون للحق، ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ... قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.
  - ٦ - ورد في الآية السابقة: ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي هذه الآية: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾. فالعلم ليس هو المهم بل المهم هو التذكر، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup>

### إشارات

□ لأن يوم القيامة يحدث فجأة وبسرعة أطلق عليه اسم (الساعة)، وكلما وردت مفردة (ساعة) مع الألف واللام كان المراد منها القيامة، وأما لو وردت بدون ألف ولا م التعريف فالمراد منها الزمان، سواء كان زماناً قصيراً محدوداً، كما في قوله تعالى: ﴿...لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أي لحظة الموت التي لا تقبل التقديم ولا التأخير، أو كان المراد منه مطلق الزمان نحو قوله تعالى: ﴿...فِي سَاعَةٍ أَعْرَسَتْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

□ على الرغم من أن بعض الناس يشككون ويستبعدون يوم القيامة، ولكن لا ينبغي الشك ممن لاحظ الحكمة والعدالة والقدرة والعلم الإلهي، ﴿لَا رَبَّ فِيهَا﴾.

### التعاليم

- ١ - على الرغم من إصرار البعض على السؤال عن وقت قيام الساعة، ولكن القرآن لم يجبه عن ذلك، بل ما تعرض له القرآن الكريم هو أصل وقوع القيامة، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ﴾.
- ٢ - تذكر القيامة هو أفضل وسيلة تجعل الإنسان في يقظة دائمة وتقيه الغفلة، ﴿فَلَيْلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ... إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ﴾.
- ٣ - ينبغي عليكم بيان الحق بشكل حاسم لمواجهة تشكيك الكفار في يوم القيامة، ﴿لَا رَبَّ فِيهَا﴾.
- ٤ - شك الناس في وقوع القيامة سببه جهلهم في سعة العلم والقدرة الإلهية، ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴿٦١﴾﴾

### إشارات

□ سؤال: ، بعد الوعد الإلهي باستجابة الدعاء في قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ لماذا نجد أن بعض الأدعية لا تستجاب؟

الجواب:

أ - إن بعض الأعمال كالذنوب والظلم وأكل المال الحرام وعدم العفو عمن طلب العذر منّا يمنع من استجابة الدعاء.

ب - قد تكون استجابة الدعاء أحياناً سبباً في اختلال نظام الخلقة، كالطالب الذي كتب في امتحان الجغرافيا هل سطح البحر أعلى أم سطح الجبال؟

فأجاب سطح الجبال، ثم دعا الله ﷻ أن ينال درجة تؤهله للنجاح.

ومهما كان لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الله ﷻ قادر وحكيم أيضاً.

ج - قد لا يُستجاب الدعاء أحياناً ولكن يُستجاب ما يشابهه.

د - قد يكون للدعاء تأثيره على مستقبل الإنسان أو على أسرته أو في يوم القيامة، فنتيجة هذا الدعاء لا تكون فورية.

□ كلّ دعاء لا يُستجاب فهو في الحقيقة ليس بدعاء؛ لأنّ معنى الدعاء طلب الخير، وكثير ممّا نطلبه ليس من الخير بل من الشرّ.

### آداب الدعاء في القرآن

١ - أن يقترن الدعاء بالإيمان والعمل الصالح: ﴿وَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - أن يكون عن إخلاص: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣ - أن يكون عن تضرّع وفي الخفاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...﴾<sup>(٣)</sup>.

٤ - أن يكون عن خوف وطمع: ﴿...وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾<sup>(٤)</sup>.

٥ - أن يكون في أوقات محدّدة: ﴿...يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدْفَدَةِ وَالشَّتِيِّ...﴾<sup>(٥)</sup>.

### التعاليم

١ - مخاطبة الله ﷻ مفتاح الرشاد والتربية للإنسان، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾.

٢ - بين دعاء الإنسان والربوبية الإلهية علاقة وثيقة. (أكثر أدعية القرآن وردت مع كلمة ربنا)، ﴿رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾.

٣ - يطلب الله ﷻ منا أن نلجأ إليه بالدعاء، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾.

(١) سورة الشورى: الآية ٢٦.

(٤) السورة نفسها: الآية ٥٦.

(٢) سورة المؤمن: الآية ١٤.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

٤ - عند الدعاء لا بدّ من أن ندعو الله ﷻ وحده فقط ولا ندعو أحداً معه، ﴿أَدْعُوهُ﴾.

٥ - الله ﷻ عالم بما نحتاجه ونريده، ولكنه أمرنا بالدعاء لأنّ نفس الطلب يترتب عليه بعض الآثار، ﴿أَدْعُوهُ﴾.

٦ - استجابة الدعاء تكون على الفور ﴿...أَدْعُوهُ أَسْتَجِبْ﴾، (فحتى حرف (ف) أو (ثم) لا وجود له. فلو قال: «فأستجيب» فهذا يعني أنّ الاستجابة تكون بعد مدّة قصيرة، ولو قال: «ثم أستجيب» فهذا يعني أنّ الاستجابة سوف تكون بعد مدّة طويلة).

٧ - لا واسطة في الدعاء ولا في الاستجابة، ﴿أَدْعُوهُ أَسْتَجِبْ﴾.

٨ - استجابة الدعاء وعدّ إلهي، ﴿أَدْعُوهُ أَسْتَجِبْ لَكَ﴾.

٩ - إذا لم يكن الدعاء مستجاباً فلا بدّ من أن يكون السبب في ذلك عدم كونه لمصلحة العبد، لأنّ الله ﷻ قال: ﴿أَسْتَجِبْ لَكَ﴾ أي أستجيب ما يكون فيه مصلحة لكم.

١٠ - ترك الدعاء علامة التكبر، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

١١ - الدعاء علاج لآفة التكبر، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.

١٢ - الدعاء عبادة، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.

١٣ - الدعاء عبادة إلهية خاصّة، ﴿عِبَادَتِي﴾.

١٤ - العقاب الإلهي عادل ويتناسب مع السلوك الصادر من العبد. فالاستكبار اليوم مصيره لا شك هو السقوط والزوال، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ... ذَخِيرِنَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٦)

### إشارات

□ ورد الأمر في الآية السابقة بالدعاء، وفي هذه الآية بيان لبعض النعم الإلهية لكي يُحيي في نفوسنا روح السعي للمعرفة والمحبة لله ﷻ والدعاء.

□ تعرض القرآن الكريم لبيان بعض الأمور التي تكون سبباً للطمأنينة، من ذلك:

- أ - ذكر الله ﷻ: ﴿...أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>.
- ب - دعاء النبي ﷺ: ﴿...إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.
- ج - المدد الغيبي: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾<sup>(٣)</sup>.
- د - الزوجة: ﴿...لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...﴾<sup>(٤)</sup>.
- هـ - البيت والمسكن: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾<sup>(٥)</sup>.
- و - الليل: ﴿جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾.

### التعاليم

- ١ - العبادة والدعاء لا تكون إلا لمن خلق الليل والنهار والذي بيده تأمين ما نحتاج إليه، ﴿ادْعُونِي... اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ...﴾.
- ٢ - الليل للسكن والهدوء والنهار للعمل والسعي، ﴿الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾.
- ٣ - الاستراحة مقدّمة للعمل «لتسكنوا وردت قبل قوله والنهار مبصراً».
- ٤ - الليل والنهار إلى جنب بعضهما البعض نعمة من الله، ﴿الَّيْلَ... وَالنَّهَارَ﴾.
- ٥ - فضل الله ﷻ في هذه الدنيا يشمل المؤمن والكافر، ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾.
- ٦ - من لا يطلب من الله ﷻ فَإِنَّ الله يُعْطِيهِ بَلْفُفِهِ، ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾.
- ٧ - علامة فضل الله أنه مع علمه بأن أكثر الناس لا يشكرون، ولكنه لا يحرم الناس من لطفه بهم، ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.
- ٨ - الأكثرية لا تدلّ على الحَقّانية، ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.
- ٩ - لا ينتظر الله ﷻ منا شكره، بل نحن الذين يجب علينا أن نتوجه إليه بالشكر،

(٤) سورة الروم: الآية ٢١.

(٥) سورة النحل: الآية ٨٠.

(١) سورة الرعد: الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(٣) سورة الفتح: الآية ٤.

﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

١٠ - الليل والنهار نعمتان تستحقان الشكر، ﴿جَمَلَ لَكُمْ آيَاتِهِ... وَالنَّهَارِ... وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَيْ تُوْفَكُونَ ﴿١٧﴾﴾ كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٨﴾﴾

### إشارات

□ الإفك هو الانحراف عن الحق. ويُطلق على الكذب أنه إفك؛ لأنه على خلاف الحق. (الجدد) هو إنكار شيء مع العلم به والتصديق به في القلب، أو إثبات شيء لا يصدقه القلب.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ أولاً من بيان الحق، ثم توجيه النقد، ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ... فَآلَيْ تُوْفَكُونَ﴾.
- ٢ - من لا يؤمن بمبدأ الوجود ويصدق به فهو منحرف، ﴿رَبُّكُمُ... تُوْفَكُونَ﴾.
- ٣ - من يستحقّ العبادة هو من كانت له الربوبية على الناس وكان خالقاً لكل شيء، ﴿رَبُّكُمُ خَلِيقُ... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ٤ - الصنّاع والمخترعون إنما يفعلون ذلك بما وهبهم الله ﷻ، فالخالق الحقيقي لكل شيء هو الله ﷻ، ﴿خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
- ٥ - كلّ طريق يسلكه الإنسان عدا طريق الله ﷻ والاعتقاد بربوبيّته ووحدانيّته هو طريق ضلال، ﴿فَآلَيْ تُوْفَكُونَ﴾.
- ٦ - لا بدّ من ذمّ أهل الضلال والانحراف والغرور حذراً من وقوعهم في ظنّ أنهم الأفضل، ﴿كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ...﴾.
- ٧ - إنكار الحقّ مقدّمة للانحراف، ﴿تُوْفَكُونَ... كَانُوا... يَجْحَدُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ  
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

### إشارات

- تعرضت الآيات السابقة للنعم المرتبطة بالزمان من الليل والنهار، وهذه الآيات تتحدث عن النعم المرتبطة بالمكان كالأرض والسماء.
- لا بد لمعرفة الله ﷻ من التأمل في الآيات الآفاقية والطبيعية: ﴿الْأَرْضُ... وَالسَّمَاءُ﴾؛ وكذلك الآيات الأنفسية: ﴿وَصَوَّرَكُمْ... رَزَقَكُمْ﴾.
- في ما يتعلق بخلق الإنسان والروح التي وهبها الله ﷻ له، بارك الله ذلك بقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. وفي هذه الآية أيضاً عندما تحدث عن السورة الحسنة التي خلق عليها الإنسان قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

### التعاليم

- ١ - كانت الأرض في البدء مضطربة ومتزلزلة فجعلها الله ﷻ مستقرة ليسكنها الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾.
- ٢ - الخلق فعلٌ يرمي لهدفٍ وغاية، ﴿لَكُمْ الْأَرْضُ﴾.
- ٣ - الأرض قرار مع كل ما فيها من حركة، ﴿قَرَارًا﴾.
- ٤ - أعطى الله ﷻ الإنسان أفضل صورة من بين الموجودات، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾.
- ٥ - جمال الوجه هو أحد النعم الإلهية، ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾.
- ٦ - ما رزقنا الله ﷻ إياه هو الطيبات وما ترغبه نفوسنا، ولو أن الإنسان استفاد من غير الطيبات فهذا بسبب سوء اختياره وعناده، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.
- ٧ - الصورة الحسنة والرزق الطيب من مظاهر الربوبية الإلهية، ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ... ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.

- ٨ - جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَبَنَاءَ السَّمَاءِ وَخَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ كُلَّهُ لِأَجْلِ أَنْ يَحْيَا الْإِنْسَانَ وَيَنْمُو، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.
- ٩ - وجود الله ﷻ أساس البركة والرحمة، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾.
- ١٠ - الوجود كله خاضع للربوبية الإلهية، وهو يسعى نحو الكمال، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥)

### التعاليم

- ١ - الحياة الحقيقية هي الله ﷻ ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾، (حياة الآخرين تتصف بالمحدودية والفناء وعدم الاستقلال).
- ٢ - لا بد أولاً من المعرفة ثم الدعاء والمناجاة، ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ... خَلَقَكُمْ... هُوَ الْحَيُّ... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ... فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾.
- ٣ - لا بد أن يكون المعبود حياً، ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.
- ٤ - إذا لم يكن من معبود إلا هو، فاعبده وحده، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾.
- ٥ - من آداب الدعاء الحمد له والثناء عليه، ﴿فَادْعُوهُ... الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾.
- ٦ - بين الدعاء والربوبية ارتباط وثيق، ﴿فَادْعُوهُ... رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٧ - الربوبية الإلهية هي سبب حمده والثناء عليه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٨ - الوجود يسعى نحو الكمال، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٦)

### إشارات

□ خُتِمَت هذه الآية والآيتان السابقتان بقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وفي الآية ٦٤ بعد إثبات الذات الإلهية قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وفي الآية ٦٥ وبعد ذكر



التوحيد والإخلاص قال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وهذه الآية بعد نفيها لأي نوع من الشرك قالت: ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. نعم، السير الطبيعي والمنطقي لمعرفة الله أن نعرفه أولاً ثم نؤمن بوحدانيته ونرفض كل ما يتنافى مع توحيده.

### التعاليم

- ١ - لا بد من إدخال اليأس إلى قلوب الأعداء، ﴿قُلْ إِنِّي تُهِتٌ﴾.
- ٢ - لقد استبان الوحي للناس دون نقص أو خلل، ﴿قُلْ إِنِّي تُهِتٌ﴾.
- ٣ - الدليل والبينة هما الأساس لا ما نتوقعه من الناس والمحيط (على الرغم من وجود الدلائل الواضحة والبينة لا يبقى أي مجال للتسليم أمام الشرك)، ﴿جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾.
- ٤ - الأمر والنهي يعتمد على المنطق والاستدلال، ﴿تُهِتٌ... لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾.
- ٥ - كل موقف يتخذه النبي ﷺ يعتمد على الوحي، ﴿تُهِتٌ... أُمِرْتُ﴾.
- ٦ - لا بد أن يكون التوحي والتبري معاً (ما لم نبرئ أنفسنا من أنواع الشرك لن نصل إلى التوحيد الحقيقي)، ﴿تُهِتٌ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ... وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾.
- ٧ - التسليم ينبغي أن يكون لمن يستحق ذلك وهو رب العالمين، ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٨ - العبادة الحقيقية، التسليم لله ﷻ، ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ ولم يقل: أعبد رب العالمين.
- ٩ - التسليم بالربوبية سبب لرفقي الإنسان، ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلَيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

﴿١٧﴾

### إشارات

□ بين الله ﷻ في هذه الآية خلق الإنسان وموته في مراحل سبع.

□ فُسِّرَ خلق الإنسان من تراب بأحد معنيين:

أ - إِنَّ الإنسان الأولُ خُلِقَ من تراب.

ب - الإنسان موجود خُلِقَ من نطفة، والنطفة من غذاء، والغذاء يعود في جذوره الغذائية إلى التراب.

□ أشارت الآيات السابقة إلى الدعاء والمعرفة والإخلاص والشكر والتسليم. وتُشير هذه الآية إلى المنزلة التي وقَّرت لهذا الإنسان إمكانية الوصول إلى هذه المراحل.

### التعاليم

١ - بداية خلق الإنسان من تراب لا من تطور النوع الحيواني، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.

٢ - القدرة الإلهية جعلت من التراب الذي لا روح فيه إنساناً ذا روح، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.

٣ - القدرة الإلهية جعلت من التراب إنساناً عاقلاً يملك القدرة على التفكير، ﴿وَمِنْ تُرَابٍ... تَقُولُونَ﴾.

٤ - مراحل الخلقة تَمَّت بشكل تدريجي، ﴿ثُمَّ... ثُمَّ... ثُمَّ﴾.

٥ - خلق الإنسان من تراب ومن نطفة بيد الله ﷻ، ولكن ما يجب علينا هو السعي لنصل إلى مكانٍ ما، ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا﴾.

٦ - حياة الإنسان تطوي مراحل من الكمال، ﴿تُرَابٍ... طِفْلاً... شُبُوحاً... يُتَوَفَّى﴾.

٧ - قبض الروح بيد الله ﷻ، ﴿يُتَوَفَّى﴾.

٨ - الموت ليس عدماً، بل هو نزاع الروح من البدن، ﴿يُتَوَفَّى﴾.

٩ - ليس للكمال الإنساني من حد (نظراً إلى عدم تحديد الآية حد الكمال، فإن لكل أحد أن يصل إلى مراحل من القوة والشدة)، ﴿لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾.

١٠ - مقدار عمر الإنسان محدّد مسبقاً، ﴿أَجَلاً مُّسَمًّى﴾.

١١ - أفضل وسيلة للتدبر هو التدبر في نفس خلق الإنسان، ﴿مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٦٨)

### إشارات

□ وردت جملة ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ثماني مرّات في القرآن الكريم للدلالة على سعة القدرة الإلهية.

□ المراد من القول الإلهي في الآية، الإرادة التكوينية لله ﷻ المتعلقة بوجود أمر، ولا يتوقف على الكلام باللسان، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

### التعاليم

- ١ - الموت والحياة بيد الله ﷻ فقط، ﴿هُوَ الَّذِي﴾.
  - ٢ - قدرته على الإمامة والإحياء واحدة، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.
  - ٣ - القدرة الإلهية مطلقة ولا شيء بخارج عن تحت القدرة الإلهية (كلمة أمراً بمعنى كل أمر).
  - ٤ - الإرادة الإلهية حتمية وقطعية ولا تغلب، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.
- ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرِفُونَ﴾ (٦٩) ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠)

### إشارات

□ تعرّضت هذه السورة في ثلاثة مواضع للجدال بغير حق:

- أ - ففي الآية ٣٥ وصف بأنه ذنب كبير وأنه سبب للختم على القلب.
- ب - في الآية ٥٦ بين أنّ سبب الجدال بغير حق صفة التكبر التي هي في صدر المجادل.

ج - في هذه الآية تعرّض لحال المجادلين وأنهم من أهل الانحراف وممن ضلّ السبيل<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - الاطلاع على تاريخ المعاندين من الأمم السابقة وسيلة للاعتبار وسبب لسكينة الأمم المعاصرة، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
  - ٢ - الجدل في آيات القرآن سبب للضلال والضياع، ﴿يَجِدُونَ... يُصِرُّونَ﴾.
  - ٣ - الإنذار له تأثيره الإيجابي في العمل التبليغي، ﴿سَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.
- ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِيَّ اعْتَقَتْهُمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾

### إشارات

- الأغلال جمع غلّ وهو الطوق الذي يوضع على رقبة الإنسان لأجل المهانة والذلّ.
- والسلاسل جمع سلسلة وهو الزنجير ويسحبون بمعنى الجرّ على الأرض. يُسجرون بمعنى إشعال النار وإيقادها وزيادة لهيبها.
- ذكر صفات وخصائص القيامة وأنواع العذاب الإلهي عن طريق الوحي سبب للحذر ولتربية النفوس وتقواها، وأمّا الإيمان الفلسفي الذي يصل إليه الإنسان من خلال صفتي العدالة والحكمة فهو إيمان يورث اعتقاداً عاماً بالقيامة، ولا تترتب عليه هذه الآثار. كما أنّ إثبات وجود الله ﷻ عن طريق الدور التسلسل لا يكون سبباً لتقوى الله ﷻ، وإن كان لهذه المباحث العقلية تأثيرها في موضعها.

□ تعرّضت الآية المذكورة لأنواع العذاب المكتوب على الكفار:

- أ - الأذى الجسمي بوضع الأغلال والسلاسل، ﴿الْأَغْلُلُ...﴾.

- ب - السوق إلى النار الذي يتمّ بهانة وإذلال، ﴿يُسْحَبُونَ﴾.
- ج - أولاً العذاب في الحميم ثمّ في نار جهنم، ﴿فِي اللَّيْمِ ثُمَّ فِي النَّارِ﴾.
- د - جحيم نار جهنم يصل حدّاً لا مجال فيه للتخفيف، ﴿يُسْجَرُونَ﴾.
- هـ - السؤال عن شركائهم المفترضين يكون سبباً لندمهم، ﴿قِيلَ لَهُمْ أَتَىكَ﴾.

### التعاليم

- ١ - عندما يرى المعاندون العذاب يدركون مدى انحرافهم، ﴿سَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَلُ﴾.
  - ٢ - الجدل مع الحقّ والتكذيب به موجب للوقوع في أنواع من العذاب، ﴿يُجَادِلُونَ... كَذِبُوا... إِذِ الْأَغْلَلُ﴾.
  - ٣ - تكبر الإنسان في هذه الدنيا سوف يتبدّل في الآخرة ذلّاً (لن يبقى الطغاة وأهل الغرور والشرك دون رادع)، ﴿الْأَغْلَلُ... يُسْحَبُونَ﴾.
- ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَىكَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٧٣) **مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ** ﴿٧٤﴾

### التعاليم

- ١ - يوم القيامة هو يوم انكشاف الحقائق وبطلان الشرك، ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾.
- ٢ - كلّ ما عدا الله سوف يُصاب بالفناء، ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾.
- ٣ - تؤدّي مظاهر يوم القيامة إلى صدمة في نفوس المشركين، فتارةً يقولون: «ضلّ عَنَّا ما كنّا ندعوه»؛ وأخرى يقولون: لم نكن ندعو أحداً، ﴿ضَلُّوا عَنَّا... لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا﴾.
- ٤ - لا يضلّ الله ﷻ أحداً بلا سبب (الضلالة الإلهيّة عقاب لكفر مسبق)، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ اذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلَّسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

### إشارات

- الفرح هو السرور الطبيعي والمرح هو السرور الزائد عن الحد والذي يكون بسبب الغرور.
- المَثْوَى هو مكان الإقامة الدائم والمستمر، أي المكان الأبدي والخالد.

### الإسلام والفرح

□ الإسلام دين الفطرة، ولا يقف أمام فرح الإنسان؛ لأنه حالة غريزية طبيعية في الإنسان، وما يقف أمامه الإسلام وينهى عنه هو الفرح والسرور في غير موضعه، ويبين القرآن ذلك في:

\* فرح جماعة بسبب تخلفهم عن الجهاد: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>.

\* الفرح بنعيم الدنيا المقارن لنسيان الآخرة والغفلة عنها: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(٢)</sup>.

\* الفرح بسبب امتلاك المال والثروة، فقارون خوطب بقوله: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾.

\* الفرح بسبب ما يُصيب المؤمنين من شدائد: ﴿وَلَا تَصْبِكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

\* الفرح بسبب ما له من علم: ﴿...فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ...﴾<sup>(٤)</sup>.

ولو أنّ الفرح كان على أساس الحق واللطف الإلهي وخدمة الناس والوصول إلى الكمالات، فهو فضل مأمور به: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾<sup>(٥)</sup>.

(٤) سورة غافر: الآية ٨٣.

(٥) سورة يونس: الآية ٥٨.

(١) سورة التوبة: الآية ٨١.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

## التعاليم

- ١ - لا بدّ من أن نبين للمذنب سبب ما يلحق به من جزاء وعقاب، لكي لا يُطالب بذلك ولتحذير الآخرين من عاقبة بعض الأعمال، ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ﴾.
- ٢ - الفرح في غير موضعه سبب للعذاب الإلهي، ﴿كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾.
- ٣ - لا بدّ وأن يكون الفرح على أساس الحقّ وبمدى عدم الغفلة وفي ظلّ التوحيد، ﴿تَفْرَحُونَ... يَغْيِرُ الْحَقُّ﴾.
- ٤ - الفرح الذي نشهده اليوم والذي يقوم على أساس التعدي والقتل والسلب والاستهانة بالقيّم والمقدّسات سوف ينقلب إلى أغلال وسلاسل وجرّ فاعليه إلى جهنم وإذلالهم وإهانتهم، ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ... يَغْيِرُ الْحَقُّ﴾.
- ٥ - الفرح إذا كان بالحقّ فهو ممدوح، ولكن ما هو مذموم الفرح الذي يعتمد على الباطل، ﴿تَفْرَحُونَ... يَغْيِرُ الْحَقُّ﴾.
- ٦ - أبواب جهنم متعدّدة، ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدَكَ بِعُضِّ الَّذِي نَعْلَمُ أَوْ تَتَوَقَّعَكَ فَإِنَّا

يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

## إشارات

□ بعد أن تعرّضت هذه السورة في ثلاثة مواضع للمجادلة بغير حقّ والتعصّب الذي كان يميّز به الكفار<sup>(١)</sup>، يأمر الله ﷻ نبيه الأكرم ﷺ بالصبر لأنّ وعد الله حقّ.

□ كما يجب تهديد العدو يجب بثّ الطمأنينة في نفوس المؤمنين. فالآيات السابقة كانت لغتها توجيه التهديد للكافرين، وهذه الآية لبثّ الطمأنينة في نفس النبي ﷺ ونفوس المؤمنين.

## سلوك النبي ﷺ مع الناس

□ كلُّ سلوكٍ للنبي ﷺ مع الناس كان مطابقاً للأمر الإلهي. ولم يكن عن طبيعة شخصية وقد اختلف سلوك النبي ﷺ باختلاف المواقف والأفراد. ويُمكننا تصنيف الآيات التي تعرّضت لهذا الأمر إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: الآيات التي تتحدّث عن الأسلوب الهادي الذي كان عليه النبي ﷺ مع الناس.

الطائفة الثانية: الآيات التي تتحدّث عن أسلوبه الشديد مع الضالين والمنحرفين.

وسوف نذكر هنا نماذج من الآيات من كلتا الطائفتين:

الطائفة الأولى: الآيات التي تتحدّث عن الأسلوب الهادي للنبي ﷺ مع الناس:

- ﴿فَاصْبِرْ﴾.

- ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِئِنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

- ﴿...وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿...فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.

- ﴿...ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾<sup>(٥)</sup>.

- ﴿...تَمَلَّؤُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّيْتُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>.

- ﴿فَبَايَعَهُمْ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup>.

- ﴿...قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾<sup>(٨)</sup>.

- |                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.  | (٥) سورة فصلت: الآية ٣٤.     |
| (٢) سورة التوبة: الآية ١٠٣.   | (٦) سورة آل عمران: الآية ٦٤. |
| (٣) سورة النحل: الآية ١٢٥.    | (٧) سورة الممتحنة: الآية ١٢. |
| (٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩. | (٨) سورة التوبة: الآية ٦١.   |



- ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَاثِبَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

- ﴿...وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْ لَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَآنَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

الطائفة الثانية: التي تتحدث عن الأسلوب الشديد مع أهل الضلال والكفر

والعناد.

- ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

- ﴿فَلَا تَطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

- ﴿...جَهْدِ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٧)</sup>.

- ﴿...مُرَّ الْمَدُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾<sup>(٨)</sup>.

- ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٩)</sup>.

- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾<sup>(١٠)</sup>.

- ﴿...ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾<sup>(١١)</sup>.

- ﴿...لَا نَقُصُّ فِيهِ﴾<sup>(١٢)</sup>.

- ﴿وَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ﴾<sup>(١٣)</sup>.

- |                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الأنعام: الآية ٥٣.    | (٨) سورة المنافقون: الآية ٤. |
| (٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.  | (٩) سورة الأحزاب: الآية ٦٠.  |
| (٣) سورة الأنفال: الآية ٦١.    | (١٠) سورة التوبة: الآية ٨٤.  |
| (٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٧.    | (١١) سورة الأنعام: الآية ٩١. |
| (٥) سورة السجدة: الآية ٣٠.     | (١٢) سورة التوبة: الآية ١٠٩. |
| (٦) سورة القلم: الآيتان ٨ - ٩. | (١٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٨. |
| (٧) سورة التوبة: الآية ٧٢.     |                              |

## التعاليم

- ١ - التذكير بسعة القدرة الإلهية المتعلقة بعقاب المجرمين وحسابهم سبب لبث الأمل ودعامة للصبر، ﴿فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ فَأَصِيرَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي أن يؤدّي التأخير في معاقبة المجرمين إلى الشك والترديد، ﴿فَأَصِيرَ إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾.
- ٣ - كون الوعد الإلهي حقاً سبب للصبر والثبات، ﴿فَأَصِيرَ﴾؛ لأن، ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾.
- ٤ - النبي الأكرم ﷺ كان يتوقع نزول العذاب على الكفار في الدنيا، ولكن الله ﷻ لا يفعل إلا لحكمة، ولا تأثير لما كان ينتظره النبي ﷺ على الحكمة الإلهية، ﴿فَكَيْفَ تُرِيدُكَ... أَوْ تَوَفِّيكَ﴾.
- ٥ - لا حد للصبر على المكاره، ولا بد من الصبر إلى آخر العمر، ﴿فَأَصِيرَ... إِنَّمَا... تَوَفِّيكَ﴾.
- ٦ - لا عجلة من الله ﷻ في معاقبة المجرمين، ﴿فَكَيْفَ تُرِيدُكَ... أَوْ تَوَفِّيكَ﴾.
- ٧ - لا يمكن أن يكون عقاب المجرمين عقاباً تاماً في هذه الدنيا، بل لا بد من عقاب في العالم الآخر أيضاً، ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ...﴾.
- ٨ - للفعل الإلهي وقته المحدد، وكل شيء يقع في وقته، ﴿تُرِيدُكَ... أَوْ تَوَفِّيكَ﴾.
- ٩ - الموت ليس عدماً، بل هو تحوّل وانتقال، ﴿تَوَفِّيكَ﴾.
- ١٠ - الموت مكتوب على الخلق كافة حتى الأنبياء، ﴿تَوَفِّيكَ﴾.
- ١١ - لا مجال لأحد للفرار من يد القدرة الإلهية، ﴿فَالَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.
- ١٢ - إحضار الناس في يوم القيامة إجباري، ﴿يُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾

### إشارات

□ عدد الأنبياء طبقاً للروايات مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، ولكن القرآن لم يتعرض بالاسم سوى ستة وعشرون منهم وهم:

آدم، نوح، إدريس، صالح، هود، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يوسف، لوط، يعقوب، موسى، هارون، شعيب، زكريا، يحيى، عيسى، داود، سليمان، إلياس، اليسع، ذا الكفل، أيوب، يونس، عزيز ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

□ من وسائل التربية والإرشاد بيان تاريخ الأمم الماضية والنماذج الحسنة، وهذا الأسلوب كان معتمداً في القرآن أيضاً.

### التعاليم

١ - نبي الإسلام ﷺ هو خاتم النبيين، (تكرر قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾، في القرآن الكريم ولم يرد إطلاقاً جملة من بعدك).

٢ - ذكر تاريخ الأنبياء سبب لبث الطمأنينة في نفس النبي ومن موجبات الصبر، ﴿فَأَمَّا... مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا﴾.

٣ - لا بد من تلاوة القصة والتدبر فيها إذا كانت حقاً وكان المراد منها نشر الحق، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾.

٤ - لا ينبغي أن نعتبر سرد القصص دليل ضعف، فالقرآن اعتمد أسلوب ذكر القصص، ﴿قَصَصْنَا﴾.

- ٥ - أعرف الناس بسرد تاريخ الأنبياء هو من بعثهم للناس رسلاً، ﴿قَصَصْنَا... لَمْ نَقْصُصْ﴾.
- ٦ - ليس القرآن بكتاب تاريخ، وإلا لاستعرض تاريخ كافة الأنبياء، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَمْ نَقْصُصْ﴾.
- ٧ - المهم في سرد التاريخ الاعتبار لا التعداد، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَمْ نَقْصُصْ﴾.
- ٨ - لا تنزعج من عدم ذكر اسمك في الإعلام وغيره، فاسم الكثير من الأنبياء لم يذكر، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَمْ نَقْصُصْ﴾.
- ٩ - معجزات الأنبياء خاضعة للإذن الإلهي لا لهوى الناس وهوسها، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- ١٠ - من لا يبالي بتاريخ الأنبياء ومعاجزهم فمصيره الخسران، ﴿قَصَصْنَا... يَأْتِ بِتَايَةٍ... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.
- ١١ - الفصل والحكم النهائي بين الأنبياء وأعدائهم في يوم القيامة، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾.
- ١٢ - يوم القيامة هو اليوم الذي يحكم فيه الله ﷻ ويخسر فيه أهل الباطل، ﴿فَقُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.
- ١٣ - الخسارة الحقيقية هي خسارة الآخرة، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾.
- ١٤ - الأسوأ من أهل الباطل أولئك الذين مضافاً إلى اتّباعهم الباطل يسعون لمواجهة الحق ومحاربة الأنبياء، ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَتَرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

### إشارات

□ أفضل سبيل لإيجاد المعرفة والشكر وتقويتها في النفس التفكير والتأمل بالنعمة

الإلهية، وأفضل سبيل لذلك هو التأمل في النعم الإلهية التي تعمّ الناس جميعاً في كل زمان ومكان.

□ الأنعام جمع (نعم) وهو الإبل في الأساس ولكنه يُطلق على المجموع من الإبل والبقر والغنم.

□ منافع الأنعام لا تقتصر على الركوب والطعام، بل يُنتفع بجلدها وصوفها وحليبها وشحمها، بل حتّى فضلاتها تنفع في السماد أو إيقاد النار. وكذلك تلحظ منافع الحيوانات في إيجاد مصانع الحرير والخيطان والجلد والألبان وغير ذلك.

### التعاليم

- ١ - الإنسان محور خلق العالم، ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ... وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾.
- ٢ - لو لم يسخر الله ﷻ الأنعام للإنسان لأصبحت حياة الإنسان بالشلل، فعلى الرغم من كونها أشدّ قدرة من الإنسان إلا أنّ الله ﷻ سخرها لهذا الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا﴾.
- ٣ - أوصى الإسلام بالاستفادة من لحم بعض الأنعام وجعلها غذاء، ولا يرغب الإسلام بأكلها غير مطبوخة، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.
- ٤ - لا تنحصر فوائد الأنعام في ما يستفيده الإنسان فقط، (كلمة منافع وردت منكّرة).
- ٥ - الإنسان بحاجة إلى الحيوان، ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾؛ (ولكن الحيوان لا يحتاج إلى الإنسان).
- ٦ - من النعم الإلهية إمكان الركوب والحمل في الفلك، ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.
- ٧ - كافّة النعم في الرؤية الكونية الإلهية مقدّمة للمعرفة والعبودية لله ﷻ، ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾.
- ٨ - الإنسان غير الشكور هو الذي يتنعم بنعم الله ﷻ ويُنكر صاحب النعمة، ﴿فَأَيُّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾.
- ٩ - آيات معرفة الله ﷻ في تناول الجميع، ﴿فَأَيُّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ  
وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

### التعاليم

- ١ - السياحة التي تكون لغاية وهدف أمر مرغوب فيه وممدوح، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا... فَيَنْظُرُوا﴾.
- ٢ - مما ذمّه القرآن الكريم عدم الهجرة في الأرض لأجل اكتساب التجارب والمعارف والعبر، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا... فَيَنْظُرُوا﴾.
- ٣ - التاريخ مصدر من مصادر المعرفة والاطلاع على الحقائق، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا... مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٤ - رفض الكفار لدعوة النبي ﷺ كان بسبب اغترارهم بقوتهم وعددهم، ولذا يذكرهم القرآن بأن من كان قبلهم من الأمم السالفة كانوا أشد منهم قوة، ﴿كَانُوا أَكْثَرَ... وَأَشَدَّ﴾.
- ٥ - من أسباب سقوط وانهيار الحضارات هو رفضها دعوة الأنبياء والتخلي عن التعاليم الإلهية، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا...﴾.
- ٦ - لا ينبغي النظر إلى كل حضارة وتقدم على أنه بسبب امتلاك السعادة والاستقامة، ﴿قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ...﴾.
- ٧ - لا بد من حفظ آثار الأمم السالفة لتعتبر بها الأمم القادمة، ﴿فَيَنْظُرُوا﴾.
- ٨ - لا ينبغي أن نضع في حسابنا المجتمعات والأفراد، بل لا بد أن ننظر إلى العاقبة، ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾.
- ٩ - الكثرة والقوة لا تمنع وقوع العذاب الإلهي، ﴿أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾.
- ١٠ - الحضارة البشرية ليست دائماً في حالة تطور، بل إن بعض الأمم السالفة كانوا أكثر حضارة وتطوراً، ﴿قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا﴾.
- ١١ - كل ما نملكه لا يُغني شيئاً بل هو هباء أمام العذاب الإلهي، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾

### إشارات

□ وجد على مرّ التاريخ من الناس من كان يظنّ في نفسه الاستغناء عن الوحي وعن النبوات نظراً إلى ما يملكه من علم كان سبباً في حضارته وامتلاكه للثروات، أو بسبب ما كان عليه من عقيدة أسلافه. نعم، الإنسان بمجرد أن يتعلّم بضع كلمات أو ينال شهادة ما يُصاب بالغرور.

□ تكرر في القرآن في مواضع ثلاثة قوله: (نصيياً من الكتاب)، أي العلم بشيء من الكتاب، وهذه الجملة استخدمت في وصف من وقّع في خطّ الانحراف لعدم امتلاكه العلم الكافي، واقتصره على شيء من العلم.

ففي آية يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ... ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ يَنْهَهُهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي آية أخرى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا السَّبِيلَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي آية أخرى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّغُوتِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

فالعلم المحدود يجعل الإنسان في معرض الغرور، فيضل ويبع دينه. وفي هذه الآية يذكر الله تعالى أنّ العلم المحدود يمنع من قبول الحق، ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

□ يبيّن القرآن أنّ للعلم مراحل ثلاثاً:

أ - العلم النافع الذي يكون سبباً للرفق المعنوي للإنسان، كما في قصة موسى والخضر عليه السلام حيث قال موسى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٣.

(٣) السورة نفسها: الآية ٥١.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٤.

(٤) سورة الكهف: الآية ٦٦.

- ب- العلم غير النافع، كالعلم بعدد أصحاب الكهف وأنهم ثلاثة كانوا أو سبعة، لأن المهم كان عزمهم على حفظ دينهم<sup>(١)</sup>.
- ج- العلم المضّر كالعلم بالسحر، لأجل التفرقة بين المرء وزوجه<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

- ١ - بعثة الأنبياء لإتمام الحجة سنة من السنن الإلهية، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾.
- ٢ - الأنبياء كانوا يذهبون إلى الناس، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾.
- ٣ - الغرور العلمي يمنع من القبول بالحق، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.
- ٤ - العلوم والتجارب البشرية لا تُغني عن التعاليم الإلهية ولا تجعل الإنسان غنياً عن دعوة الأنبياء، ﴿جَاءَتْهُمْ... بِالْبَيِّنَاتِ... عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.
- ٥ - الأنبياء حجة حتى على خصومهم، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.
- ٦ - العذاب الإلهي لا يكون إلا بعد إتمام الحجة، ﴿جَاءَتْهُمْ... بِالْبَيِّنَاتِ... وَحَافَ بِهِمْ﴾.
- ٧ - لكل نبي معجزة، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.
- ٨ - لا سبيل للفرار للكافرين في يوم القيامة، ﴿وَحَافَ بِهِمْ﴾.
- ٩ - الغرور بالعلم يكون سبباً للاستهزاء بالوعد الإلهي، ﴿عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ... يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ١٠ - إذا كان فرح الإنسان سبباً للصّد عن سيره في طريق الكمال فهو مذموم، ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ... يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

(١) السورة نفسها: الآية ٢٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٢.



- ١١ - من السنن الإلهية نصرة أنبيائه بإنزال العذاب على الكافرين، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ١٢ - عمل الإنسان هو سبب العذاب الإلهي، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ١٣ - الاستهزاء سبب للعذاب العام، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ١٤ - الفعل المذموم يكون سبباً للعذاب الإلهي إذا كان دائماً، ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ١٥ - منطق المنكرين أمام معاجز الأنبياء وأدلتهم هو الاستهزاء، ﴿رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ... يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ١٦ - لا نفع من الإيمان عند الاضطراب، وإن كان إيماناً حقيقياً، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا﴾.
- ١٧ - لا يؤمن بعض الناس حتى يرى العذاب الإلهي، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا﴾.
- ١٨ - لا أساس للشرك يقوم عليه، والمشركون سوف يكفرون بشركهم، ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَّ اللَّهُ إِلَيْنَا قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادَةٍ وَخَيْرَ هَذَا﴾

﴿الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥)

### إشارات

□ قَدِمَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ فَجَرَّ بِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ، فَأَرَادَ أَنْ يُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ فَاسْلَمَ، فَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: قَدْ هَدَمَ إِيْمَانَهُ شَرْكَهُ وَفَعَلَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُضْرَبُ ثَلَاثَةَ حُدُودَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَفْعَلُ بِهِ كَذَا وَكَذَا، فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِالْكِتَابِ وَأَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عليه السلام وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ كَتَبَ: يُضْرَبُ حَتَّى يَمُوتَ، فَأَنْكَرَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ وَأَنْكَرَ فَقَهَاءُ الْعَسْكَرِ ذَلِكَ، وَقَالُوا:

يا أمير المؤمنين نسأل عن هذا فإنه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجئ به سنة، فكتب إليه: إن فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم تجئ به سنة ولم ينطق به كتاب فبين لنا لِمَ أوجبت عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - في حالات الشدة والاضطرار تبرز فطرة الإنسان ويُسرع الكفار إلى الإيمان؛ ولكن إيمانهم هذا لا ينفعهم لأنه بعد البأس، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾.
- ٢ - لا بد أن يكون الإيمان عن اختيار لا عن اضطرار وبأس، ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾.
- ٣ - نقل مصير الأمم الكافرة ينفع لاعتبار الأمم اللاحقة، ﴿قَالُوا ءَامَنَّا... فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾.
- ٤ - العقاب الإلهي والثواب يسير وفقاً للقانون، ﴿رَأَوْا بَأْسَنَا... سُنَّتَ اللَّهُ...﴾.
- ٥ - من السنن الإلهية أن لا فائدة من الإيمان الاضطراري، ﴿سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي...﴾؛ (سنة الله تجري على كافة الأفراد والمجتمعات)، ﴿...وَلَكِنْ يَحْدُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - في لحظة الموت يستبين للإنسان خسارانه، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾.
- ٧ - الإيمان الاضطراري الذي لا يبقى معه مجال لدى الإنسان للعمل هو الخسران، ﴿قَالُوا ءَامَنَّا... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٣٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٢؛ سورة فاطر: الآية ٤٣؛ سورة الفتح: الآية ٢٣.

٨ - ورد قبل سبع آيات قوله تعالى: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾، وهنا يختم بقوله: ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾، وبهذا يعلم بأن الكفار هم أهل الباطل، وأن أهل الباطل هم الكفار.

«والحمد لله رب العالمين،

# سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

السورة: ٤١ الجزء: ٢٤ - ٢٥

عدد الآيات: ٥٤



## ملاحح سورة فصلت

سورة فصلت مكّية وآياتها أربع وخمسون. واسمها مأخوذ من الآية الثالثة ويُطلق عليها تسمية (حم السجدة)، وذلك لأنها تبدأ بـ ﴿حَمْدٌ﴾ وهي السورة الأولى التي تجب فيها السجدة من بين السور الأربع التي فيها سجدة واجبة. تتحدث آيات هذه السورة عن البعث، وتاريخ الأمم السابقة، وعظمة القرآن، وآيات القدرة الإلهية في الوجود. ورد في الحديث أنّ النبي ﷺ كان لا ينام قبل أن يقرأ تبارك وحم السجدة<sup>(١)</sup>.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾

### إشارات

□ المراد من كلمة أنزلنا، النزول الدفعي، والمراد من كلمة ﴿تَنْزِيلٌ﴾ النزول التدريجي، ويجمع بين الإنزال والتنزيل بأنه ربما تكون المضامين القرآنية قد أنزلت على قلب النبي الأكرم ﷺ في ليلة القدر دفعة واحدة، ولكن ألفاظها أنزلت بالتدريج<sup>(١)</sup>.

□ متى تعرّضت آيات القرآن الكريم لمسألة نزول القرآن اتّسمت لغتها بالتربية، الحسم، العزّة، الحكمة والرحمة.

- ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِّنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

- ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(٥)</sup>.

- ﴿...تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

### التعاليم

١ - نزل القرآن تدريجاً وفي مواطن مختلفة، ﴿تَنْزِيلٌ﴾.

(١) تفسير راهنما.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٠ والمحاقة: الآية ٤٣. (٣) سورة السجدة: الآية ٢.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٢؛ سورة الاحقاف: الآية ٢.

(٥) سورة فصلت: الآية ٢. (٦) السورة نفسها: الآية ٤٢.

- ٢ - يذكر القرآن أن نزوله التدريجي والهدف من نزوله يرجع إلى صفة الرحمة الواسعة والأبدية لله ﷻ، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
- ٣ - لقد كان القرآن في زمان النبي الأكرم ﷺ موجوداً بشكل كتاب، ﴿كَتَبْنَا﴾.
- ٤ - قد يكون من الضروري تعظيم وتبجيل شخص ما أو كتاب ما (فصلت، آياته، عريياً، نذيراً، بشيراً، كلها صفات للقرآن).
- ٥ - بين القرآن في آياته كل ما يكون مؤثراً في هداية الناس، (كالأوامر والنواهي، والقصص والعبر، والاستدلالات، والأمثال، وبيان النعم، ومستقبل البشر، وأحداث يوم القيامة، وأسباب العزة وأسباب السقوط، وغير ذلك) بأسلوب واضح وشفاف وبين يخلو من الإبهام، ﴿فُصِّلَتِ آيَاتُهُ﴾.
- ٦ - مضامين القرآن وألفاظه من الله ﷻ، ﴿تَنْزِيلٌ... قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.
- ٧ - إنما يعرف أسلوب القرآن وما فيه من كان عارفاً ومحيطاً باللغة العربية، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ (لعل المراد من يعلمون العلم باللغة العربية).
- ٨ - القرآن أنزل للناس كافة: ﴿...هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾<sup>(١)</sup>؛ ولكن إنما ينتفع به أهل العلم والتقوى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ... هُدًى لِّلشَّافِقِينَ﴾.
- ٩ - العلم ليس هو معرفة القراءة والكتابة فقط، بل هو فهم الحقيقة، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ (بملاحظة أن الكثير ممن اهتدى في صدر الإسلام لم يكن يعرف القراءة والكتابة).
- ١٠ - الخوف والرجاء يجب أن يقرنا دائماً، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.
- ١١ - الأكثرية ليست دليلاً على الحقاينة، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾.
- ١٢ - سبب إعراض الناس عن القرآن جهلهم به، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ... فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾.



﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ  
إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾﴾

### إشارات

- الأكنة جمع كنان وهو قطعة القماش التي يلف بها الشيء<sup>(١)</sup>. والوقر بمعنى الثقل في السمع.
- للكفار من دعوة النبي ﷺ والقرآن الكريم مواقف خمسة هي:
  - أ - الإعراض والابتعاد: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾، (كما في الآية السابقة).
  - ب - عدم قابلية القلب لقبول الحق: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾.
  - ج - عدم الاستماع للحق: ﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾.
  - د - الإعلان عن وجود المانع (أي حجاب حب الذات، وعبادة الدنيا، وغير ذلك): ﴿بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.
  - هـ - الإصرار على ما هم عليه: ﴿فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾.

### التعاليم

- ١ - فعل الله ﷻ لطف ونزول الوحي من مظاهر الرحمة الإلهية، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ ولكن موقف الكفار وأسلوبهم هو العناد والإعراض، ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾.
- ٢ - لو كان حجاب القلب واحداً لأمكن إنذاره، ولكن متى تراكمت الحجب على القلب فإن ذلك يجعل الإنذار مستحيلاً؛ (أكنة وردت بصيغة الجمع).
- ٣ - إذا لم يكن المخاطب قابلاً للهدى، فلن يكون في الوحي والرحمة الإلهية والكتاب السماوي والبشارة والإنذار نفع له، (بملاحظة هذه الآية والآية السابقة).

٤ - الشرط الأول لقبول الحق الاستماع إلى الكلام الحق، وهذا ما كان المعاندون يرفضونه، ﴿وَفِي مَآذِنَاتِنَا وَقَرْ﴾.

٥ - دغ موسى ودينه، ودغ عيسى ودينه، هذا هو كلام من غمرت حجب التعصب والهوى قلبه، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾

### إشارات

□ بملاحظة أنَّ حكم الزكاة قد أُنزل في السنة الثانية للهجرة في المدينة المنورة، وحيث كانت هذه السورة مكية، فالمراد من الزكاة هنا الإنفاق المالي.

ورد في بعض الروايات أنَّ النبي ﷺ قال: ما خان الله أحد شيئاً من زكاة ماله إلا مشرك بالله<sup>(١)</sup>، من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة. من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً<sup>(٢)</sup>.

□ يصف القرآن الكريم عدم المبالاة بالأوامر الإلهية بالشرك والكفر:

ففي مسألة ترك الحج نقراً قوله تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ...﴾<sup>(٣)</sup>؛ وورد في الكافي: قلت: فمن لم يحج فقد كفر. فقال: لا، لكن من قال ليس هذا هكذا فقد كفر. وطبقاً لهذه الرواية فإنَّ ترك الحج ليس كفراً، بل إنكار وجوب الحج كفر<sup>(٤)</sup>.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في ترك الصلاة أنه قال: «ما بين المسلم وبين الكافر إلا أن يترك الصلاة الفريضة متممداً»<sup>(٥)</sup>.

ونقرأ في الآية المباركة حول ترك الزكاة قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ

(١) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٩.

(٤) تفسير البرهان.

(٢) ميزان الحكمة، مادة زكاة.

(٥) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٥٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِيرُونَ ﴿٨﴾.

□ الزكاة من الموارد المالية للدولة الإسلامية وترك الزكاة يعني عدم الاعتراف بالنظام التوحيدي وهو الشرك.

### التعاليم

- ١ - مهما اشتدت الصعوبات فلا ينبغي لنا أن نتخلى عن الهدف أو نتراجع عنه، (فالمشركون بعد أن مارسوا تهديدهم بقولهم: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾، وكان الأمر الإلهي بأن يواجههم بالقول بأنه ليس مسؤولاً عن عقابهم، بل مسؤوليته تقتصر على بيان الوحي)، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ...﴾.
- ٢ - الدعوة إلى التوحيد على رأس ما يدعو إليه الأنبياء، ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾.
- ٣ - الله ﷻ واحد، فاثبتوا في خط الله، ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾.
- ٤ - تدارك المستقبل بالثبات على خط التوحيد، والماضي بالاستغفار وطلب العذر من ساحة الحق تعالى، ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾.
- ٥ - ترك أداء الزكاة وعدم الاهتمام بالفقراء بين الشرك والكفر، وهو خطر عظيم، ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِيرُونَ﴾.
- ٦ - الكفر بالمعاد من أسباب ترك الزكاة، ﴿لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِيرُونَ﴾.
- ٧ - أساس ترك الزكاة إمّا التعلّق بالدنيا والذي هو نوع من الشرك، أو عدم التصديق بيوم القيامة وهو كفر، ﴿لِلْمُشْرِكِينَ... كَفِيرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾

### إشارات

- ممنون بمعنى المقطوع أو ما كان محلاً للمنة.
- لاحظنا في الآية الخامسة كيف أنّ الكفار يبنّوا عنادهم وإصرارهم على الكفر

بخمس عبارات متنوعة فقالوا: قلوبنا في أكثّة، وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب... وفي هذه الآية يُخاطب الله ﷻ نبيه آمراً إياه بأن لا يعتني بما يقوله هؤلاء وأن يستمرّ بما يُثبّره من أسئلة وما يأتي به من أدلة: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾.

□ المراد من خلق الأرض في يومين هو خلقها على مرحلتين، فقبل خلق الأرض والسماء ووجود الليل والنهار واليوم والشهر والسنة لا معنى لليومين حتّى يُقال إنّ الله خلق الأرض في يومين.

□ لا يصدر الفعل من القدرة الإلهية إلّا عن حكمة. فمع قدرة الله ﷻ على خلق السماء والأرض وما بينهما بإرادة واحدة - وقد تحدّث الله ﷻ عن هذه القدرة في مواضع عديدة بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ - ولكنّ خلق السموات والأرض تمّ على مراحل، وهذا يدلّ على أنّ استعمال القدرة لا بدّ من أن يكون طبقاً للمصلحة، وأنّ المصلحة كانت في خلقهما على مراحل.

### سؤال:

ورد في سبعة موارد من القرآن الكريم أنّ الخلق كان في ستّة أيام، وفي أربعة موارد منها تعرّض لخلق السماء والأرض<sup>(١)</sup>. وفي ثلاثة منها لخلق الأرض والسماء وما بينهما<sup>(٢)</sup>. نعم، ما يمكن أن يظهر من الآيات الثلاث الثانية أنّ الآيات الأربع الأولى هي أيضاً ترتبط بخلق السماء والأرض وما بينهما. وههنا سؤال وهو أنّه في هذه الآية ورد أنّ الأرض خُلقت في يومين، وفي الآية ١٢ ورد أنّ السماء خُلقت في يومين. وفي الآية ١٠ ورد أنّ تقدير الأقوات كان في أربعة أيّام فيُصبح المجموع ثمانية أيّام وهذا يتنافى مع خلق السموات والأرض في ستّة أيّام!

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤؛ سورة يونس: الآية ٣؛ سورة هود: الآية ٧؛ سورة الحديد: الآية ٤.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٩؛ سورة السجدة: الآية ٤؛ سورة ق: الآية ٣٨.

## الجواب:

الخلق شيء وتقدير الأقوات والأرزاق شيء آخر، ولذا كان الجمع بينهما وجعلهما ثمانية أيام غير صحيح، بل هذه الآيات أشارت فقط إلى أربعة أيام من مجموع الستة أيام، وأمّا اليومان المتبقيان فيرتبطان بخلق ما بين السماء والأرض، أو بعض الأمور الأخرى التي سكنت عنها هذه الآيات.

## التعاليم

- ١ - لا بدّ إلى جانب تهديد الكفار من الشاء على المؤمنين، ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ... إِنَّ أَلْيَبَ ءَآمَنُوا...﴾.
- ٢ - لا انفصال بين الإيمان والعمل الصالح، ﴿ءَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٣ - الإيمان يسبق العمل، ﴿ءَآمَنُوا﴾ وردت قبل قوله: ﴿وَعَمِلُوا﴾.
- ٤ - من يعمل صالحاً في هذه الدنيا دون مئة، سوف يلقى ثوابه في الآخرة دون مئة، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.
- ٥ - لا يمنّ الله ﷻ على أهل الجنة على الرغم من النعم العظيمة التي يُغدقها عليهم، (كم هو قبيح أن نمنّ على أحد بسبب إحسان محدود وموقّت)، ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.
- ٦ - أفضل طريق لدعوة الكفار، بيان اللطف الإلهي، ﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ...﴾.
- ٧ - خلق الأرض كان تدريجياً وعلى مرحلتين، ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.
- ٨ - كيف تنسبون الشريك لله ﷻ مع أنّه لم يكن له شريك في خلق الأرض، ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُمُ أَندَاداً﴾.
- ٩ - الخالق هو ربّ العالمين الواحد، ﴿خَلَقَ... رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ مِن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١﴾

### إشارات

□ رواسي جمع راسية وهو الجبل الثابت. «سواء» بمعنى التساوي والمراد من: ﴿سَوَاءً لِّلسَّالِينَ﴾ أَنَّ الْأَقْوَات قُدِّرَتْ بِحَسَبِ الْحَاجَات.

□ طوع بمعنى عن رغبة، وكره بمعنى دون رغبة.

□ إذا ألحقت كلمة استوى بحرف الجر (على) كان المراد السلطة والسيطرة، كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، ومتى ورد بعد هذا الفعل حرف (إلى) فالمراد هو التوجه والقصد، كما في هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

□ للخلق مراحل تكاملية:

الأول: الخلق: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ﴾.

الثاني: الاستقرار والتثبيت: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ﴾.

الثالث: الرزق والمنافع في الأرض: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾.

الرابع: تأمين حاجة الخلق كافة: ﴿سَوَاءً لِّلسَّالِينَ﴾.

□ الأرض والجبال باب من أبواب البركة، فبعض فوائد الأرض هي: توفير المواد الغذائية، وجود النبات، تصفية الماء، دفن الموتى، تزرع حبة فتنبث مائة حبة، طمر الأوساخ، ينباع التي تُعطي الماء الزلال، وفي الجبال أيضاً بركات من قبيل: المعادن، حفظ الثلوج، توفير حجر البناء، استقرار الأرض وثباتها، التحكّم بالأعاصير والرياح، علامة للمسافرين يهتدون بها، وغير ذلك.

□ ذكر بعضهم أَنَّ المراد من أربعة أَيَّام هي الفصول الأربعة، وذكر أن تغيّر الفصول مؤثّر في توفير رزق المخلوقات.

□ سؤال: إذا كان الرزق متوافراً للجميع، فلماذا هذا الجوع؟  
 الجواب: ورد في سورة إبراهيم من الآية ٣٢ إلى الآية ٣٤ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِهَا الزَّرْعَ وَالنَّبَاتَ، وَسَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَسَخَّرَ الْأَنْهَارَ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ، وَأَعْطَى الْإِنْسَانَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلَهُ، وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا، وَلَكِنْ سَوْءَ الْإِدَارَةِ مِنْ قَبْلِ الْإِنْسَانِ وَالتَّوْزِيعِ الظَّالِمِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ وَفَعَلَ الظُّلْمَةَ هُوَ السَّبَبُ فِي مَا يَصِيبُ النَّاسَ مِنْ بَلَاءٍ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

### التعاليم

- ١ - وجود الجبال ليس صدقة، بل مخطط له، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾.
- ٢ - تقدير الرزق وجعل البركة في الأرض هو من شؤون الربوبية، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ... وَزَكَرَ فِيهَا... وَقَدَّرَ فِيهَا﴾.
- ٣ - قَدَّرَ اللَّهُ ﷻ لِكُلِّ شَيْءٍ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ رِزْقَهَا عَلَى أَسَاسِ الْحِكْمَةِ وَبِقَدْرِ الْحَاجَةِ، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾.
- ٤ - تقدير الرزق كان قبل الخلق، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.
- ٥ - لِكُلِّ شَيْءٍ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ حَقٌّ مُتَسَاوٍ فِي تَأْمِينِ حَاجَاتِهَا، ﴿سَوَاءٌ لِلسَّالِفِينَ﴾.
- ٦ - لَا بَدْءَ مِنَ السَّعْيِ لِنَيْلِ الرِّزْقِ، (كلمة «للسائلين» تدل على الطلب، والطلب ليس هو السعي وبذل الجهد في سبيل ذلك).
- ٧ - كانت السماوات قبل الخلق بصورة دخان، ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾.
- ٨ - ورد في آيات سابقة أَنَّ الْكَفَّارَ قَالَوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فِي قُلُوبِنَا أَكْثَنُ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ؛ وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَصِفُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِاطَاعَتِهِمَا الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ، ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.
- ٩ - للوجود شعور وهو يقع محلاً للخطاب، ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾﴾

### إشارات

- على الرغم من قدرة الله ﷻ على خلق كل شيء بإرادة واحدة، ولكن حكمته اقتضت أن يخلق السموات على مرحلتين.
- تعرّضت هذه الآية للحديث عن النجوم ضمن أكثر من عنوان:

- زينة السماء: ﴿وَزَيَّنَّا﴾.

- حفظ السماء: ﴿وَحِفْظًا﴾.

- ضوء السماء: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾.

□ ورد في سورة الصافات قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوْكَبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾<sup>(١)</sup>.

□ ورد عن رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

- ١ - جعل الله ﷻ السموات على سبع طبقات، ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.
- ٢ - لا فرق بالنسبة للقدرة الإلهية بين خلق الأرض وخلق السموات بسبع طبقات، فخلقهما كان على مرحلتين أيضاً، ﴿فَقَضَّاهُنَّ... فِي يَوْمَيْنِ﴾.
- ٣ - على الرغم من أن لكل سماء أمرها وخصوصيتها ولكن مصدر الجميع واحد ﴿وَأَوْحَىٰ﴾.
- ٤ - برنامج كل سماء منفصل عن الأخرى، (أمرها يعني الأمور المرتبطة بتلك السماء).



٥ - كلُّ ما اكتشف من نجوم السماء، وما سيكتشف بعد الآن هو من زينة السماء الدنيا، وأما السموات الأخرى فلا خبر لدينا عنها، ﴿زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾.

٦ - النجوم سبب لحفظ السموات، ﴿وَحِفْظًا﴾.

٧ - لا تخضع المقدرات الإلهية لأيِّ كان، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾.

٨ - الوجود مظهرٌ من مظاهر العلم والقدرة الإلهية، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

٩ - التقدير الإلهي يتسم بالحكمة والعدل، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

### إشارات

□ من الحجج التي تمسك بها الكفار والمشركون في رفضهم دعوة الأنبياء قولهم: إنَّ الله ﷻ لو أراد هدايتنا لأرسل إلينا ملكاً رسولاً، لا إنساناً مثلاً.

مع أنَّ الله ﷻ أرسل النبي من البشر ليكون لهم قدوة وأسوة ولكي يدرك ما يحتاجون إليه.

### التعاليم

١ - لا بدَّ للقادة الربانيين من توقُّع انحراف الناس، والتفكير في علاج ذلك، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾.

٢ - الإنذار ضروري لإصلاح المتكبر، ﴿أَنْذَرْتُكُمْ﴾.

٣ - كلُّ بشارة أو إنذار جاء به الأنبياء فهو من عند الله ﷻ، ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾.

٤ - العقاب الإلهي لا يقتصر أمره على الآخرة، ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ...﴾.

٥ - التاريخ يسير على سنن ثابتة، ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ...﴾.

- ٦ - العذاب الإلهي يأتي بعد إتمام الحجة، ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ﴾.
- ٧ - ينبغي للأنبياء والدعاة إلى الله ﷻ أن يكون لهم حضورهم الفاعل في المجتمع وأن يبذلوا جهودهم من كل جانب، ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾.
- ٨ - تتابع إرسال الأنبياء دليل على العناية الإلهية بهداية الناس، ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ...﴾.
- ٩ - الدعوة إلى التوحيد على رأس دعوة الأنبياء، ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.
- ١٠ - لكل مستكبر مبرر يتمسك به لتوجيه انحرافه، ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا...﴾.
- ١١ - رفض دعوة الأنبياء كانت مع الإصرار، ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، (تكرر أنواع التأكيد).
- ١٢ - رفض الكفار كان لدين الله ﷻ وليس لشخص النبي، ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

### إشارات

- سكن قوم عاد جنوب جزيرة العرب، وكانوا يمتازون بالقوة والقدرة على القتال، وكانت لديهم قلاع محصنة، وأبنية عالية، وهذا هو سبب غرورهم واستكبارهم<sup>(١)</sup>.
- إنما تكون القوة والقدرة محللاً للمدح والثناء متى أدرك الإنسان أنها من الله وفي سبيل الله ﷻ.
- فالنبي لوط عليه السلام تمنى أن تكون له قوة ليدفع بها فساد قومه: ﴿...لَوْ أَنَّ لِي

يَكُمُ قُوَّةٌ...<sup>(١)</sup>، كما أوصى الإسلام بالإعداد للقوة لأجل قذف الرعب في قلوب العدو: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾<sup>(٢)</sup>. وأما لو كانت القدرة والقوة سبباً للغرور والتكبر فإن عاقبتها سوف تكون عاقبة قوم عاد.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ في سرد التاريخ من الاهتمام بما يكون درساً وعبرة، (لم يتحدث القرآن الكريم عن عدد قوم عاد وأسماء قبائلهم ونحو ذلك)، ﴿فَأَمَّا عَادُ...﴾.
- ٢ - الاستكبار سببٌ للهلاك، ﴿صَنِيعَةُ عَادٍ... فَأَسْتَكَرُّوْا...﴾.
- ٣ - تكبر الإنسان الضعيف أمام الله ﷻ القهار لن يكون بحقّ أبداً، ﴿أَسْتَكَرُّوْا... يَغَيِّرِ الْحَقُّ...﴾.
- ٤ - سبب التكبر الغرور بما لدى المتكبر من قدرة وعدم وجود منافس، ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾.
- ٥ - علاج التكبر ومحاربة تفضيل الذات النظر إلى القدرة الإلهية، ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً... الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ...﴾.
- ٦ - القدرة ليست دليلاً على الحقانية، ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾.
- ٧ - يزول التكبر بتفكير الإنسان في خلقته، وضعفه عند صغره وحاجته اليوم، ﴿الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ...﴾.
- ٨ - الاستمرار والإصرار على الكفر والعناد هو سبب هلاك الكفار، ﴿كَانُوا... يَجْحَدُونَ...﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

### إشارات

□ ورد في سورة الحاقة من الآية السادسة فما بعدها بيان قصة قوم عاد وأنهم

(١) سورة هود: الآية ٨٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

أَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ مَسْمُومَةٍ وَقَدْ سَلَّطَهَا اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَثَمَانِي لَيَالٍ حَسُومًا، لَمْ تُبْقِ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ.

### التعاليم

- ١ - الظواهر الطبيعية تعمل تحت الأمر الإلهي، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾.
- ٢ - فعل الإنسان هو سبب نزول العذاب الإلهي، ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ... فَأَرْسَلْنَا﴾.
- ٣ - الظاهرة التي تكون مفيدة وبنّاءة تتحوّل بإرادة من الله ﷻ إلى ظاهرة مدمّرة وعذاب، ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾.
- ٤ - العذاب الإلهي يأتي أحياناً دفعةً واحدةً ولا يستغرق سوى لحظة، وأخرى يتم بشكل تدريجيّ وفي أكثر من يومٍ وليلة، ﴿فِي أَيَّامٍ﴾.
- ٥ - تقع الحوادث الحسنة والسيئة على مرّ الأيام والليالي، وهذا هو السبب في تقسيم الأيام والليالي إلى مباركة ونحسة، ﴿أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾.
- ٦ - عذاب الدنيا بالقياس إلى عذاب الآخرة هو في حدّ التذوق فحسب، ﴿لِنَذِيقَهُمْ﴾.
- ٧ - عاقبة الاستكبار المذلة، ﴿فَاسْتَكَبَرُوا... عَذَابَ الْخِزْيِ﴾.
- ٨ - من أطلق شعار: ﴿...فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، لأجل مواجهة الأنبياء، سوف يُصاب بالخزي في الدنيا والآخرة، ﴿الْخِزْيِ... آخَرًا﴾.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الّهُونِ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

### إشارات

□ النبي الذي أرسله الله ﷻ إلى ثمود هو صالح عليه السلام. وكانوا يُقيمون في منطقة بين المدينة والشام يُطلق عليه (وادي القرى)، وكانوا يملكون مؤهلات جسدية وأراضي زراعية.

□ ورد في بعض الآيات أنّ عذاب قوم ثمود كان صاعقة من السماء، وورد في بعض آخر من الآيات أنّه كان الزلزلة، ويمكن أن يكونا معاً ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾.

### التعاليم

- ١ - التاريخ أفضل درس للاعتبار، ﴿وَأَمَّا ثُودُودُ...﴾.
- ٢ - السنّة الإلهيّة قضت بهداية الناس، ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾.
- ٣ - يكفر بعض الناس دون تأمل أو تفكير؛ بل بشكل فوريّ ومباشر، ﴿فَاسْتَحَبُّوا﴾، (حرف الفاء دليل استعجالهم الكفر).
- ٤ - الإنسان حرّ ومختار، ﴿فَاسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَىٰ ٱلْهُدَىٰ...﴾.
- ٥ - الكفر عمى القلب، ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾.
- ٦ - الكفر السريع موجب للعذاب السريع، ﴿فَاسْتَحَبُّوا... فَأَخَذْتَهُمْ﴾.
- ٧ - لا يعذب الله ﷻ أحداً إلّا بعد إتمام الحجّة عليه، ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ... فَأَخَذْتَهُمْ﴾.
- ٨ - إهانة الأنبياء في هذه الدنيا مستتبّع للهوان في الآخرة، ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾.
- ٩ - الأسوأ من الغفلة والكفر الاستمرار عليهما، ﴿كَانُوا...﴾.
- ١٠ - رحمة الله أو عذابه نتيجتان مترتبتان على عمل الإنسان، ﴿يَكْسِبُونَ﴾.
- ١١ - الإيمان والتقوى سرّ النجاة، ﴿وَنَجِّنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.
- ١٢ - لا يحتاج الإيمان إلى تجديد، ولكن التقوى تستمرّ في كلّ لحظة وبالنسبة لكلّ تفكير، عمل وكلام وعزم. («آمنوا»، فعل ماضٍ، ولكن «يتقون» وردت بصيغة المضارع).

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

### إشارات

□ يوزعون، بمعنى الحبس، أي يحبس أول شخص منهم حتى يصل الأخير منهم، ثم يوزعون في جهنم.

## التعاليم

- ١ - الاستجواب في يوم القيامة سبب للإنذار والتربية، (يا أمر القرآن الكريم النبي بتذكير الناس بذلك اليوم)، ﴿وَيَوْمَ...﴾.
  - ٢ - من يُحْشَرُ إلى جهنم هو من ثبتت عداوته لله ﷻ ولدينه، ﴿يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾.
  - ٣ - يصير الإنسان عدواً لله ﷻ بسبب عناده وإصراره، ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾.
  - ٤ - مضافاً إلى ما ينال الكفار من عذاب الدنيا، فإنهم سوف يعذبون في جهنم، ﴿يُحْشَرُ... إِلَى النَّارِ﴾.
  - ٥ - يمنع أهل جهنم من التفرق والفرار في طريقهم إلى جهنم، ﴿يُوزَعُونَ﴾.
  - ٦ - أعضاء بدن الإنسان مدرّكة؛ ولو لم تكن مدرّكة لم يكن أي معنى لشهادتها في يوم القيامة، ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ...﴾.
  - ٧ - المعاد جسماني، ﴿سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾.
- ﴿وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِنْ تَرْجِعُونَ﴾

## إشارات

- تتعدّد الشهود في يوم القيامة، فمنهم: الله ﷻ، والأنبياء، والأرض، والزمان، والملائكة، وأعضاء الجسم، وغيرها، وقد وردت بذلك الآيات والروايات.
- للوجود نوع من النطق ﴿أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وتتحدّث آيات القرآن الكريم عن جهنم حيث: ﴿...وَقُولْ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>. كما تتحدّث عن السماء والأرض حيث: ﴿...قَالَتَا أَتَيْنَا طَلْعَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم

- ١ - في القيامة مشهود من جدال وخصام الإنسان مع ذاته، ﴿وَقَالُوا لِيَجْزِيَهم﴾.
  - ٢ - لعل ارتكاب الإنسان للذنوب بجلدٍ بدنه أكثر من غيره من الأعضاء. (قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِيَجْزِيَهم﴾، ولم يقل: «قالوا لأبصارهم» أو غير ذلك....
  - ٣ - شهادة أعضاء البدن تكون على الإنسان دائماً ولا تشهد له. (لم يتعرض القرآن للحديث عن شهادة الأعضاء إلا ما كان على الذنوب)، ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾.
  - ٤ - يعترف الكفار بأصل ارتكابهم الذنب، ولكنهم يُظهرون اعتراضهم على شهادة الأعضاء عليهم، ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾.
  - ٥ - الشهادة والنطق من قبل الأعضاء دليل علم هذه الأعضاء بما فعله هذا الإنسان، ﴿أَنطَقْنَا الله﴾.
  - ٦ - من له القدرة على الخلق له القدرة على جعل الأشياء تنطق، ﴿أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾.
  - ٧ - الخلق الأول خير دليل على إمكان المعاد، ﴿خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِنْ تَرْجِعُونَ﴾.
- ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

## التعاليم

- ١ - يُقَدِّم المجرمون على ارتكاب الذنب بسبب غفلتهم عن شهود أعضائهم لهم، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ...﴾.
- ٢ - لا شك ولا ترديد في شهود أعضاء البدن في الدنيا وشهادتها في الآخرة؛ وإن غفل المجرمون عن ذلك، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ...﴾.
- ٣ - الإيمان بأننا في محضر الله ﷻ هو أهم سبب لهداية الإنسان إلى طريق الهدى، ﴿ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

- ٤ - من خلال الدليل وبطلب المدد من الله ﷻ لا بد من أن نحكم عقيدتنا وأن نحترز عن سوء الظن بالله ﷻ، ﴿ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾.
- ٥ - سوء الظن بمن نخضع لربوبيته وتديره قبيح للغاية، ﴿ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾.
- ٦ - سوء الظن بالله ﷻ سبب لسقوط الإنسان وخسرانه، ﴿ظَنَنْتُمْ... أَزْدَنْتُمْ﴾.
- ٧ - لا اعتبار ولا قيمة للظن في المسائل العقائدية، ﴿ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَزْدَنْتُمْ﴾.
- ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

## إشارات

□ المثنوى هو محل الإقامة الدائم. و﴿يَسْتَعْتِبُوا﴾ من الاستيعاب بمعنى طلب العذر والرضا.

## التعاليم

- ١ - لا أثر لصبر الكفار أو صراخهم في نار جهنم، ﴿يَصْبِرُوا... يَسْتَعْتِبُوا﴾.
- ٢ - لا تنفع التوبة وطلب المغفرة إلا إذا تحققت في هذه الدنيا، ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.
- ٣ - ينال العفو بعض الناس في يوم القيامة ولا ينال بعضاً آخر، ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قَرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

## إشارات

□ قِضْنَا بمعنى الإحاطة والستر. ويُطلق على الجلد الذي يحيط بالبيضة (القيض).  
القرناء جمع قرين وهو الجليس.



## التعاليم

- ١ - رفقة السوء تغمر شخصية الإنسان وتفكيره، ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾.
- ٢ - رفيق وجليس السوء نوع من العذاب الإلهي، ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾.
- ٣ - رفيق السوء كالشيطان يزین للإنسان فعل السوء: ﴿...زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ...﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾.
- ٤ - يستغل المنحرفون الحاجات الطبيعية والغريزية لدى الإنسان بشكل سيء، (فالإنسان بفطرته يعشق الجمال، ويستغل أصحاب السوء ذلك، فيزينون له القبيح ويحسنونه له لكي يقبل به)، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.
- ٥ - يترتب على تزيين المعاصي والذنوب أن لا يُقدِّم الإنسان على التوبة من ذنوبه، ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾، ونظراً إلى ما يراه الإنسان من حسن الفعل اليوم فإنه يتعلّق بسلوكه المنحرف، ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.
- ٦ - يسقط الإنسان خطوة بعد خطوة: فبداية يقوم رفقة السوء بتزيين العمل السيئ له، ثم يستحقّ العذاب الإلهي، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾.
- ٧ - من السنن الإلهية الثابتة والدائمة التهديد والتحذير والعقاب، ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.
- ٨ - الجنّ مخلوق مكلف ومختار ولذا يقع عليه العذاب الإلهي ويصيبه الموت والفناء، ﴿خَلَقْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾.
- ٩ - رفيق السوء سبب للخسران الذي يلحق بالإنسان، ﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ... إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ  
الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ ﴿٢٨﴾

### إشارات

□ المراد من قوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾، فعل كل ما يوجب التشويش عليه من الصغير،  
والتصفيق، والضوضاء واختراع الخرافات لأجل إيجاد حالة التشكيك  
والانحراف عن طريق الحق.

### التعاليم

- ١ - بث الشائعات ضدّ الذين عادة مستمرة من قبل الكافرين، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا  
سَمْعُوا﴾.
- ٢ - من لا يملك كلاماً منطقيّاً، يمنع الناس من الاستماع للكلام المنطقي  
﴿سَمْعُوا...﴾.
- ٣ - الاستماع للقرآن الكريم له جاذبيّة وتأثير خاصان، وهذا ما يخشاه أعداء  
الدين، ﴿لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾.
- ٤ - كان النبي ﷺ دائم الانشغال بهداية الناس وهذا ما كان يزعج الكفار، ﴿لَا  
سَمْعُوا﴾.
- ٥ - يمنع أعداء الذين الناس من الاستماع للقرآن، كما أنّهم يعملون في حربهم  
على بثّ اللغو والباطل لأجل التشويش عليه، ﴿لَا سَمْعُوا... وَالْغَوْا﴾.
- ٦ - اللغو أداة عمل الكفار، ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾.
- ٧ - إيجاد اللغو في الكلام الحقّ هو من عمل الكفار، ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾.
- ٨ - يسعى الكفار لفعل كل ما يُحتمل أن يكون سبباً لانتصارهم ضدّ الذين،  
﴿لَعَلَّكُمْ﴾.
- ٩ - يعدّ الكفار أتباعهم بالنصرة على الدوام، ﴿تَعْلَمُونَ﴾.
- ١٠ - العذاب الشديد هو ما سينال الذين يبثون شائعات السوء ضدّ القرآن

ويمنعون الناس من الاستماع للقرآن ويأمرون باللغو فيه. (حرف اللام في أول الآية - ﴿فَلَنُذِيقَنَّهُمْ... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ وحرف النون في آخر تلك الكلمات وكلمة شديد، تدل جميعها على العذاب الشديد الذي ينتظرهم).

١١ - لغو الكفار وفعلهم أسوأ من كفرهم وهو سبب ما يستحقونه من عذاب، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي﴾.

١٢ - عدو القرآن هو عدو الله ﷻ، ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾.

١٣ - عقوبة الكفر الدائم عن علم الخلود في جهنم، ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْمُخْلَدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْيَمِينِ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

### التعاليم

١ - يطلب الكفار في يوم القيامة رؤية من كان سبباً في ضلالهم لكي ينتقموا منهم ﴿رَبَّنَا أَرْنَا﴾.

٢ - الكفر ضلال وضياع، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... أَضَلَّانَا﴾.

٣ - يحمل الكفار في يوم القيامة الذنب منهم لغيرهم، ﴿أَضَلَّانَا﴾.

٤ - للجن والإنس دور في انحراف الناس، ﴿أَضَلَّانَا مِنَ الْيَمِينِ وَالْإِنْسِ﴾.

٥ - قادة الكفر والضلال الذين كانوا في الدنيا في المقدمة ومحلاً للاحترام والتعظيم لدى الآخرين، يتمنى أتباعهم في يوم القيامة أن يجعلوهم تحت أقدامهم، ﴿جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾

### إشارات

□ تعرّضت سورة آل عمران في الآية ١٢٥ لنموذج واضح لنزول الملائكة على

المؤمنين، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

□ شبه هذا ما ورد أيضاً في سورة الأحقاف في الآية ١٣ و ١٤ حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - الصبر والثبات هما اللذان يوجبان تقوية الإيمان لِيُثْمِرَ المطلوب، وإلا فكم من المؤمنين كانت له سوء العاقبة، ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾.
- ٢ - الثبات إلى جانب الإيمان هو المثمر، وإلا فإن الكفار يَسْتَقِيمُونَ على باطلهم، ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾.
- ٣ - يعترف الكثيرون بأن الله ﷻ هو الخالق؛ ولكنهم يرون تدبير الأمور بيد غيره؛ والمهم أن يستقيم الإنسان على إيمانه بربوبية الله ﷻ ولا يرضى رباً غيره، ﴿رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾.
- ٤ - الاستقامة المثمرة هي التي تكون ثابتة ومستمرة، ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾، (كلمة ثم لإفادة الزمان والوقت الطويل).
- ٥ - يتمكن الإنسان من خلال إيمانه واستقامته من أن يجعل الملائكة تنزل عليه، ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.
- ٦ - تنزل الملائكة على غير الأنبياء أيضاً، ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.
- ٧ - تنزل الملائكة على المؤمن المستقيم على إيمانه، ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

(١) كتب تفسير هذه الآية في ليلة السابع من تير من سنة ١٣٧٩ هـ ش، وهو ذكرى السنة التاسعة عشرة لاثنتين وسبعين شهيداً من شهداء الجمهورية الإسلامية الذين استشهدوا بتفجير قام به المنافقون في طهران. وهم جمع من العلماء ومفكري الإسلام والمجتهدين والقضاة ونواب مجلس الشورى الإسلامي، ومن أفضل شخصيات الثورة الإسلامية الذين امتازوا بإخلاصهم والذين قدّموا أرواحهم في سبيل الإسلام، سلام الله عليهم وعلى كافة الشهداء.

وأما العصاة والمذنبون فتتنزل عليهم الشياطين، ﴿هَلْ أُنِثُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

٨ - الاستقامة على طريق الحق، ترفع عن الإنسان الخوف من المستقبل، ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾، وكذلك الحزن والهم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

٩ - أرفع هدية من السماء هي نزول الملائكة على المؤمن الراسخ الإيمان بالطمأنينة والفرح والبشرى، ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾<sup>(٢)</sup> نَزَّلَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

### إشارات

□ النزل هو المكان المعد لإقامة الضيوف عند وصولهم.

### التعاليم

- ١ - المؤمن الثابت القدم له أولياء من السماء، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٢ - الالتفات إلى تأييد الملائكة ونصرتها سبب لبث الطمأنينة في نفوس المؤمنين، ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا... نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ﴾.
- ٣ - كل ما ترغب به النفس تصل إليه في الجنة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى...﴾.
- ٤ - تتوافر في الجنة النعم والملذات المادية، ﴿تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ﴾؛ والنعم والملذات المعنوية، ﴿مَا تَدْعُونَ﴾؛ وفي آية أخرى ورد قوله تعالى: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ... وَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٥ - نعم الجنة كافة هي من اللطف الإلهي، ﴿نَزَّلَا﴾.
- ٦ - الألفاظ الإلهية هدية وعطاء من الله ﷻ وليست بطلب من الإنسان، ﴿نَزَّلَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)

### إشارات

□ يوصي الله ﷻ في الآية ١٨ من سورة الزمر الناس باستماع القول واتّباع أحسنه؛ وهذا القول الأحسن هو الدعوة إلى الله ﷻ، إذاً وظيفة الناس الاستماع من بين المتحدثين والمتكلمين إلى من كانت روحه مسلّمة لله ﷻ وعمله كان صالحاً ودعوته إلى سبيل الله ﷻ.

### التعاليم

- ١ - الدعوة إلى الدين هي أفضل القول، وأفضل متكلم في عالم الوجود هم الأنبياء، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا...﴾.
- ٢ - أفضل القول ليس ما كان أكثر دقّة أو علماً أو أنساً؛ بل ما كان دعوة إلى الله ﷻ وكان هادفاً، ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.
- ٣ - للكلام قيمته إذا كان قائله من أهل العمل، ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾؛ بل ورد ذم من يقول ولا يعمل بما يقول: ﴿...لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٤ - للدعوة قيمتها إذا أضيف إليها العمل بها، التسليم والرضا أيضاً، ﴿إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤)

### إشارات

□ تختلف طبائع الأشخاص الذين توجّه إليهم الدعوة إلى الله ﷻ، فتجد بينهم من

(١) سورة الصف: الآية ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

يكون سبب السلوك والمعاملة، ولو أن الداعية والمبلى لدين الله ﷻ لم يكن يتمتع بالخلق الحسن وسعة الصدر فإن التوفيق لن يكتب له. وتوصي هذه الآية بأن يكون الرد على الإساءة بالتي هي أحسن، وأن لا نكون من أهل الانتقام. كما نقرأ في دعاء الإمام زين العابدين المعروف بدعاء مكارم الأخلاق قوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بَغْضَةِ أَهْلِ الشَّيْءِ الْمَحْبُورَةِ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوْدُورَةِ، وَمِنْ ظَنَّةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ الثَّقَةِ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الْأَذْنِينَ الْوَلَايَةِ، وَمِنْ عَقُوقِ ذَوِي الْأَرْحَامِ الْمَبْرُورَةِ»<sup>(١)</sup>. وفي سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيت العصمة والطهارة ﷺ نماذج كثيرة من هذا التعامل الذي مكّنهم من استبدال أشد الناس عداوة إلى أشخاص من محبيهم ومريديهم.

□ الناس على أصناف عدة:

- من يحفظ صديقه.
- من لا يرى فرقاً بينه وبين صديقه.
- من يجعل صديقه عدواً له.
- من يجعل من عدوه صديقاً له.

### اسلوب معاملة المعارضين

الرافضون لقبول الحق على أصناف وينبغي التعامل مع كل واحد منهم بشكل مختلف عن غيره:

\* فبعضهم من كانت عداوته وموقفه الراض للحق يقوم على أساس الجهل وعدم العلم، وتأمّر هذه الآية بالإحسان إليه ومحبته.

ونقرأ في آيات أخرى التالي:

١ - ﴿...وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - ﴿...وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق. (٢) سورة نفسها: الآية ٧٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

\* وبعضهم يكون سبب رفضه الحق حالة الشك والتردد، ومثل هؤلاء لا بدّ من مواجهتهم على أساس الاستدلال ورفع الشبهات.

كالشك في وجود الله ﷻ: ﴿...أَفِي اللَّهِ شَكٌّ...﴾<sup>(١)</sup>.

وكالشك في البعث ويوم القيامة: ﴿...إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وكالشك والتردد في نزول الوحي والكتاب السماوي على النبي: ﴿وَلَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾<sup>(٣)</sup>.

\* وبعضهم يكون سبب رفضه الحسد، ولا بدّ من الإغماض عنه.

فأخوة يوسف اعترفوا بحالة الحسد التي كانت لديهم تجاه يوسف وبجنايتهم عليه، وطلبوا العفو من النبي يوسف ﷺ: ﴿...وَلَنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ... لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهكذا نجد في قصة هابيل في مواجهته حسد أخيه قابيل له إذ يقول: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ...﴾<sup>(٥)</sup>.

\* وبعضهم يرفض الحق على أساس ما تقتضيه مصالحه المادية ومعيشته. وفي هذه الموارد يكفي إتمام الحجة والمعاملة معهم تكون بـ ﴿...ذَرَّهُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>، و﴿...أَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾<sup>(٧)</sup>.

\* رفض دعوة الحق قد تقترب أحياناً بمحاربتها ومهاجمتها والسعي لإضعاف إيمان الناس، وهنا تأتي الآيات لتأمر بالتشدد في حق هؤلاء ومواجهتهم وقطع دابرهم:

- ﴿...وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ...﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

(٢) سورة الحج: الآية ٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٤) سورة يوسف: الآيتان ٩١ و٩٢.

(٥) سورة المائدة: الآية ٢٨.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٩١؛ سورة الحجر: الآية ٣.

(٧) سورة المائدة: الآية ٤٢؛ سورة النساء: الآيات ٦٣ و٨١.

(٨) سورة التوبة: الآية ٧٣.



- ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

- ﴿...لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

- ﴿...أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

\* قد تصل عداوة بعضهم للذين حدًا يجعلهم يحملون السلاح ويعمدون إلى إقامة الحروب والمعارك ضد الدين، قال تعالى: ﴿...فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آتَعْتَنِي عَلَيْهِمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.

\* ذكر بعضهم في تفسير قوله تعالى في الآية ٤٠ من سورة الشورى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، أن المراد من هذه الآية إن من بادل الإساءة بالإساءة فهو مثل ذلك الذي أساء؛ لأن الله ﷻ يقول في هذه الآية ﴿وَلَكِنْ صَبَرٌ وَعَفْوٌ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

## التعاليم

١ - من طرق الدعوة إلى الله ﷻ دفع السيئة بالحسنة، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ... أَدْفَعُ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٢ - لا تظن أن مرور الزمان سوف يجعل من بعض المسائل طي القدام والنسيان، (المعاملة بالحسنى أو بالسوء ليست سواء بل لها آثارها التي تبقى في أعماق الروح)، ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾.

٣ - من النماذج العملية للدعوة إلى الله ﷻ (ما ورد في الآية السابقة من دفع السيئة بالتي هي أحسن)، ﴿أَدْفَعُ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٤ - لا يكفي في مواجهة الأعداء التوسل بالخلق الحسن، بل لا بد من شن هجوم مضاد، ﴿أَدْفَعُ بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؛ (أي لا يكفي دفع السيئة بالحسنة،

(١) سورة النساء: الآية ١٤٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥١.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

بل لا بدّ من دفع السيئة بما هو أحسن، وبما أفضل وأكثر أخلاقاً).

٥ - الكيمياء الحقيقية ليست بتحويل النحاس إلى ذهب، بل السلوك الذي يجعل من العدو المبغض محباً، ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (عند فتح مكة رفع بعضهم شعار: اليوم يوم الملحمة، ولكن رسول الله ﷺ قال: اليوم يوم المرحمة).

٦ - سعة الصدر شرط للنجاح في العمل التبليغي، ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾.

٧ - ملاحظة نتيجة العمل تزيد من الدافع نحو العمل. (إذا علمنا بأن نتيجة التعامل بالحسنى هي تبديل العداوة صداقة ومحبة، فإن الدافع نحو ذلك يزداد)، ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾.

٨ - اعتماد السلوك اللائق إذا لم يؤدّ إلى انقلاب العدو صديقاً؛ فإنه على الأقل يبعث على الحياء والندم في نفسه، فيبدّل سلوكه إلى سلوك حسن، ﴿كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾.

٩ - قيمة الصديق بحميميته، ﴿وَلِيُّ حَمِيمٍ﴾.

﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢٥)

### إشارات

□ الحِظُّ العظيم والمنال في نظر أهل الدنيا هو لقارون ﴿...إِنَّهُ لَذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن بحسب القرآن الكريم الحِظُّ العظيم هو نصيب من كان كريم النفس واسع الصدر، ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾.

### التعاليم

١ - مبادلة الإساءة بالتي هي أحسن تختص بأولئك الذين قاموا ببناء ذاتهم وتربية

نفوسهم، ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا...﴾ («صبروا» وردت بصيغة الماضي، ويدل ذلك على أن هؤلاء قد قاموا بتربية نفوسهم في الماضي).

٢ - الوصول إلى قمة الصبر ليس أمراً سهلاً. (تكرار كلمة، «يلقأها»).

٣ - الانتقام والمقابلة بالمثل في السلوك الأخلاقي دليل على قلة الصبر، ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.

٤ - الصابرون فقط هم أصحاب الحظ العظيم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا... إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

### إشارات

□ المراد من كلمة (نزغ) الدخول في عمل بقصد الإفساد، ويطلق على وسوسة الشيطان وهمزاته للإنسان.

□ ذكرت هذه الآية والآيات الثلاث السابقة نقاطاً أربعاً للدعاة إلى طريق الله ﷻ: <sup>(١)</sup>

ففي الآية ٣٢ قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ... وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وفي الآية التي بعدها: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَنْتَكِبُ عَلَيْهِ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، وفي الآية التالية: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وفي هذه الآية يقول: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

□ وسوسة الشيطان وهي (التزغ) على أنواع وأصناف عديدة:

- فتارة بالتخويف: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ...﴾ <sup>(٢)</sup>.

- وأخرى بالتزيين: ﴿...زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ...﴾ <sup>(٣)</sup>.

- وثالثة تكون بالوعد: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ...﴾ <sup>(٤)</sup>.

(٣) سورة النمل: الآية ٢٤.

(٤) سورة النساء: الآية ١٢٠.

(١) تفسير نمونه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٨.

- رابعة عن طريق إيقاع العداوة والشحناء: ﴿...يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ...﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - إيجاد حس الانتقام لدى الإنسان هو من فعل الشيطان؛ ولكن الأمر الإلهي بدفع السيئة بالتي هي أحسن، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... وَإِنَّمَا يَزْغَنَّكَ﴾.
- ٢ - لا أمان لأحد حتى النبي ﷺ من وسوسة الشيطان، ﴿وَإِنَّمَا يَزْغَنَّكَ﴾.
- ٣ - وسوسة الشيطان أمر دائم ومستمر، ﴿يَزْغَنَّكَ﴾.
- ٤ - كل ما يكون سبباً للوسوسة هو من الشيطان، ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾.
- ٥ - لا تصبر حتى يتسلط عليك الشيطان، بل بادر للاستعاذة عند أدنى وسوسة يقوم بها الشيطان، ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾.
- ٦ - دواء وسوسة الشيطان الاستعاذة بالله ﷻ والتوبة، ﴿وَإِنَّمَا يَزْغَنَّكَ... فَاسْتَوْذُ﴾.
- ٧ - الاستعاذة من أسباب عصمة الأنبياء، ﴿فَاسْتَوْذُ...﴾.
- ٨ - لا بد من الاستعاذة بمن يكون جامعاً للكمالات ويكون سمياً عليمًا، ﴿فَاسْتَوْذُ بِاللَّهِ﴾؛ (كلمة الله تعني الذات المقدسة التي هي مجمع الكمالات).
- ٩ - مع أن الله ﷻ عليم؛ ولكن لا بد من إظهار ضعفنا واستعاذتنا به بالقلب واللسان، ﴿فَاسْتَوْذُ... السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
- ١٠ - الاستعاذة بالله ﷻ لا تبقى بلا استجابة، ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
- ١١ - الله ﷻ هو وحده السميع العليم، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ  
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِتَاءَهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

### إشارات

□ الله ﷻ: ﴿...خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ...﴾<sup>(١)</sup>؛ وله الولاية المطلقة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾<sup>(٢)</sup>؛ والكل جند له: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾<sup>(٣)</sup>،  
والكل مطيع له: ﴿...كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ والكل يدل على قدرته وحكمته  
ورحمته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ...﴾، والجميع يرجع إليه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْسُنُكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

□ ورد في الآية ٣٢ أحسن القول هو الدعوة إلى الله ﷻ، وتبين هذه الآية طريق  
الدعوة إلى الله.

□ الليل والنهار من الآيات الإلهية وهما دليل القدرة الإلهية، فالليل سكن  
واستراحة واستقواء على عمل النهار، وزيادة الليل والنهار ونقصانهما إنما هو  
بما يتناسب مع نوم الإنسان وسكنه. ومن بركات النهار: نمو الزرع والنبات،  
الحيوانات، تبخير المياه إلى غيوم ليحدث المطر، وإثمار الشجر، وتخزين  
القوت والحركة والسفر، وهذا من آيات الله، كما أن من آيات الله ﷻ البعد  
الفاصل بين الأرض والشمس في حركة الأرض حول الشمس، الأمر الذي  
يجعل من وصول نور الشمس إلى الأرض بقدر محدّد، ووجود القمر في الليل  
ليضيء على الناس، ويفتح الباب أمام الناس لمعرفة الشهور، وحركة القمر في  
منازله المختلفة ودوره في حركة المد والجزر. فهذا كلّ من آيات الله ودليل  
سعة قدرته.

(١) سورة البقرة: الآية ١١٦.

(١) سورة الزمر: الآية ٦٢.

(٥) سورة النجم: الآية ٤٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٩.

(٣) سورة الفتح: الآية ٤.

## التعاليم

- ١ - الليل والنهار من مظاهر سعة القدرة الإلهية والحكمة والرحمة، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ...﴾.
- ٢ - الطبيعة أفضل درس في معرفة الله ﷻ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ...﴾.
- ٣ - لا تصحَّ العبادة حتّى لأكثر المخلوقات نفعاً وفائدة، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ...﴾.
- ٤ - لا بدّ في تربية الناس من دلالته على السبيل الصحيح مضافاً إلى تحذيرهم من سبل الباطل والخطأ، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ... وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ...﴾.
- ٥ - إذا كانت الشمس مع ما لها من العظمة لا تستحقّ أن تُعبد من دون الله، فإنّ حال الأصنام التي لا أثر لها يكون أوضح، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ...﴾.
- ٦ - خالق الوجود هو الذي يستحقّ العبادة. ولا يستحقّ المخلوق أن يكون معبوداً، ﴿خَلَقْنَهُ...﴾.
- ٧ - التوحيد في الخالقية هو الدليل على التوحيد في العبادة، ﴿خَلَقْنَهُ... إِنَاءً مَّبْدُودَ...﴾.

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۝﴾

## التعاليم

- ١ - الامتناع عن السجود والعبادة نموذج بارز للاستكبار، ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ... فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا...﴾.
- ٢ - التكبر مانع من العبودية، ﴿وَأَسْجُدُوا... فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا...﴾.
- ٣ - حطّم غرور المستكبرين من خلال استعراض النماذج الأفضل. فإن كان الإنسان المتكبر لا يسجد فهذا لا يهم؛ لأنّ الملائكة يسجدون ولا يفترون، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ...﴾.
- ٤ - يمدّ الله ﷻ بالعون في مواجهته للمستكبرين، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ...﴾.

- ٥ - لو أَنَّ الناس كافة تركوا عبادة الله فَإِنَّ الملائكة وعالم الوجود كله مسلم لله ﷻ، ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾.
- ٦ - التسبيح فعل الملائكة والمُسَبِّحِينَ في الأرض كالملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُمُ﴾.
- ٧ - التسبيح قَمَّةُ العبادة. (ففي الآية السابقة كان الحديث عن العبادة وفي هذه الآية عن التسبيح)، ﴿إِنِّيَاهُ تَعْبُدُونَ... يُسَبِّحُونَ لَهُمُ﴾.
- ٨ - الليل والنهار باب لمعرفة الله ﷻ وعبادته، وليس عبادة بذاتهما، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُمُ بِأَلَيْلٍ...﴾.
- ٩ - ورد الحث الشديد على العبادة في الليل. (ورد ذكر الليل قبل ذكر النهار)، ﴿بِأَلَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾.
- ١٠ - الملائكة يَسْبِّحُونَ في الليل والنهار. (كلمة «يَسْبِّحُونَ» تدلُّ على الاستمرار مضافاً إلى قوله: ﴿بِأَلَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾ الذي يدلُّ على الدوام).
- ١١ - تسبيح الملائكة لله ﷻ يصدر عن إخلاص. قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُمُ...﴾، ولم يقل: (يَسْبِّحُونَهُ). فلا بد لنا من أن نكون من المخلصين أيضاً.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

### إشارات

□ ورد في سورة الحج وصف الأرض بأنها هامدة، وهو بمعنى يباسها. ﴿...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ... وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>. ولكن التعبير هنا ورد بقوله: ﴿خَاشِعَةً﴾، ولعل في اختيار معنى الخشوع هنا طعنًا على المستكبرين الذين تعرّض لهم في الآية السابقة.

### التعاليم

- ١ - الأرض تنمو بنزول ماء المطر، ولكن القلوب القاسية لا تتغير بنزول الآيات،

﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾. وفي هذا تحذير للمستكبرين والملحدين الذين هم أوضاع من الأرض.

٢ - الفعل الإلهي يتم من خلال الأسباب الطبيعية، ﴿أَنْزَلْنَا...﴾.

٣ - من يقدر على إحياء الأرض الميتة يقدر على إحياء الموتى في يوم القيامة، ﴿كُنْزِي الْمَوْتِ﴾.

٤ - سبب إنكار المعاد الغفلة عن القدرة الإلهية، ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَنَ يُلقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

### إشارات

□ كلمة إلحاد من اللحد وهو الحفرة التي يكون فيها انحراف إلى جهة ما. والملحد هو المنحرف عن الحق.

### التعاليم

١ - الإمهال سنة إلهية. ولكن الإمهال لا يعني غفلة الله ﷻ عن أهل الانحراف؛ ولكنه يتركهم في طغيانهم وانحرافهم، ﴿يُلْحِدُونَ... لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾.

٢ - يُرمى بالملحدين في جهنم، ﴿يُلْقَىٰ فِي النَّارِ﴾.

٣ - يأتي أهل الجنة إلى الجنة بسكينة وأمان، أما أهل جهنم فيؤتى بهم إلى جهنم مكرهين ويُرْمون فيها رمياً، ﴿يُلْقَىٰ فِي النَّارِ... يَأْتِي آمِنًا﴾.

٤ - أعظم هدية من الله ﷻ للمؤمنين الأمان الذي يُعطى لهم، ﴿يَأْتِي آمِنًا﴾.

٥ - الحرية ليست دائماً لصالح الإنسان، ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾.

٦ - الرقابة الإلهية أعظم ما يهدد أهل الانحراف وأعظم ما يبعث على الطمأنينة في نفوس المؤمنين. وقد أشارت هذه الآية في موضعين إلى الرقابة الإلهية ﴿لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا... إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.



﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنتُمْ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ فِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

### إشارات

□ يمكن تفسير الآية ٤٣ بأحد نحوين: أحدهما: إِنَّ ما يُلقى على النبي ﷺ من الوحي هو نفس ما كان يُلقى على الأنبياء السابقين. والآخر هو: أَنَّ ما يقوله الذين كفروا ليس جديداً؛ بل هو ما قيل للأنبياء السابقين بكل جرأة وصلافة.

□ ورد في تفسير مجمع البيان في بيان كون القرآن عزيزاً المعاني التالية:

أ - إِنَّ أحداً لا يمكنه أن يأتي بمثله.

ب - إِنَّ الله ﷻ أعزّه بحفظه وصيانه من التحريف.

ج - إِنَّ فيه أحكم العبارات.

د - إِنَّ على الناس أن تتعامل معه باحترام.

□ عنوان العزيز مختص بالقرآن الكريم من بين الكتب السماوية، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكُنتُمْ عَزِيزٌ﴾.

ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «ليس في إخباره عما مضى باطل [ولا في إخباره عما يكون في المستقبل باطل]»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

١ - القرآن الكريم باب للذكر وعدم الغفلة، ﴿كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾؛ (الذكر هو ما ينبه الإنسان من الغفلة والنسيان).

٢ - كفر جماعة من الناس لا يكون سبباً لعدم عزة القرآن الكريم، ﴿لَكُنتُمْ عَزِيزٌ﴾.

- ٣ - يُخبر القرآن الكريم عن مستقبله. فعزة القرآن وعدم تحريفه على مر التاريخ مع كثرة أعدائه، دليل على كونه خبراً غيبياً ﴿عَزِيزٌ... لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ﴾.
- ٤ - لا طريق للباطل إلى القرآن الكريم. (لا الكذب، ولا التضاد ولا التحريف... ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ﴾).
- ٥ - لا تأثير لكل ما يُحاك ضد القرآن سواء كان في الماضي أو في المستقبل، ﴿عَزِيزٌ... لَا يَأْتِيهِ...﴾.
- ٦ - التفاسير الباطلة هي ما يتلقاه الإنسان من القرآن، ولكن القرآن نفسه حكيم لا باطل فيه، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾.
- ٧ - القرآن المنزل من الله ﷻ الحكيم، حكيم وثابت. (الإحكام في المضمون، الألفاظ، أسلوب نزوله، وتأثيره أيضاً)، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾.
- ٨ - الله ﷻ حكيم، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ...﴾، والقرآن أيضاً حكيم: ﴿يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، والنبى ﷺ معلّم الحكمة: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٩ - القرآن تجلٌ للحكمة الإلهية، ودليل استحقاق الله ﷻ للحمد، ﴿حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.
- ١٠ - حتى الأنبياء بحاجة إلى تأييد وبثٍ للطمأنينة في نفوسهم، وهذه الآية فيها تسلية للنبى ﷺ، ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾.
- ١١ - ردة فعل الكفار تجاه دعوة الأنبياء واحدة، ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا...﴾.
- ١٢ - على قادة الدين أن يملكوا القدرة على تحمّل افتراءات الكفار، ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ...﴾.
- ١٣ - طريق التوبة مفتوح على الدوام، ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾.
- ١٤ - الالتفات إلى رحمة الله ﷻ وعقابه يفتح باب التوبة للإنسان، ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ﴾.

(١) سورة يس: الآيتان ١ و٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

١٥ - الخوف والرجاء قرينان دائماً ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ﴾.

١٦ - رحمة الله ﷻ سبقت غضبه، (فبداية ذو مغفرة ثم ذو عقاب).

١٧ - العفو والعقاب من شؤون الربوبية، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾

### إشارات

□ كلمة أعجمي من العجمة وهو أن لا يكون مفهماً ولا مبيّناً للمراد. وحيث كانت اللغات غير العربية غير مفهومة للعرب أطلق على تلك اللغات غير العربية صفة (الأعجمي).

### التعاليم

١ - لا يُعَدَم الكفار المبرر لرفض الإيمان، فإذا كان القرآن عربياً قالوا: ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، وإذا كان أعجمياً قالوا: لماذا هو غير واضح: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾.

٢ - الإيمان شرط للانتفاع من الهدى والشفاء الذي فيه، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾.

٣ - في القرآن علاج للأمراض الأخلاقية، الأسرية، الاجتماعية، وغيرها، ﴿شِفَاءٌ﴾.

٤ - من يغلق عينيه عن نور القرآن فهو أعمى، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

٥ - لا بد من أن يمتلك الإنسان المؤهلات التي تجعله قابلاً للتأثر. فمن كانت روحه ترقى في السماء تكفيه قطرة ماء لتجذبه، ولكن من كانت روحه مظلمة ومتعلقة بالأرض فلن تجذبه بحار من المعرفة والعلم. ولذا يصف الله ﷻ من كان إلى جانب رسول الله ﷺ ولا يمتلك مؤهلات تلقّي تلك المعارف بقوله: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾<sup>(١٥)</sup>

### التعاليم

- ١ - في معرفة تاريخ الأنبياء تسليّة للنبي ﷺ وللمؤمنين، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا...﴾.
  - ٢ - وقع الاختلاف في التوراة كما أنها تعرّضت للتحريف، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾.
  - ٣ - إمهال المذنبين من شؤون الربوبية لعلّ الناس تتوب بذلك وتصل إلى كمالها ورشدها، ﴿سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.
  - ٤ - إمهال المذنبين والعصاة سنة من السنن الإلهية، ولولا ذلك لقضي على الناس من أول انحراف يقعون فيه، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ... لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.
  - ٥ - لا بدّ من أن يكون الشك مقدّمة للبحث والسؤال والوصول إلى اليقين، وليس وسيلة للريب وسوء الظنّ، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾.
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(١٦)</sup>

### إشارات

- لما كان حتى الظلم الصغير من الله ﷻ بمنزلة الظلم العظيم، أورد تعالى في كلامه صفة ظلام، وهي الظلم الكثير.
- جذور المصائب والآلام التي يُصاب بها الإنسان ترجع إلى عمله وما جنته يدها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾، ولا ينبغي أن ننسبها للآخرين.
- فلا ننسبها إلى الله ﷻ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾<sup>(١٥)</sup> وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ<sup>(١٦)</sup>، ولكن القرآن الكريم يجيبه عن ذلك بأن هذا بسبب فعلك وعدم إكرام اليتيم والمسكين: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الفجر: الآيتان ١٥ و١٦.

(٢) سورة الفجر: الآية ١٧.

ولا ننسبه إلى الناس، فالمستضعفون ينسبون ضلالهم للمستكبرين فيقولون: ﴿...لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا ننسبه إلى الآباء، فعندما كان يخاطب أهل الانحراف باتباع ما أنزل الله ﷻ كانت حجتهم: ﴿...نَبِّعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا ننسبه إلى الأنبياء؛ لأن الكفار كانوا ينسبون ذلك إلى الأنبياء: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا ننسبه إلى الأبوين؛ لأن القرآن الكريم ذكر أن الإنسان خلق حراً مختاراً وأمر بطاعة الوالدين إلا في معصية الله: ﴿وَلِنْ جَهْدَاكَ عَلَى أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا...﴾<sup>(٤)</sup>.

ولا ننسبه إلى من تعبد به من دون الله ﷻ، ولذا قال تعالى في القرآن: ﴿...لَا يَفْعَلُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

ولا ننسبه إلى خلقتك من ذكر أو أنثى؛ لأن القرآن الكريم يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا...﴾<sup>(٦)</sup>، أي العبرة بأصل العمل من أي صدر.

ولا ننسبه إلى الشيطان؛ لأن الشيطان ينهاهم عن لومه ويأمرهم بلوم أنفسهم، ويقول لهم إنه لم يكن منه إلا أن: ﴿...دَعَوْنَكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ...﴾<sup>(٧)</sup>.

ولا ننسبه إلى الصديق؛ لأن الضالين عندما يلتقون في يوم القيامة يخاطب بعضهم بعضاً بأنكم كنتم تأتوننا فتزینون لنا المعصية على أنها عمل صالح، ولكن جواب أولئك: ﴿...بَلْ لَأَرَوْكُمُ تُكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

ولا ننسبه إلى البيئة والمحيط. فزوجة فرعون رغم فساد البيئة والمحيط الذي كانت تعيش فيه وهو محيط طاغوت ومال وثروة وخوف، لم تكن تخاف ولا

(١) سورة سبأ: الآية ٢١.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢١.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٤) سورة يس: الآية ١٨.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

(٦) سورة لقمان: الآية ١٥.

(٧) سورة الصافات: الآية ٢٨.

(٨)

تخشى سوى الله: ﴿...أَمَرَاتَ فِرْعَوْنَ...﴾<sup>(١)</sup>. وكذلك تخاطب الملائكة عند قبض الأرواح أولئك الذين ينسبون تقصيرهم إلى المحيط والبيئة بقولها: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾<sup>(٢)</sup>.

## الجزء ٢٥

﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>

### إشارات

□ الأكماء جمع كُم وهو الشيء الذي تُسَرَّ به الفاكهة. ويُطلق على كُم الثوب ذلك لأنه يستر اليد والكمة هي ما يستر الرأس كالقلنسوة.

أَدْنَاكَ من الإيذان وهو الإعلام والإخبار.

□ ورد في سبب نزول هذه الآية أَنَّ بعضهم سأل النبي ﷺ عن وقت قيام الساعة، فنزلت الآية وذكرت أَنَّ علمها عند الله ﷻ.

□ العلوم على أنواع: فبعضها مبذول للناس كافة، وبعضها خصَّ الله ﷻ بها أنبياءه وأوليائه، وبعضها خصَّ بها نفسه. ولذا نقرأ في الدعاء: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمِ اصطفيته من علمك لنفسك واستأثرت به في علم الغيب عندك»<sup>(٤)</sup>.

### نداءات القيامة

- نداء السلام على أهل الجنة: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

- نداء أهل الجنة لأهل النار: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا...﴾<sup>(٥)</sup>.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

(٥) سورة نفسها: الآية ٤٤.

(١) سورة التحريم: الآية ١١.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ٨٨، ص ١٧٥.

- نداء أهل جهنم بطلب الماء وغيره: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾<sup>(١)</sup>.
- نداء الله ﷻ للمشركين: ﴿...يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤِي...﴾<sup>(٢)</sup>.
- نداء المنافقين للمؤمنين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ في التربية من استخدام أسلوبَي الخوف والأمل، وهذا لا يتمّ إلا عندما لا يكون الإنسان محيطاً بعلم الساعة، ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.
- ٢ - الله ﷻ عالم بجزئيات عالم الوجود، ﴿أَكْمَاهَا﴾.
- ٣ - لا يقتصر العلم الإلهي على العلم بعنصر الجنين في رحم الأم، بل هو عالم بتمام خصوصياته، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ...﴾.
- ٤ - الجأ إلى المعبود الذي يمكنه أن يجيبك، ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤِي﴾.
- ٥ - يُستجوب المشركون عدّة مرات ويعترفون بعجز ما كانوا يعبدون ويُعلنون ذلك، ﴿ءَاذَنْتَكَ﴾.
- ٦ - من العذاب الروحيّ في يوم القيامة إظهار الندم عند الجواب، ﴿ءَاذَنْتَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ﴾.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾<sup>(٤٨)</sup> لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ<sup>(٤٩)</sup>

### إشارات

□ المحييص هو المفرّ أو محلّ الفرار. وذكر بعضهم أنّ كلمتي (يأس) و(قنوط) مترادفتان، ولكنّ الفخر الرازي ذكر أنّ (يؤوس) من (يئس) بمعنى اليأس في

(٣) سورة الحديد: الآية ١٤.

(١) السورة نفسها: الآية ٥٠.

(٢) سورة القصص: الآية ٦٢.

القلب، أما (قنوط) فتعني إظهار اليأس على الوجه وفي العمل.  
 □ لعل المراد من الخير في الآية هو الثروة في الدنيا، كما نقرأ في آية أخرى قوله تعالى: ﴿...إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ...﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - يظهر الحق جلياً في يوم القيامة بنحو يظهر بطلان كل معبود سوى الله، وتختفي تلك المعبودات بنحو يظهر بوضوح للمشركين بطلان ما كانوا يعبدون، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾.
- ٢ - يرى المشرك في يوم القيامة أن ما كان عليه كان باطلاً، وأن مستقبله مسدود، ﴿وَصَلَّ... مِنْ قَبْلُ... مِنْ مَحِيصٍ﴾.
- ٣ - لا يسأم الإنسان ولا يمل من طلب الخير، وبسبب حرصه وطلبه الزيادة الذي هو جزء من طبيعته يطلب كل الخير له، ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾.
- ٤ - الإنسان المنحرف لا يملك القدرة على التحمل ولذا يصل إلى حالة اليأس عند أول شر يلاقه، ﴿فَيَوَّسُ قَنُوطٌ﴾.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ

غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

### إشارات

□ التعلّق بالدنيا سبب للغفلة ولإنكار المعاد أحياناً. ففي سورة الكهف تعرّض القرآن الكريم في الآية ٣٥ قصّة ذلك الرجل الذي دخل جنته فقال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ يُبَدِّلَهُ هَٰذَا أَبَدًا﴾ فأنكر المعاد، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾. ولو قامت الساعة: ﴿لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾. وفي هذه الآية نقرأ أيضاً أن بعض الناس



إذا أصابته رحمة من الله ﷻ ينكر القيامة، ويقول: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾.

### التعاليم

١ - الإنسان المنحرف لا يملك الكثير من المؤهلات وهو مصاب بالغرور، ومتى ناله رحمة من الله ينسب ذلك إلى نفسه، ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً... لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾، (كما أنه عندما يصاب بأول شر يناله اليأس، ﴿فَيَتَوَسَّسُ فِتْنَةً﴾، ويصاب بالجزع، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - ليس للإنسان على الله ﷻ شيء، وكل ما يصل إليه فهو من رحمة الله، ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾.

٣ - المنبع هو رحمة الله ﷻ ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾، لكن كل شر يصاب به الإنسان هو نتيجة عمله وصفاته الخاصة به ﴿ضَرَاءَ مَسْتُهُ﴾، (ولم يقل ضراء منا).

٤ - نعم، هذه الدنيا وشروطها محدودة جداً، فهي لا تصل إلا إلى حدّ الذوق والمس، ﴿أَذْقَنَهُ... مَسْتُهُ﴾.

٥ - الإنسان الكافر أناني ومحب لذاته ويظن أن الرزق حقّ حتمي له ﴿هَذَا لِي﴾، (كما أن قارون كان يقول، ﴿...إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي...﴾<sup>(٢)</sup>.

٦ - النعم والرفاه الذي يعيشه الإنسان لا يدلّ على استحقاقه لذلك كما لا يدلّ على أن عاقبته تكون خيراً؛ (ينتقد القرآن في هذه الآية من يرى نفسه مستحقاً لذلك)، ﴿هَذَا لِي﴾.

٧ - إذا أعجب الإنسان بنفسه غفل عن المبدل والمعاد، ﴿هَذَا لِي وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

٨ - أقلّ النعم قد تدفع الإنسان نحو الباطل إلى حدّ يرى النعمة حقّاً له (هذا لي)، وينكر المعاد ﴿وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، ويعتقد بأن القيامة لو فرض أنها كانت فإنّ له الحسنی فيها، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾.

(١) سورة المعارج: الآية ٢٠.

(٢) سورة القصص: الآية ٧٨.

٩ - ليس للكفار منطق ودليل واعتقادهم يعتمد على الظن، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

١٠ - من علائم الكفر الشك والترديد في البعث والقيامة، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً... الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

١١ - تنكشف للإنسان في يوم القيامة حقائق وباطن أعماله، ﴿فَلَنُتَبِّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمًا عَمِلُوا﴾.

١٢ - يبين للإنسان ما ارتكبه من مخالفة أولاً في يوم القيامة ثم يعذب عليه، ﴿فَلَنُتَبِّنَّ... وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾.

١٣ - من يتعامل مع ظنه الخاطئ على أنه أمر محكم لا يقبل الشك، يجب أن يُجاب برّد محكم وحاسم. فالجواب على قوله: ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ هو قوله: ﴿فَلَنُتَبِّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، و﴿لَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ آغْرَضَ وَتَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ﴿٥١﴾

### إشارات

□ كلمة (نأى) بمعنى ابتعد؛ وكلما وردت مع كلمة (بجانبه) كانت كناية عن التكبر والغرور ﴿وَتَنَا بِجَانِبِهِ﴾؛ لأنَّ المتكبر والمغرور وبسبب ما لديه من نعمة يُعرض. وكلمة (عريض) بمعنى مقابل للطويل والمراد من ذلك الكناية عن الدعاء الزائد.

□ سؤال: ورد في الآية ٣٩ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾، ولكن في هذه الآية قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾، والسؤال كيف يدعو الإنسان المصاب باليأس؟

الجواب: اختلف المفسرون في الإجابة عن هذا السؤال:

ففي تفسير روح البيان ورد أنَّ بعض الناس يُصاب باليأس وبعضهم يلجأ إلى الدعاء.

وأجاب بعضهم عن ذلك: إنّ اليأس يكون من تأمل الخير أو دفع الشرّ عن طريق الأسباب المادّية العادية، وهذا لا ينافي أن يلجأ الإنسان إلى الله بالدعاء. ولكن لسان الآية التوبيخ مع أنّ اليأس من الأسباب المادّية العادية واللّجوء إلى الله ﷻ فعل حسن وليس مورداً للتوبيخ.

وورد في تفسير الأمثل: أنّ الآيتين تعبّران عن حالتين، إذ إنّ هؤلاء الأفراد يقومون أولاً بالدعاء وطلب الخير من النبي ﷺ وهم فزعون جزعون، ثم لا تمرّ فترة قصيرة إلّا ويصابون باليأس الذي يستوعب وجودهم كلّ.

ولعلّ بالإمكان القول إنّ المراد من الدعاء ليس هو الاستمداد من الله ﷻ، بل إظهار هذا اليأس بنحو الجزع والصراخ، فالآيتان تتحدّثان عن أمرٍ واحد ولكن في موضع تتحدّث عن حالة اليأس وفي آخر تبين أنّه وبسبب اليأس يُصاب بالجزع ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾.

### التعاليم

- ١ - النعم أو الابتلاءات التي يُصاب بها الإنسان في حياته الغرض منها كشف خصاله وآفاته الروحية، ﴿وَإِذَا أَقْمَنَّا... إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾.
- ٢ - النعم سبب من أسباب الغفلة، ﴿أَقْمَنَّا... أَعْرَضَ﴾.
- ٣ - النعم من الله ﷻ، ﴿أَقْمَنَّا﴾، وأمّا المصائب والشرور فهي نتاج عمل الإنسان أو صفاته وخصاله السيئة، ﴿مَسَّهُ الشَّرُّ﴾، (لم ينسب الله ﷻ الشرّ إليه).
- ٤ - الإنسان الذي لم يربّ نفسه قليل الصبر والتحمّل، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاؤٍ عَرِيضٍ﴾.
- ٥ - المصائب والشرور التي يُبتلى بها الإنسان في حياته قليلة جدّاً قياساً للنعم التي أعطاه الله ﷻ له. (ففي الآية عند الحديث عن النعم ورد قوله: ﴿أَقْمَنَّا﴾، وعند الحديث عن الشرّ ورد قوله: ﴿مَسَّهُ الشَّرُّ﴾).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ  
بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾

### التعاليم

- ١ - يعلم الله ﷻ كيف يحاور أهل العناد والإصرار، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ...﴾.
- ٢ - الإنسان العاقل هو الذي يتعد حتى عن الخطر المحتمل (فإذا كان القرآن من عند الله فماذا سيفعل الكفار)؟ ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... مَنْ أَضَلُّ...﴾.
- ٣ - جذور الكفر تتمثل بالعناد والإصرار على مخالفة الحق، ﴿كَفَرْتُمْ... شِقَاقِ بَعِيدٍ﴾.

﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ  
أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
مُحِيطٌ﴾ ﴿٥٤﴾

### إشارات

□ لمعرفة الله ﷻ مراحل: تارة من الأثر إلى المؤثر: ﴿ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، وأخرى بالمباشرة ودون واسطة: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. وثالثة بشهادته على نفسه بالوحدانية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾<sup>(١)</sup>.

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «متى غبت حتى نحتاج إلى دليل يدل عليك... صميت عين لا تراك»<sup>(٢)</sup>.

□ لماذا نشك في المعاد؟ ألا يدري ما فعلنا حتى يُعاقبنا أو يُثيبنا؟ ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، ألا يمكنه أن يخلقنا مرةً أخرى؟ ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ١٤٢.

نعم، الهدف من هذه التشكيكات ليس سوى الفسق والفجور، ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ يَسْتَلْ أَتَىٰ يَوْمَ الْيَاقِينِ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لا نهاية لمظاهر القدرة والحكمة الإلهية، ﴿سَرُّهُمْ﴾، (مضافاً للآيات الموجودة، سوف نريهم في المستقبل آيات أخرى).
- ٢ - تطوّر العلوم خطوة في سبيل معرفة الله ﷻ، ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٣ - عالم الوجود كلّ درس في معرفة الله ﷻ، ﴿فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٤ - معرفة الله تبدأ من أقرب موجود (نفس الإنسان) إلى أبعد نقطة ممكنة في عالم الوجود، ﴿فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٥ - أتم الله ﷻ الحجة على الخلق كافة، ﴿سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ... حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.
- ٦ - معرفة الله لا بدّ من أن تكون عن تصديقٍ و يقين، ﴿يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.
- ٧ - المعبود الحقّ هو الله ﷻ، ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.
- ٨ - أيقظ الفطرة من خلال توجيه الأسئلة، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ...﴾.
- ٩ - الذات الإلهية المقدّسة تشهد على نفسها، ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، كما قال أولياء الله ﷻ: «يا من دلّ على ذاته بذاته»<sup>(٢)</sup>.
- ١٠ - إذا كان الإيمان بالله ﷻ يقينياً، ثبت الإيمان بالمعاد الذي هو مظهر من مظاهر صفتي القدرة والحكمة والعدالة في الله ﷻ، ﴿أَلَا لِمَنْتُمْ فِي مِرْيَةٍ...﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



# سُورَةُ الشُّورَى

السورة: ٤٢ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٥٣





## ملاحم سورة الشورى

هذه السورة مكية وعدد آياتها ٥٣ آية. وسميت هذه السورة بسورة الشورى لورود هذه الكلمة في الآية ٣٨ منها.

تتعرض هذه السورة لمباحث أصول الدين من التوحيد، والمعاد، والنبوة وكذلك تتعرض هذه السورة لبعض المسائل الاجتماعية والأخلاقية.

أطول الحروف المقطعة من بين ٢٩ سورة وردت فيها الحروف المقطعة هي في هذه السورة، واللافت للنظر هنا أن هذه الآية تضمنت حلّ مشكلة الحروف المقطعة؛ لأنه بعد ورود هذه الحروف ورد قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ﴾ أي الوحي هو من نفس هذه الحروف العربية التي هي تحت تصرف جميع الناس، فأتوا بمثله إن أمكنكم.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝﴾

### إشارات

- ورد في مواطن متعددة من القرآن الكريم خطاب النبي ﷺ بقوله: (قبلك)، أي من قبلك أرسل الله ﷻ أنبياء، ولكن لم يرد في القرآن الكريم إطلاقاً كلمة (بعدك)، وهذا دليل على ختم النبوة بمحمد ﷺ.
- على الرغم من كون النبي محمد ﷺ خاتم النبيين، فإن اسمه سبق اسم غيره من الأنبياء، وهذا دليل على ما له من المكانة العظيمة.
- تجلّت العزة، القدرة، الحكمة والعظمة الإلهية في الوحي الإلهي، ولذا لا ينبغي النظر إلى الوحي والكلام الإلهي على أنه بسيط.
- يتصل أنبياء الله ﷻ بالعزة والقدرة والعظمة الإلهية، ولذا كان الفناء مصير كل من يواجههم.
- من أدلة إعجاز القرآن الكريم أنّ أحداً لا يمكنه الإتيان بمثله على الرغم من كون جملة وعباراته مؤلفة من الحروف العربية والكلمات المعروفة.

### التعاليم

- ١ - عندما تريد أن تجعل مضموناً ما عنواناً، فإنّ عليك أن توجد لدى السامعين انشداداً وجاذبية له، ﴿حَمْدٌ عَسَقَ﴾.
- ٢ - مضمون الوحي وأسلوبه المنزل على الأنبياء متشابه، ﴿كَذَلِكَ﴾.
- ٣ - الوحي سنة من السنن الإلهية، ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ...﴾.
- ٤ - يتصل كافة الأنبياء بمنبع واحد، ويتلقون الوحي من مصدر واحد، ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ﴾.

- ٥ - الوحي مصدر للعزة، فلا تواجه الوحي لئلا يُصيبك الفناء، ﴿يُوحِي... الْعَزِيزُ﴾.
- ٦ - الوحي منزل من الله العزيز الحكيم، وطاعة الوحي سبب لنيل العزة والاستقامة، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ٧ - نزول الوحي مطابق للحكمة، ولذا لا ينزل الوحي على أي أحد، ﴿يُوحِي... الْحَكِيمُ﴾.
- ٩ - العزة الإلهية ممتزجة بالحكمة وحسن التدبير، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ١٠ - نظام التشريع (الوحي والهدى) حق لمن كان بيده نظام التكوين (السموات والأرض)، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ...﴾.
- ١٢ - المالك الحقيقي هو الله ﷻ، وليس لغيره سوى الملكية المتخيلة والموهومة، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ...﴾.
- ١٣ - الملكية المطلقة لله ﷻ على عالم الوجود وهي تقوم على عزته وحكمته، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْ قَوْقِحٍ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝﴾

### إشارات

□ عظمة الوحي تصل حدًا تنشق لها السماء، فالسماء التي بُنيت سبع طبقات ﴿...سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا...﴾<sup>(١)</sup>، وقد أحكمت: ﴿...سَبْعًا شِدَادًا﴾<sup>(٢)</sup>، وهي في إحكامها يُضرب بها المثل: ﴿...أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ بَنَاهَا﴾<sup>(٣)</sup>، هذه السماء التي تحتوي على عشرات المجرات وفي كل مجرة منظومات مختلفة وفي كل

(١) سورة الملك: الآية ٣.

(٣) سورة النازعات: الآية ٢٧.

(٢) سورة النبأ: الآية ١٢.

منظومة كرات تصل بعضها إلى ملايين مضاعفة من حجم الأرض ولم يصل العلم البشري إلى أدنى إحاطة بها، تصاب بالتفطر من عظمة الوحي.

□ ورد في سورة مريم: ﴿تَكَادُ السَّمَكُوتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشُقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ لِلْجَبَالِ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

□ مضافاً إلى قيام الملائكة بتدبير نظام الوجود، فهي أيضاً تتكفل بالدعاء لهذا الإنسان، فالملائكة الذين لا يرتكبون المعاصي، ﴿...لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ...﴾<sup>(٢)</sup>، يستغفرون للمذنبين من العباد. فعلى المطهرين من الذنوب أن يكون في بالهم الدعاء للآخرين. نعم، استغفار الملائكة هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية على عباده؛ لأنَّ الملائكة لا تقوم بعملٍ إلا بأمر من الله ﷻ.

□ طبقاً لهذه الآية فإنَّ الملائكة تدعو لأهل الأرض كافة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، وطبقاً للآية ٧ من سورة غافر فإنَّ الملائكة تستغفر للمؤمنين ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. والملفت أنَّ هذا الاستغفار مشروط بشرط وهو أن يقوم المؤمنون بالاستغفار أيضاً: ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

□ لا شك في عفو الله ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ ففي الآية أكثر من نوع من أنواع التأكيد. (ألا، إنَّ، هو، الجملة الاسمية، الغفور بدل غافر والألف واللام في الغفور).

□ لقد أتمَّ الله ﷻ الحجة على العباد، فجعل من الوحي سنة إلهية، ومن النبي واسطة الوحي ولياً للناس، ولكنَّ الناس يذهبون في اتجاهات أخرى، ﴿وَمِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ﴾.

□ جرت العادة في الآيات والروايات أن يذكر الحمد إلى جانب التسبيح، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، «سبحان ربي الأعلى وبحمده».

(١) سورة مريم: الآيتان ٩٠ و٩١.

(٢) سورة التحريم: الآية ٦.

## التعاليم

- ١ - إذا كانت السموات تتأثر بالوحي، فلماذا لا يتأثر بعض الناس بالوحي؟  
﴿يُوحَى... تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ﴾.
- ٢ - من آداب الدعاء والاستغفار أن يبدأ الإنسان بالحمد والثناء والتسبيح  
﴿يُسَبِّحُونَ... يَسْتَغْفِرُونَ﴾.
- ٣ - دعاء الملائكة مستجاب، ﴿يَسْتَغْفِرُونَ... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، (نعم فالدعاء في حق الآخرين مستجاب).
- ٤ - لا ينبغي لأي مسؤولية (حتى تدبير شؤون عالم الوجود) أن تحول دون الدعاء والاستغفار. (فالملائكة مع أنّ أمر تدبير عالم الوجود بيدهم، ولكنهم مشغولون على الدوام بالتسبيح لله ﷻ والدعاء والاستغفار للإنسان)،  
﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... يَسْتَغْفِرُونَ﴾.
- ٥ - يترتب على الاستغفار لطفان حتميان: المغفرة والرحمة ﴿يَسْتَغْفِرُونَ... الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.
- ٦ - لأنّ الوحي ينزل من السماء، وفي السماء يكون مسيره: ﴿سَبَّحَ طَرَائِقَ﴾<sup>(١)</sup>؛ فعند عبوره من كل سماء تكاد تلك السماء تنفطر، ﴿يَنْقَطِرْنَ مِنْ قَوْفِهِنَّ﴾.
- ٧ - الشرك مرفوض بكافة أشكاله وأبعاده، ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.
- ٨ - على المشركين أن يعلموا أنّ ما يعتقدون به وما يعملونه قد حفظه الله ﷻ لهم ليحاسبهم به، ﴿اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٩ - رفض الناس لا ينبغي أن يكون سبباً لتثبيط العزيمة، بل لا بدّ للنبيّ من أن يقوم بما كُلف به، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.
- ١٠ - وظيفة النبيّ بيان الوحي، فإن ذهب الناس في اتجاهات أخرى فلا شيء على النبيّ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

- ١١ - كان النبي مهتماً ومتشوقاً لهداية الناس، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيلٍ﴾.  
 ١٢ - مسؤولية النبي إرشاد الناس، وليس إجبارهم على قبول الحق، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَكِيلٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٧)

### إشارات

- المراد من أم القرى بحسب ما ورد في الروايات مكة المكرمة. وورد في بعض الروايات أن منطقة الكعبة كانت أول منطقة ظهرت من تحت الماء، ولذا تسمى أم القرى.
- من أسماء القيامة (يوم الجمع)، فهو الذي يُجمع فيه الناس جميعاً، وتجمع فيه الروح إلى الجسم، ويجمع فيه العمل مع الإنسان، والظالم مع المظلوم، والثواب والعقاب مع مستحقّهما.
- سؤال: مع أن القرآن الكريم يكرّر نقل شك الكفار وتعجبهم من المعاد، فكيف يقول إنه لا ريب فيه؟
- الجواب: تكرر قوله تعالى: «لا ريب فيه» في وصف المعاد إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم، وأربع مرات في وصف القرآن الكريم، ومرة في وصف الأجل الآتي؛ وهذا يعنى أن التأمل في مظاهر البعث في الطبيعة، ومجيء الربيع والخريف، وخلق الإنسان لا يبقّي للشك والترديد في البعث أي معنى، وليس مراد الآية أن أحداً لا يشك في ذلك، بل المراد أنه لا ينبغي الشك في ذلك.

### التعاليم

- ١ - كما كانت بعثة الرسل السابقين بلغة قومهم فكذلك كان نزول القرآن بلغة العرب، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا... قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.
- ٢ - ألفاظ القرآن أنزلت إلى النبي ﷺ كما هي عليه، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.
- ٣ - القرآن أنزل عربياً، وترجمته إلى أي لغة مهما كانت دقيقة ليست كالقرآن،

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، (لأنّ فهم البشر لا يمكنه أن يحيط بتمام حقائق العبارات والألفاظ التي في القرآن، فإنّ ترجمته سوف تكون على أساس فهم المترجم).

٤ - الغرض الأساس من الوحي الإلهي إنذار الناس، ﴿أَوْحَيْنَا... لِتُنذِرَ﴾.

٥ - الذي يتكفل بمهمة إنذار الناس لا بدّ من أن يتمتّع بالعلم والمعرفة بما يلزم، ﴿أَوْحَيْنَا... لِتُنذِرَ﴾.

٦ - لا بدّ في أسلوب التبليغ من معرفة المخاطبين وحاجاتهم (أول حاجة لدى المجتمع الجاهلي كانت هي الإنذار)، ﴿لِتُنذِرَ﴾.

٧ - لا بدّ في العمل التبليغي من ملاحظة الأولويات بحسب المناطق، الأماكن والإستراتيجيات. (الأولوية للمناطق المحورية والمركزية)، ﴿أَمْ أَلْقَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

٨ - على الداعية أن يبدأ بنفسه وبمن حوله، ﴿لِتُنذِرَ أَمْ أَلْقَرَى﴾.

٩ - دعوة نبيّ الإسلام ﷺ كانت تدريجية وعلى مراحل متعدّدة، ﴿لِتُنذِرَ أَمْ أَلْقَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

١٠ - لمسألة المعاد من بين محاور الإنذار دور أساس، ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾.

١١ - لفصاحة القرآن دور مهمّ في إنذار الناس، ﴿عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ﴾؛ (بناء على أنّ المراد من كونه عربياً كونه فصيحاً).

١٢ - يوم القيامة مع كونه يوم الجمع هو يوم الفصل والتفريق، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ إِبْشَاءٍ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

### إشارات

□ الله ﷻ حكيم، وكلّ فعلٍ يصدر منه يصدر عن حكمة، وإن لم يتمكّن الإنسان من معرفة وجه الحكمة فيه. وعليه، فمتى ورد في القرآن الكريم: يُعِزُّ من يشاء

وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فالمراد أَنَّ الله ﷻ يُعِزُّ قوماً عن طريق الإيمان والعمل الصالح، حيث يجعلهم في مسير رحمته وهدايته، ومتى أراد أن يُذِلَّ قوماً أبعدهم عن طريق السعادة بسبب كفرهم وضلالهم وعنادهم ونفاقهم.

فلو أَنَّك دخلت بيتاً فوجدت فيه لصاً قِائِكَ سوف تبادر فوراً إلى إغلاق الباب حتى تخبر الشرطة بذلك. فأنت وإن سددت باب الفرار على السارق، ولكن السارق هو الذي أوقع نفسه في ذلك. فالله ﷻ يذلُّ قوماً ولكن ذلك بسبب ما لديهم من سوء العقيدة والعمل.

□ كلمة وليّ مفرد وكلمة أولياء جمع، وذلك لأن من يعبد الله ﷻ لا يرى ولاية إلا لله ﷻ، ومن يعبد غير الله فله في كل لحظة وليّ.

### التعاليم

١ - جرت سنة الله ﷻ على أن يكون الإنسان حراً لكي يختار بنفسه السبيل الذي يريده، وإلا فإن الله ﷻ قادر على إجبار الناس على الهدى والحق، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

٢ - المنحرفون عن طريق الحق، يَظْلَمُونَ أنفسهم في الحقيقة، ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾.

٣ - يُحْرَمُ الظالم من أي نوع من العون في يوم القيامة، ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، فلا عون له لا من مقام أعلى ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾، ولا عون له من الأصدقاء ومن كان تحت يده، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾.

٤ - لا بد من الرد على الشبهات والأفكار المنحرفة، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا... فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ...﴾.

٥ - الإيمان بغير الله ﷻ أمر يوجب عليه الإنسان ويؤنب، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا...﴾.

٦ - لا بد من أن تكون الدعوى مقرونة بالدليل، ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٧ - كل ولاية لا تكون في ظل ولاية الله ﷻ فهي باطلة وغير مشروعة، ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾.

٨ - ولاية الله ﷻ مطلقة واسعة وأبدية، ﴿هُوَ الْوَلِيُّ﴾.

٩ - الولاية حق لمن يملك القدرة المطلقة، ﴿هُوَ الْوَلِيُّ... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

### إشارات

□ حيثما وجد الإنسان فلا بد من الاختلاف، وما دام الاختلاف موجوداً فلا بد من الاحتكام للقانون الإلهي وللذين. إذاً لا يمكن أن ندعي الاستغناء عن الذين.

□ وردت كلمة ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ في هذه الآية بصيغة الماضي، وكلمة ﴿أُنِيبُ﴾ بصيغة المضارع، ولعلّ بالإمكان القول إنّ التوكل يقوم على الإيمان الثابت، ولكن الإنابة لازمة في كل يوم وفي كل لحظة.

□ كلمة ﴿عَلَيْهِ﴾ و﴿إِلَيْهِ﴾ تقدّمتا على ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ و﴿أُنِيبُ﴾، أي لا تتوكل على غيره ولا ترجع إلى غيره.

### التعاليم

١ - لا يجيب الذين عن الأسئلة الأخلاقية والعقائدية فحسب، بل يجيب عن كافة الأسئلة من سياسية، واقتصادية، وغير ذلك، ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

٢ - لا وجود في الإسلام لطرق مسدودة، ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ... فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

٣ - حلّ الاختلاف شأن من شؤون الربوبية، ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾.

٤ - ارجعوا إلى الله ﷻ عند الاختلاف وعليه توكلوا وإليه أنيبوا، ولا ترددوا في تنفيذ أيّ حكم صدر عنه، ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ... عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

٥ - التوكل والإنابة من نتائج الإيمان بربوبية الله ﷻ، ﴿اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.



﴿فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ  
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١)

### إشارات

□ «الفطر» تعني خلق الشيء لا عن سابق. نعم، فُطِرَ في اللغة بمعنى شقَّ وفصل، وهذا التعبير لعلَّه إشارة إلى أنَّ السماء والأرض كانتا مادةً واحدةً متراكمة وبسبب الانفجار انفصلت وتفتكت إلى كرات، والله العالم.

□ لا يمكن تشبيه الله ﷻ بأي شيء. فهو حيٌّ ولكن حياته لا تشبه حياة شيء من الموجودات، ولذا نقرأ في الفقرة ٧١ من دعاء الجوشن:

«يا حيًّا قبل كلِّ حيٍّ، يا حيًّا بعد كلِّ حيٍّ، يا حيُّ الذي ليس كمثلته حيٍّ،  
يا حيُّ الذي لا يُشاركه حيٍّ، يا حيُّ الذي لا يحتاج إلى حيٍّ، يا حيُّ الذي يُميت  
كلَّ حيٍّ، يا حيُّ الذي يرزق كلَّ حيٍّ، يا حيًّا لم يرث الحياة من حيٍّ، يا حيُّ  
الذي يُحيى الموتى، يا حي يا قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم».

### التعاليم

- ١ - خلق السموات والأرض كان إبداعاً وابتكاراً بتمامه، ﴿فَاطَرُ﴾.
- ٢ - الهدف من الزوجية بقاء النسل؛ (يذروكم بمعنى التكثير وقد ورد بعد كلمة أزواج).
- ٣ - الله ﷻ منزّه عن أن تكون له زوجة. (فالزوجية في الإنسان والحيوان، ولا تتصوّر في حقِّ الله ﷻ)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.
- ٤ - مع أنّه ليس كمثلته شيء، ولكنّه مرتبط بالكلِّ، فهو سميع وبصير بكلِّ الخلق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
- ٥ - سمع الله ﷻ وبصره يختلف عن سمع وبصر سائر المخلوقات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾

### إشارات

□ مقاليد جمع مقلید وهو المفتاح. وهو الوسيلة التي تُستخدم للفتح أو للغلق، ومن له مقاليد السموات والأرض هو الذي يُمكنه أن يفتح باب الرزق للعباد أو يغلقه عليهم.

□ مفاتيح الوجود تارة تكون أسباباً مادية هي واسطة في الفيض، كالمطر الذي يكون وسيلة لإحياء الأرض: ﴿...فَلَحْيَا يَدِ الْأَرْضِ...﴾<sup>(١)</sup>؛ وأخرى تكون أسماء إلهية، ونجد نموذج ذلك في دعاء السمات: «أسألك باسمك الذي إذا دُعيت به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت...».

□ سعة أو ضيق الرزق لا تدلّ على الرحمة أو العذاب الإلهيين؛ لأنّ القرآن الكريم يقول: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

□ إنّ سعة الرزق أو ضيقه وإن كان بيد الله ﷻ، ولكن على الإنسان أن لا يكف عن السعي في سبيل الرزق. قال تعالى: ﴿...وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

□ الرزق ليس مادياً على الدوام، لأننا نقرأ في الدعاء: «اللهم ارزقني توفيق الطاعة وبُعد المعصية».

□ يعلمنا القرآن الكريم أبواب سعة الرزق وهي على ما يأتي:

- ﴿...لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.

- ﴿...اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾<sup>(٥)</sup>.

- ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾<sup>(٦)</sup>.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٥) سورة هود: الآية ٥٢.

(٦) سورة الطلاق: الآيتان ٢ و٣.

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥٥.

(٣) سورة الجمعة: الآية ١٠.

## التعاليم

- ١ - الأسباب المؤثرة في عالم الوجود هي بيد الله ﷻ فقط، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ﴾.
- ٢ - سعة أو ضيق الرزق ليسا من الأمور التي تتحقق بالصدفة، بل هما بيد الله الحكيم، ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ... وَيَقْدِرُ﴾.
- ٣ - سعة الرزق لا ترتبط بقدرة الإنسان بل بيد الله ﷻ، ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾.
- ٤ - تقسيم الرزق بيد الله يكون عن علم، ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عِلْمٍ﴾.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١٣)

## إشارات

- تعرّضت هذه الآية لأسماء الأنبياء أولي العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، والنبيّ محمّد، صلوات الله عليهم أجمعين.
- محور دعوة الأنبياء كافة كان واحداً، فقد دَعَوْا جميعاً إلى التوحيد والمعاد، التقوى والعدالة، الصلاة والصوم، الإحسان إلى الوالدين ومساعدة المحتاج.
- شرع من شريعة بمعنى الطريق الذي يوصل الناس إلى السواحل وشطوط الأنهار الكبرى، كشريعة العلقمي للوصول إلى ماء الفرات. وحيث كانت أحكام الدين طريقاً للوصول إلى الكمالات أطلق عليه تسمية الشريعة.
- لم يرد في القرآن الكريم التعبير بـ (أديان)؛ لأنّ الدين الإلهي واحد لا غير.

## التعاليم

- ١ - جعل الله ﷻ شريعته للناس على أساس علمه اللامتناهي، ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عِلْمٍ شَرَعَ لَكُم﴾.
- ٢ - الدين والشريعة في سبيل مصلحة الإنسان، ﴿شَرَعَ لَكُم﴾.

- ٣ - النبي نوح عليه السلام هو أول الأنبياء من أصحاب الشريعة الجامعة، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾.
- ٤ - الإسلام دين جامع ويحوي على تعاليم الأنبياء كافة، ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا... وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾.
- ٥ - الوحدة الحقيقية إنما تكون في ظل دين الله ﷻ، ﴿أَقْبِمُوا الدِّينَ وَلَا تَنَفَّرُوا فِيهِ﴾.
- ٦ - المانع من إقامة الدين وتطبيق أحكامه هو الاختلافات الدينية، ﴿أَقْبِمُوا الدِّينَ وَلَا تَنَفَّرُوا﴾.
- ٧ - يصعب على المشركين رؤية المؤمنين موحددين، ﴿وَلَا تَنَفَّرُوا... كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾.
- ٩ - النبوة منصب إلهي، والله ﷻ يختار ويصطفى من يراه مؤهلاً لذلك، ﴿يَجْتَنِي إِلَيْهِ﴾.
- ١٠ - قبل أن يجعل الله ﷻ الأنبياء قادة للناس يختارهم ليكونوا عباداً له، ﴿اللَّهُ يَجْتَنِي إِلَيْهِ﴾.
- ١١ - الإنسان بعمله يتمكن من توفير أرضية تلقي الألفاف الإلهي، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَلَئِنْ الَّذِينَ أُرِيتُوا أَنْ يُكْتَبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾﴾

### إشارات

- ورد في هذه الآية تارة ﴿جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، وأخرى ﴿أُرِيتُوا أَنْ يُكْتَبَ﴾؛ أي إنهم مع علمهم بالحق ووراثتهم الكتاب السماوي، ولكنهم تفرقوا مع ذلك.
- الشك إذا كان معبراً وطريقاً كان جيداً، ولكنه لا يصلح محطة وموقفاً. فالشك الذي يحصل لدى الإنسان بشكل طبيعي ويكون دافعاً للبحث والتعلم أمر إيجابي ومهم، ولكن إذا كان الشك عن عناد وسوء ظن كان سبباً للركود واللامبالاة وهو أمر سلبي ومذموم.

## التعاليم

- ١ - على الرغم من وصية الأنبياء للناس بالتوحد، تجد الناس مختلفين، ﴿وَلَا تَنفَرُوا... وَمَا تَنفَرُوا...﴾.
  - ٢ - التفرقة في الدين تأتي في الغالب من العلماء، ﴿تَنفَرُوا... مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْمُزُ﴾.
  - ٣ - سبب أكثر ما يقع بين الناس من التفرقة هو الحسد والظلم والطمع، ﴿وَمَا تَنفَرُوا إِلَّا... بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾.
  - ٤ - الربوبية الإلهية هي سبب الإمهال للعباد، لكي يكون لهم الحرية والمجال لإظهار جوهرهم وحقيقتهم، ﴿سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.
  - ٥ - الإمهال سنة من السنن الإلهية، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾.
  - ٦ - الإمهال له زمان محدد وأجل معين، ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾.
  - ٧ - الشك الذي يقترب بسوء الظن يكون شكاً مدمراً، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَ﴾.
- ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

## إشارات

□ تتحقق العدالة من خلال توافر مجموعة من التصديقات والاعتقادات: معرفة طريق الحق، ووصايا أنبياء الله، ترك الهوى، الإيمان بالبعث والنشور في محكمة العدل الإلهي وتلقي الجزاء المتناسب مع العمل. فقد ورد الأمر بالعدل في هذه الآية إلى جانب التعرض لهذه المعتقدات.

## التعاليم

- ١ - لا بد في مقابل التفرقة التي تقوم على أساس الطمع من الثبات على خط الدين، ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ﴾.

- ٢ - تبليغ الدين يترافق مع بعض المشاكل التي لا بد من تحملها، ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ﴾.
- ٣ - الاستقامة المطلوبة هي التي تكون على أساس الحق والتكليف وإلا فلن ينتج عنها إلا العناد والإصرار، ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.
- ٤ - اتباع هوى الناس مخالف لأوامر الله ﷻ، ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.
- ٥ - آفة الدعوة إلى طريق الحق اتباع أهواء الناس، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.
- ٦ - لا بد للقادة الربانيين من الثبات على أصول دعوتهم، وأن لا يسلموا للناس في ما يطلبونه من أمور غير المشروعة، ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا...﴾.
- ٧ - الإسلام يعترف بالكتب السماوية كافة، ﴿ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾.
- ٨ - العدالة أنشودة كافة الأديان الإلهية، ﴿لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ﴾.
- ٩ - لا بد من أن يكون الأنبياء حكماً وبيدهم السلطة حتى يتمكنوا من تطبيق العدالة في المجتمع، ﴿لِأَعْدَلَ بَيْنَكُمْ﴾.
- ١٠ - الإشارة إلى المشتركات في المعتقدات أفضل باب للدعوة، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّوكَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جُحُودٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦)

### إشارات

- المحاجة من الحجج وهو بمعنى القصد، وتطلق على الحوار الذي يدور ويكون مراد المتكلم فيه إثبات صحة شيء أو بطلانه.
- إذا كان الطريق واضحاً وثابتاً فلا ينبغي التخلّي عنه بسبب الشك والوسوسة، ولا تتخلّى عن إيمانك بشخص لمجرد استماعك لبعض الشائعات. ومتى كانت هناك سنة أو عرف أو عادة حسنة ومنطقية في المجتمع فلا تجادل فيها.

## التعاليم

- ١ - بعد معرفة الله ﷻ عن طريق الفطرة والعقل لا داعي للمحااجة والمجادلة، ﴿يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ﴾.
- ٢ - ليس للشرك أي اعتبار وليس للمشركين منطق، ﴿مُجَنَّمَةٌ دَاحِضَةٌ﴾.
- ٣ - السعي لإثارة الشك في نفوس المؤمنين موجب للغضب والعذاب من الله ﷻ، ﴿يُحَاجُّونَ... وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧)

## إشارات

□ (الساعة) هو أحد أسماء يوم القيامة؛ لأنها تقع فجأة وبشكل غير متوقع.

## التعاليم

- ١ - لا طريق للباطل إلى القرآن الكريم، ﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾.
- ٢ - القرآن الكريم حقيقة أنزلت من العالم العلوي لسعادة البشر، ﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾.
- ٣ - القرآن ميزان ووسيلة للتمييز بين الحق والباطل، ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾.
- ٤ - لا علم للنبي ﷺ أيضاً بزمان وساعة القيامة، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾.
- ٥ - لا ينبغي أن يقع الإنسان في الآمال الموهومة والموجبة لتأخير التوبة والعمل الصالح؛ لأن الساعة قد تكون قريبة، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (١٨)

## إشارات

□ إذا كان الضالون في مكان قريب أمكن تعلق الأمل بنجاتهم وإنقاذهم؛ ولكن

عندما يكونون في مكانٍ بعيد، فإنَّ ذلك يكون صعباً ولربَّما يكون مستحيلاً:  
﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

□ سَنَةُ الْكُفَّارِ والمُشْرِكِينَ في مواجهة تحذير الأنبياء إِيَّاهُمْ من يوم القيامة هو استعجال ذلك اليوم، فكانوا يقولون: (متى هذا الوعد؟)، أي لِمَ لا يَتَحَقَّقْ؟

□ الاستعجال وإن كان مذموماً في الكثير من الأعمال، ولكنَّه موصى به في بعض الموارد كإقامة الصلاة، ودفن الميت، والزواج المبكر، وأداء الديون، والتوبة، وإطعام الضيف.

□ يُمارون بمعنى الإصرار على التردد والشك. والمشفق من الشفقة وهي الخوف مع الإشراف والمراقبة.

□ الْحَقُّ صفة أطلقها القرآن الكريم على أمور مختلفة:

- الله: ﴿ذَلِكَ يَآنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾<sup>(١)</sup>.

- النبي: ﴿...أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ...﴾<sup>(٢)</sup>.

- القرآن: ﴿...أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾<sup>(٣)</sup>.

- الدعوة: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ...﴾<sup>(٤)</sup>.

- المعاد: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾.

- الميزان: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ...﴾<sup>(٥)</sup>.

## التعاليم

١ - لا دور للاستعجال من قِبَلنا في التدبير الإلهي، ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾.

٢ - بيان الرأيين والمقارنة بينهما سبب للرشد واختيار الأفضل، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِتًى وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(٤) سورة الرعد: الآية ١٤.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٨.

(١) سورة لقمان: الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٩.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٧.



- ٣ - لا بدّ من أن يكون الإيمان على أساس العلم، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا... وَيَعْلَمُونَ﴾.
- ٤ - الإيمان بالمعاد سبب لإيجاد الخوف لدى المؤمنين؛ (لأنّ القيامة هي محلّ ظهور الحوادث المهولة)، ﴿ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ﴾.
- ٥ - العلم والإيمان والخوف إذا كانوا معاً كانوا مثمريين، ولو انفرد أحد هذه الثلاثة لا يكون نافعاً. (فإبليس وبلعم بن باعورا وفرعون كان لديهم علم ولكنه لم يكن لديهم إيمان ولا خوف)، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنَّا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.
- ٦ - أصل الشكّ في المعاد ضلال، وإثارة الشك في المعاد لدى الآخرين والإصرار عليهم في ذلك هو ضلال بعيد، ﴿مَكَلِّمٌ بَعِيدٌ﴾.
- ٧ - الاستمرار في المراء والجدال أمر مذموم، ﴿يُمَارَوْنَ فِي السَّاعَةِ﴾.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ  
الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾

### إشارات

- السهولة والدقة معنيان متضمّنان في كلمة (اللطيف). والله ﷻ لطيف لأنّه محيطٌ بدقائق الأمور، ويمكنه القيام بأيّ عملٍ بسهولة<sup>(١)</sup>.
- إرادة الآخرة دليل على: سعة النظر، وعدم التعلّق بالدنيا، والإيمان بالوعد الإلهيّ؛ وبعبارة مختصرة، إرادة الآخرة علامة على حسن العقل واختيار الأحسن.
- ورد في الآية العشرين تشبيه الإنسان بالفلاح الذي يكون عمله الزرع، فنيته هي البذر، والدنيا هي مزرعة للآخرة.

□ الآخرة أهم من الدنيا وذلك لأن:

- ١ - طالب الآخر يُزاد له ويوسّع عليه: ﴿زِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾.
- ٢ - طالب الآخر ينال من الدنيا الشيء القليل، ولكن طالب الدنيا لا ينال من الآخرة شيئاً نافعاً: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.
- ٣ - طالب الآخرة يصل إلى كافة مقاصده وأهدافه: ﴿زِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾؛ ولكن طالب الدنيا لا يصل إلا إلى بعض أهدافه: ﴿تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾.

### التعاليم

- ١ - خلافاً لما في المخلوقات حيث تجد اللطيف منها ليس قوياً، والقوي منها ليس لطيفاً، فإن الله ﷻ لطيف وقوي، ﴿لَطِيفٌ... أَلْقَى﴾.
- ٢ - القدرة الإلهية لا تُغلب أبداً، ﴿أَلْقَى الْعَزِيزُ﴾.
- ٣ - الرزق الإلهي يكون على أساس اللطف، ﴿لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ﴾.
- ٤ - القدرة واللطف من الله ﷻ هو ضمانه وصول الرزق للإنسان، ﴿لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ... وَهُوَ أَلْقَى﴾.
- ٥ - الإنسان حرٌّ في اختيار الطريق، ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ... وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ...﴾.
- ٦ - قيمة عمل الإنسان ترتبط بأهدافه المنشودة القريبة أو البعيدة وبنية، ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ... يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾.
- ٧ - كلُّ العطاء من الله ﷻ: ﴿زِدْ لَهُ... تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾، والعطاء الإلهي يتناسب ونية الإنسان وحسن اختياره، ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ... وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ...﴾.
- ٨ - دور الإنسان هو الاختيار والتصميم، وأما مقدار ما يأتيه من الرزق فهو تابع للإرادة الإلهية، ﴿زِدْ لَهُ... تُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾.
- ٩ - جعل الدنيا هدفاً سبباً للحرمان الكامل من الآخرة، ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ... وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١)

### إشارات

□ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده: «لو كان لربك شريك لأنتك رسله»<sup>(١)</sup>. وهذه الآية تتضمن نفس هذا المعنى، فلو كان الله تعالى شركاء لبعثوا أنبياء ليشرعوا للناس شرائع وأدياناً.

□ ورد عن الإمام زين العابدين في ما يتعلق بالإمهال الإلهي: «كان جزائي منك في أول ما عصيتك النار»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

١ - الإنسان بحاجة إلى شريعة وقانون، وهذا ما يوفره الله تعالى للإنسان لا غير الله، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ﴾.

٢ - الشريعة الحق هي ما كانت بإذن من الله تعالى فقط، وبدون الإذن الإلهي لا يكون الشيء شرعياً ولا إلهياً، ﴿مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾.

٣ - البدعة في الدين وتشريع قوانين دون إذن من الله تعالى شرك بالله، ﴿شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾.

٤ - إمهال الناس لكي تبرز حقيقتهم ويستبين جوهرهم سنة إلهية حتمية، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾.

٥ - إمهال المنحرفين لطف إلهي لعل الإنسان يفكر بالتوبة والإيمان، ولولا هذا اللطف بالإنسان فإن الله تعالى يعذبه على أول معصية وذنب يقع به، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

٦ - الشرك ظلم والمشرك ظالم، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ... إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

### إشارات

□ الروضة تُطلق على المحلّ الذي يكون فيه شجر وماء.

### التعاليم

- ١ - العمل السيئ الصادر من الإنسان لا يناله منه إلا نار جهنم، ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾.
- ٢ - لا فائدة ولا نفع في الخوف من العذاب في يوم القيامة، ﴿مُشْفِقِينَ... وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾.
- ٣ - اللذائذ المادّية والمعنوية متقارنة في الجنة، ﴿رَوْضَاتِ... عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.
- ٤ - الحرمان في الدنيا واجتناب المحرّمات سوف يعوّض عنه في الآخرة، ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾؛ (كلّ ما يرغب فيه المؤمنون من نعم مادّية ومعنوية سوف يصل إليهم في الجنة).
- ٥ - على الرغم من أنّ أهل الجنة هم أهل الإيمان والعمل الصالح؛ ولكنّ النعم الإلهية كلّها هي من فضل الله ﷻ وليست بإزاء عملهم، ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.
- ٦ - لا ينتظر من الله الكبير إلا الفضل الكبير، ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَّهٗ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

### إشارات

□ ورد في الآية السابقة أنّ جزاء المؤمنين والمحسنين هو الجنة التي لهم فيها ما يشاؤون، وفضلٌ من الله أكبر. وتعرض هذه الآية لثواب من كان سبباً لهداية ملايين من الناس إلى الجنة، أي نبي الإسلام ﷺ.

إذا كانت هدية بقدر باقية ورد تستلزم الشكر والثواب، فأَيُّ ثواب تستلزمه هداية البشرية؟ إذا راجعنا آيات القرآن الكريم في هذا المجال فسنجد أنَّ شعار الأنبياء جميعاً هو أنهم لا يطلبون أجراً على ذلك، إنَّ أجرهم إلَّا على الله ﷻ. ففي سورة الشعراء من الآية ١٠٩ إلى الآية ١٢٧ لاحظ كلام النبيِّ نوح، هود، صالح، لوط وشعيب ﷺ، وفي سورة سبأ الآية ٤٧ لاحظ كلام رسول الله ﷺ حيث يقول: ﴿...إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

نعم، لا شك في أنَّ الأنبياء لا يريدون جزاء مادّيّاً، ولكنهم يطلبون من الناس الطاعة والاهتداء بهديهم؛ لأنهم ﷺ وكما ورد في سورة الشعراء وبعد نفيتهم طلب الأجر، كان قولهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾. إذاً لا يطلب الأنبياء أجراً مادّيّاً، ولكن الأجر المعنويَّ أي هداية الناس أمر يطلبونه وهذا الأجر يعود نفعه في الحقيقة إلى الناس أنفسهم، كالأستاذ الذي يخاطب تلميذه بقوله: أنا لا أطلب منك أجراً بل ما أريده فقط أن تدرس، فإنَّ ذلك هو أجري، فهذا الأجر يعود نفعه للتلميذ نفسه.

□ ما هو أجر رسالة نبيِّ الإسلام ﷺ؟ لم يطلب النبيُّ ﷺ أجراً على الرسالة ولكن ورد الأمر الإلهيُّ له بكلمة (قل) بأن يطلب من الناس الأجر المعنويَّ على الرسالة، هذا الأجر الذي يرجع نفعه إلى الناس أنفسهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا الأجر المعنويَّ ورد التعبير عنه بنحوين: فتارة ورد التعبير عنه بالتالي: ﴿...إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا نَزِيهًا سَبِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>، وأخرى ورد التعبير عنه بقوله: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. إذاً أجر الرسالة يتمثل بأمرين: أحدهما اختيار السبيل الإلهيِّ، والآخر مودة ذوي القربى. والملفت أنَّ كلمة (إلَّا) وردت في كلا الآيتين أي ليس أجري سوى هذا ولا شيء غيره.

وبشيء من التأمل نصل إلى أنَّ طريق الله ﷻ ومودة أهل البيت ﷺ شيء واحد، لأنهما لو كانا اثنين لوقع التناقض، فلا يمكنك أن تقول: أنا لا أدرس

(١) سورة سبأ: الآية ٤٧.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٧.

إلا في الصيف، وتقول أيضاً: أنا لا أدرس إلا في الشتاء، لأنّ الحصر لا بدّ من أن يكون بشيء واحد.

ونبيّ الإسلام مأمورٌ من قِبَلِ الله ﷻ بأن يقول للناس، أنا لا أطلب منكم أجراً إلا أن تتخذوا سبيل الله ﷻ سبيلاً وإلا المودة للقريبى. فهذا طلب واحد وهما شيء واحد، فسبيل الله هو مودة ذوي القربى.

والمودة من جهة أخرى تتوقف على أمرين: أحدهما المعرفة؛ لأنّ الإنسان ما لم يتعرّف لا يمكنه أن يبرز المودة. والثاني الطاعة؛ لأنّ المودة مع عدم الطاعة هي رياء وتملق وكذب. إذاً من سلك طريقاً غير طريق طاعة أهل البيت ﷺ فلم يسلك سبيل الله ﷻ. هذا هو مضمون القرآن.

وأما بنظر العقل، فالعقل يرى أنّ الجزء لا بدّ من أن يكون بمقدار العمل، ولا يوزن الرسالة إلا الإمامة التي هي استمرار للرسالة، فأجر الرسالة استمرار الهداية، وأجر المعصوم أن يوكل الأمر إلى معصوم آخر، وأجر العادل أن يسلم ما بذله لعادل آخر.

والعقل يقول: ما دام اللطف قائماً فالشكر لا بدّ من أن يكون دائماً، وما دام لطف رسول الله ﷺ يشملنا اليوم وقد هدينا إلى الإسلام، فلا بدّ من أن نؤدّي أجر الرسالة، وإذا كان أجر الرسالة هو المودة في القربى، فلا بدّ من أن نضحّي لكي نتمكّن من مودّتهم وإطاعتهم. نعم، لا بدّ من أن نظهر المودة اليوم للإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وأن نكون مطيعين له. فهل يمكن أن ندّعي بأنّ مسلمي صدر الإسلام كانوا مأمورين بأداء أجر الرسالة لنبيّ الإسلام ﷺ، وأن يودّوا ذوي القربى، ولكن المسلمين اليوم لا يجب عليهم ذلك وليست هي وظيفتهم؟! نعم، مودة الإمام المهديّ (عجل الله فرجه) في زمان الغيبة تتمثل بالعمل بأوامره وأتباع من أوكل الأمر إليهم أي الفقهاء العدول المخالفين لهوهم.

ويدرك عقل الإنسان أن مودة ذوي القربى والتي هي أجر الرسالة للنبي ﷺ

الذي تحققت على يديه هداية ملايين الناس ووصولهم إلى سعادتهم وإلى فضل الله الكبير، هذه المودة تستلزم أن يكون هؤلاء الذين تجب مودتهم من المعصومين وأن يكونوا أفضل الناس؛ لأنّ مودة المذنب لا يمكن أن تكون أجراً للنبي المعصوم. ولا يمكننا تصديق أنّ مودة المذنبين والعصاة واجب على المسلمين على مرّ التاريخ. وأيُّ فرقة من المسلمين (عدا الشيعة) لا ترى العصمة لقادتها وأئمتّها كما لم يتمكّن أحد أن ينقل عن الأئمة المعصومين أنّهم ارتكبوا ذنباً، كما لم ينقل لنا التاريخ أنّه كان لهم أساتذة ومعلّمون.

العقل يقول: إيكال أمر البشر إلى غير المعصوم ظلمٌ للإنسان بل ظلمٌ لكافة عالم الوجود؛ لأنّ عالم الوجود خُلِقَ كلّهُ لأجل هذا الإنسان، (ورد في الآيات: خلق لكم، سخر لكم، متاعاً لكم)، والإنسان خُلِقَ لكي يتكامل ويقترب من الكمال اللامتناهي، أفلا يكون من الظلم إيكال أمر هذا الإنسان مع هذه الأهداف العليا التي وجد لأجلها هو من الظلم له ومن الظلم لعالم الوجود؟

والروايات وردت بأنّ ولاية المعصوم هي أساس هذا الدين، «بُني الإسلام على خمس... الولاية»<sup>(١)</sup>، وأنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو: «قسيم الجنة والنار»<sup>(٢)</sup>، وأنّ الصلاة لا تقبل دون ولاية<sup>(٣)</sup>، وأنّ مودة أهل البيت حسنة<sup>(٤)</sup>، كما ورد الأمر بزيارتهم والتوسّل بهم. إنّ هذه المضامين كلّها لأجل هذا الجوهر الكيميائيّ المسمّى بالمودة.

□ أورد الزمخشريّ والفخر الرازيّ وهم من كبار مفسّري أهل السنّة في تفسيريهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً». «من مات على حبّ آل محمد مات ثابياً». «من مات على حبّ آل محمد مات مستكمل الإيمان». «من مات على حبّ آل محمد مات على السنّة والجماعة».

(٣) المصدر نفسه، ج ٢٧، ص ١٦٧.

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤٣، ص ٣٦٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٨٦.

والآن نسأل: هل تكون المودة بدون طاعة وزان الشهادة، المغفرة، والإيمان الكامل؟

وفي تفسيريهما ذكرنا في ذيل هذه الآية هذه الرواية عن رسول الله ﷺ: «أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيَسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِرًا أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْمَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

□ ذكر الفخر الرازي في تفسيره أنّ هذه الآية عندما نزلت على النبي ﷺ سئل عن ذوي القربى الذين تجب مودّتهم فقال: «علي وفاطمة وأبناءهما»، ثم قال: «لا شك أنّ النبي ﷺ كان يحبّ فاطمة ؑ قال ﷺ: «فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها»، وعقوبة من آذى رسول الله ﷺ وردت في القرآن الكريم وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

□ ورد في الرواية عن الإمام الحسن ؑ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْرَقْ حَسَنَةً نَزَدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾، «اقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم

- ١ - بشارة الله ﷻ عظيمة وكبيرة، ﴿رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ... مَا يَشَاءُونَ... الْفَضْلُ الْكَبِيرُ... ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾.
- ٢ - علامة العبوديّة لله ﷻ الإيمان والعمل الصالح، ﴿عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٣ - سرّ نزول كافة النعم والبشارة العبوديّة لله ﷻ، الإيمان والعمل الصالح، ﴿عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا...﴾.

(٣) تفسير نمونه؛ والتفسير الصافي.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٣٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.



- ٤ - مودة ذوي القربى مصداق واضح للإيمان والعمل الصالح، ﴿يَبْتَئِرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ... إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.
- ٥ - لأن طلب الأجر من قبل الإنسان ولبسانه صعب، توجه الأمر للنبي ﷺ من الله ﷻ بإعلان ذلك للناس، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...﴾.
- ٦ - لا تمكن المودة مع عدم المعرفة؛ فأجر الرسالة هو معرفة أهل بيت النبي ﷺ ومودتهم، ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.
- ٧ - المودة دون طاعة تكون رياءً وتملقاً. (فالمودة لذوي القربى تكون بالطاعة لهم)، ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.
- ٨ - ذوو القربى معصومون؛ لأن مودة العصاة والمذنبين لا يمكن أن تكون أجراً على الرسالة، ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.
- ٩ - المودة التي تكون قرينة المعرفة والطاعة لا تستقر إلا في أهل البيت ﷺ (كلمة في تدل على أن المودة هي فقط لأهل البيت ﷺ)، ﴿فِي الْقُرْبَىٰ﴾.
- ١٠ - المودة في القربى هي طريق لاكتساب الحسنات، ﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَعْرِفْ حَسَنَةً﴾.
- ١٢ - مودة ذوي القربى حسنة، ﴿وَمَنْ يَعْرِفْ حَسَنَةً﴾.
- ١٣ - مودة ذوي القربى سبب لتلقي المزيد من الثواب والجزاء، ﴿زَرَدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾.
- ١٤ - محبة أهل بيت ﷺ باب لنيل المغفرة من الله ﷻ، ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾.
- ١٥ - إن الله ﷻ شكور لمن أدى واجبه بمودة أهل البيت ﷺ، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٤﴾

### إشارات

- كان منكرو النبوة يقولون في الرسالة وبعثة النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، وكذلك فعلوا في مسألة الإمامة.
- تذكر هذه الآية أن غضب الله ﷻ ينزل على النبي ويختتم على قلبه لو كان هذا القرآن افتراءً على الله ﷻ، وهو شبيه بما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾<sup>(١)</sup>.
- ذات الصدور الأفكار التي تكون في داخل الصدور.

### التعاليم

- ١ - بعض من أنكر أن تكون مودة أهل البيت ﷺ من الرسالة، اتهموا النبي ﷺ بأنه افترى ذلك على الله كذباً في قوله إن أجر الرسالة هو مودة ذوي القربى، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ﴾.
- ٢ - لا بدّ لتوضيح الأمور من طرح الشبهة والإجابة عنها، ﴿أَمْ يَقُولُونَ... فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ﴾.
- ٣ - لا يُقبل ما كان افتراءً من أي شخص كان، ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. (لو أن النبي افترى أدنى افتراء فإن الله ﷻ سوف يحرمه من الوحي ويفضح ذلك الكذب).
- ٤ - الختم على القلب هو من أعظم أنواع العذاب الإلهي؛ لأنه عقاب على أعظم الذنوب، ﴿افْتَرَىٰ... يَخْتِمْ﴾.
- ٥ - القلب محل تلقي الوحي الإلهي، ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. كما ورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

- ٦ - محق الباطل وإحقاق الحق سنة من السنن الإلهية، ﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾.
- ٧ - يسلي الله ﷻ نبيه ﷺ بوعده إياه بمحو الباطل وانتصار الحق وإحقاقه، ﴿يَقُولُونَ أَفَنَرَى... وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾.
- ٨ - لم يفتر النبي ﷺ على الله ﷻ، كما لم يفكر بذلك إطلاقاً؛ لأن الله ﷻ محيط وعليم بما في الصدور، ﴿إِنَّهُمْ عَلِمُوا بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

### التعاليم

- ١ - قبول توبة العاصين والعفو عنهم بيد الله ﷻ فقط، ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾.
- ٢ - لا طرق مسدودة في الإسلام وطريق العودة والإنابة مفتوح على الدوام، ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾.
- ٣ - يعفو الله ﷻ عن الذنوب جميعاً، ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾؛ (كلمة سيئات جمع وقد ورد مع الألف واللام وهذا يعني كافة الذنوب).
- ٤ - يرغب الله ﷻ عباده بالتوبة من خلال الوعد بالمغفرة، ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ... وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾.
- ٥ - لا بد من أن تكون التوبة مع العمل على التغيير في القول والفعل، وإلا كانت نفاقاً ورياء، والله يعلم بذلك، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٦)

### إشارات

- ورد عن الإمام الباقر ﷺ في هذه الآية قوله ﷺ: «هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: آمين ويقول الله العزيز الجبار: ولك مثلاً ما سألت وقد أعطيت ما سألت بحبك ليّاه»<sup>(١)</sup>.

□ ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في قوله: ﴿وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفاً في الدنيا<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - يستجيب الله ﷻ دعاء المؤمنين الذين عملوا الصالحات، ﴿وَسْتَجِيبُ﴾.
  - ٢ - شرط استجابة الدعاء الإيمان والعمل الصالح، ﴿وَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
  - ٣ - الزيادة سوف تكون من نصيب المؤمنين وهي نموذج للفضل الإلهي، ﴿وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.
  - ٤ - لا بد من أن يقترن الترغيب بالترهيب، ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ... وَيَعْمُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ... سَتَجِيبُ... وَيَزِيدُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ... وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.
- ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧)

### إشارات

- ورد في الآية السابقة أن الله ﷻ وعد باستجابة دعاء المؤمنين، وهنا يأتي السؤال عن بعض أدعية المؤمنين في طلب الرزق لماذا لا تُستجاب؟
- والجواب عن ذلك أن استجابة الدعاء تابعة للحكمة الإلهية، فقد تكون سعة الرزق باباً من أبواب الغفلة عن الله ﷻ وسبباً في الطغيان والتعدي، فكم من الناس كانت الثروة سبباً في هلاكهم.
- سؤال: إذا كانت سعة الرزق سبباً للطغيان، فلماذا وسّع الله ﷻ الرزق على بعض الناس فأدى إلى طغيانهم؟
- الجواب: السنن الإلهية متعددة وعلى مراحل. فكما أن الحدّ من الرزق لأجل

(١) تفسير مجمع البيان؛ تفسير نور الثقلين.

المنع من الفساد والطغيان هو من السنن العامة، فكذلك التوسعة في الرزق وإمهال المترفين إنما هو سنة إلهية لاختبارهم وامتحانهم. فالقانون العام تحديد الرزق؛ ولكن قد تحصل التوسعة في الرزق أحياناً لأجل اختبار الناس وامتحانهم<sup>(١)</sup>.

□ قد يكون الحد من الرزق أحياناً لأجل تربية هذا الإنسان.

### التعاليم

- ١ - كما أن العطاء الإلهي لطف فكذلك الحرمان الإلهي هو أيضاً لطف، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا﴾.
- ٢ - توزيع الفضل الإلهي يكون طبقاً للمصلحة والحكمة وليس طبقاً لميول الإنسان ورجباته، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾.
- ٣ - العلاقة الاجتماعية السليمة تتحقق في ظل الحياة المعتدلة وبقدر الحاجة، ﴿وَلَوْ بَسَطَ... لَبَغَوْا﴾.
- ٤ - لا ينبغي للمؤمن أن يسيء الظن بالله ﷻ بسبب ضيق العيش، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾.
- ٥ - الرفاهية الزائدة طغيان، ﴿وَلَوْ بَسَطَ... لَبَغَوْا﴾.
- ٦ - المشيئة الإلهية تابعة للحكمة الإلهية، ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِمَا دُوهُ خَيْرٌ بِصِيرٍ﴾.
- ٧ - رزق الناس ينزل بقدر، ﴿يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

### إشارات

□ تطلق كلمة «غوث» على المطر النافع. وأما المطر فهي أعم لأنه يُطلق على ما

كان مفيداً ونافعاً وعلى ما كان مضراً. كما قال تعالى: ﴿...أَمْطَرْتُ مَطَرَ السَّوَى...﴾<sup>(١)</sup>.

□ القنوط هو اليأس، والبث هو التوزيع والنشر.

### التعاليم

- ١ - بعد اليأس يأتي الأمل. وبعد الليل يشرق فجر الصباح، ﴿يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.
- ٢ - الملجأ الوحيد للإنسان في مصائبه هو الله ﷻ، ﴿وَهُوَ الَّذِي... مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.
- ٣ - الغيث مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، ﴿يُنْزِلُ الْغَيْثَ... وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.
- ٤ - قلة الغيث في بعض الأحيان للحد من طغيان الإنسان، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا... يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.
- ٥ - الولاية الممدوحة والدائمة هي لله ﷻ خاصة، ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.
- ٦ - خلق السموات والأرض وما بينهما نموذج من الآيات الإلهية، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾.
- ٧ - قدرة الله ﷻ على الخلق الأول دليل قدرته على البعث والحشر، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ... قَدِيرٌ﴾.
- ٨ - في السماء موجودات حية أيضاً، ﴿بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.
- ٩ - من النعم الإلهية ما بث في مناطق مختلفة من الأرض من دواب. (لو أن كافة الأغنام كانت في منطقة وكافة الأبقار في منطقة أخرى لكانت حياة الإنسان غاية في الصعوبة)، ﴿بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.
- ١٠ - تعيين زمان القيامة بيد الله ﷻ فقط، ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣١)

### إشارات

□ سؤال: إذا كانت المصائب بما كسبت أيدينا فما هو سرّ المصائب التي ابتلي بها أولياء الله ﷺ؟

الجواب: السنن الإلهية متعدّدة، ومن هذه السنن الإلهية أنّ الله ﷻ يُذيق الإنسان المصيبة على عمله السيئ وهو ما ورد في هذه الآية، ومن السنن الإلهية أيضاً فتح باب التكامل أمام الإنسان من خلال ما يعترضه في حياته من ابتلاءات ومصائب. فالمصائب والابتلاءات التي يُبتلى بها المعصوم هي لتكامله ولعلو درجته وليكون أسوةً للآخرين. وقد ورد في الحديث: «البلاء للظالم أَدَبٌ وللمؤمن ابتلاء وللأولياء درجة»<sup>(١)</sup>.

□ يشبه هذه الآية ما ورد في الآية ٤١ من سورة الروم حيث يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

### التعاليم

- ١ - بين سلوك الإنسان وما يصيبه من خيرٍ أو شرٍّ ثمّة علاقة وارتباط، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ... فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.
- ٢ - الشور والمصائب التي يُبتلى بها الإنسان هي بعضٌ من آثار ما كسبت يده الله ﷻ يعفو عن الكثير، ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.
- ٣ - للمصائب جنبه تحذير وإنذار ولو كانت انتقاماً لم يكن معنى للعفو، ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.

- ٤ - نتائج جنایات البشر ترجع إليهم ولا تأثير لها على رب العزة والجلال، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.
- ٥ - لا يمكن للإنسان أن يجعل كافة الأسباب تحت سيطرته وأن ينجو من آثار معاصيه، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.
- ٦ - السبب في كثير من المخالفات هو السعي للوصول إلى الحامي والنصير، مع أن النصير الوحيد هو الله ﷻ، ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٢) **إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلَنَّ رُؤُوسُ السُّفُنِ عَلَى ظُهُورِهِمْ إِذْ يَأْتِيهِمُ الْجَوَارُ كَالسَّارِكِينَ عَلَى سُرَابٍ مِّنْ ذَرْبِ السَّيْلِ** ﴿٣٣﴾

### إشارات

- الجواري جمع جارية وهي السفينة عند جريانها وحركتها، والمراد من قوله ﴿كَالسَّارِكِينَ﴾ السفن الكبرى أو الجبال الجليدية حال سيرها.
- لا ينبغي أن تُغفل دور الرياح في الطبيعة. فتتنفس الموجودات الحية، حركة السفن، انتقال الغيم، نمو النبات، وتعديل الهواء كله ببركة حركة الرياح، بل تشكل حركة الرياح اليوم مصدراً من مصادر الطاقة.
- وردت كلمة صَبَّارٌ في القرآن الكريم أربع مرّات، وبعدها في هذه الموارد وردت كلمة ﴿شَكُورٌ﴾، وهذا يدل على أن الصبر والشكر معاً لهما دور أساس. وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «الإيمان نصفان: فنصف في الصبر، ونصف في الشكر»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - التناسب بين ماء البحار وبين السفن من حيث الوزن والحجم هو من علامات



القدرة الإلهية، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾. فعدم غرق السفن في أعماق البحار بسبب هذا الاختلاف الذي جعله الله ﷻ بين الأجسام والأجرام.

٢ - إنما يعرف الناس قدر النعمة بعد زوالها، ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾.

٣ - ما نراه آية يراه أهل الصبر والثبات أكثر من آية، ﴿لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾.

٤ - الطبيعة ومظاهرها من الماء والريح، هي آية وعلامة لمن كان صابراً على مكاره الدنيا وشاكراً على نعمها، ﴿لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾.

﴿أَوْ يُوقِنَنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ

نَجِيصٍ ﴿٢٥﴾﴾

### إشارات

□ يوقنن من الإيباق وهو الإهلاك، وههنا كناية عن الإغراق. المحيص من الحيص وهو طريق الفرار والنجاة.

□ بدل التفكير في آيات الله ﷻ يتجه المنحرفون ناحية الجدل فيها، ففي الآيات السابقة قال تعالى: ﴿لَأَيَّتِ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾.

### التعاليم

١ - لا ينبغي أن يرى الإنسان نفسه في أمان أبداً. فالله ﷻ يقدر من أن يهلك هذا الإنسان في البرّ أو في البحر بسبب سوء عمله، ﴿أَوْ يُوقِنَنَّ﴾.

٢ - تكفي بعض الذنوب لكي يكتب علينا الهلاك، ﴿يُوقِنَنَّ... وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾.

٣ - اللطف الإلهي يغلب على الغضب، ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾.

٤ - العقوبة والعفو بيد الله ﷻ، ﴿يُوقِنَنَّ... وَيَعْفُ﴾.

٥ - من يستبدل الإيمان بالقدرة الإلهية بتفسير ظواهر الطبيعة بالتحليل الماديّ سوف لن يجد أنّ له من مفرّ عند نزول العذاب الإلهي، ﴿يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِنَا... مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾.

٦ - يُحَرِّمُ الْكُفَّارَ الْمُعَانِدُونَ مِنَ الْعَفْوِ الْإِلَهِيِّ، ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ... مَا لَهُمْ مِنْ نَجْمٍ﴾.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

### إشارات

□ كان الحديث في الآية السابقة عن الجدل، وكأن هذه الآية أرادت أن تبين أن سبب الجدل هو التعلق بالدنيا التي هي متاع قليل.

### التعاليم

- ١ - إن ما عندنا ليس من عندنا؛ بل هو من لطف الله ﷻ بنا، ﴿أُوتِيتُمْ﴾.
- ٢ - إن ما عندنا ليس بشيء حتى تتعلق به قلوبنا؛ بل إن كل عالم الوجود ليس بشيء، ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ... فَمَنْعُ الْحَيَاةِ﴾.
- ٣ - مع أن الله ﷻ هو الواهب للدنيا والآخرة؛ ولكنه يصف الآخرة فقط بأنها من عنده، ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.
- ٤ - إن ما يضحى به الإنسان المؤمن في هذه الدنيا، يُبدله الله ﷻ خيراً منه في الآخرة، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.
- ٥ - الدنيا تُعطى للجميع، ﴿أُوتِيتُمْ﴾.
- ٦ - الآخرة تختص بالمؤمنين المتوكلين، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.
- ٧ - الدنيا تنفى بسرعة وما عند الله أبقى، ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ... وَأَبْقَى﴾.
- ٨ - التوكل صفة دائمة في المؤمن، ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

### إشارات

□ تعرّضت الآية السابقة للحديث عن الإيمان والتوكل وهما فعلا من أفعال القلب. وفي هذه الآية الحديث عن أفعال الجوارح.

□ ما هي الذنوب الكبيرة؟

□ يذكر الإمام الخميني (قدس سره) في تحرير الوسيلة عند بيانه لشروط إمام الجماعة التالي: «وأما الكبائر فهي كلّ معصية ورد التوعيد عليها بالنار أو بالعقاب، أو شدد عليها تشديداً عظيماً، أو دلّ دليل على كونها أكبر من بعض الكبائر أو مثله، أو حكم العقل على أنها كبيرة، أو كان في ارتكاز المتشرعة كذلك، أو ورد النصّ بكونها كبيرة، وهي كثيرة: منها اليأس من روح الله، والأمن من مكروه والكذب عليه أو على رسوله وأوصيائه عليهم السلام، وقتل النفس التي حرّمها الله إلّا بالحق، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وقطيعة الرحم، والسحر، والزنا، واللواط، والسرقة، واليمين الغموس، وكتمان الشهادة، وشهادة الزور، ونقض العهد، والحيث في الوصية، وشرب الخمر، وأكل الربا، وأكل السحت، والقمار، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله من غير ضرورة، والبخس في المكيال والميزان، والتعرب بعد الهجرة، ومعونة الظالمين، والركون إليهم، وحبس الحقوق من غير عذر، والكذب، والكبر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والغيبة، والنميمة، والاشتغال بالملاهي».

### التعاليم

- ١ - شرط نزول النعم الإلهية العظيمة وذات الأهمية مضافاً إلى الإيمان والتوكل، الابتعاد عن الذنوب والتحكّم بالشهوات وبالغضب، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ... وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ﴾.
- ٢ - تطهير الذات أول خطوة في الإصلاح، ثم بعد ذلك يبدأ بناء الذات وبناء المجتمع، ﴿يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾.
- ٣ - الشهوة والغضب هما منشأ الكثير من الذنوب؛ لذا لا بدّ أولاً من الابتعاد عن الشهوات ثم الحذر عند الغضب، ﴿يَحْتَبُونَ... وَالْفَوَاحِشَ إِذَا مَا عَضِبُوا﴾.
- ٤ - بتقوى الله تعالى والاجتناب عن الذنوب يمكن تقوية العلاقة بالله، ومن خلال العفو عند الغضب يمكن تقوية العلاقة بالناس، ﴿يَحْتَبُونَ... يَغْفِرُونَ﴾.

- ٥ - الكمالات تكون ذات قيمة إذا أصبحت سيرة وأسلوباً في حياة الإنسان، ﴿يَجْتَنِبُونَ... يَفِرُونَ﴾ (مجيء الكلمات بصيغة المضارع).
- ٦ - المؤمن يسيطر على نفسه، ﴿يَجْتَنِبُونَ... يَفِرُونَ﴾.
- ٧ - الغضب غريزة ولكن التحكم بها ضروري، ﴿عَضِبُوا﴾.
- ٨ - المؤمن إذا غضب عفا من ذاته، لا بسبب تدخل الآخرين، ﴿هُمْ يَفِرُونَ﴾.
- ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا
- أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

## إشارات

□ اشترط طلحة والزبير على الإمام علي عليه السلام أن يبايعاه على: «أن لا تقتضي الأمور ولا تقطعها دوننا وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبدّ بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا على ما قد علمت». فأجابهما الإمام عليه السلام: «نظرت في كتاب الله وستة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته ولم أحتج إلى رأيكما فيه، ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه، ولا في السنة برهانه واحتج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه»<sup>(١)</sup>.

□ تؤكد الآية ٣٨ على الشورى في إدارة أمور المجتمع، ولذا أطلق على هذه السورة (سورة الشورى). ونتعرّض هنا لبعض الروايات الواردة في مسألة الشورى<sup>(٢)</sup>.

- «شاورة العلماء الصالحين».

- «واجعل مشورتك من يخاف الله».

- «شاورة المتقين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا».

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٥.

- «خير من شاورت ذوي النهي والعلم وأولو التجارب والحزم».
- «لا تدخلن في مشورتك بخيلاً ولا جباناً ولا حريصاً».
- «رأي الرجل على قدر تجربته».
- «أن يكون حرّاً متديّناً صديقاً وأن تطلعه على سرّك».
- «مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله».
- «شاور في أمورك من فيه خمس خصال: عقل، وعلم، وتجربة، ونصح، وتقوى».

□ سؤال: لماذا ورد النهي في الكتاب ٣١ من نهج البلاغة النهي عن مشورة النساء؟

الجواب: المشورة لا ترتبط بجنس المستشار، بل تتبع ملاكاً ومعياراً عاماً. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «فإن رأيهن إلى أفن»<sup>(١)</sup>، فإن المرأة ونظراً لكون العاطفة والأحاسيس تغلب عندها على العقل والرأي المستدل. ولذا ورد في حديث آخر: «إياك ومشاورة النساء، إلا من جرّبت بكمال عقل»<sup>(٢)</sup>؛ لذا فإن سبب النهي عن مشورة النساء هو ضعف رأيهن، وإذا كان الرجل كذلك فهو أيضاً ممن لا يُستشار.

□ سؤال: ورد في القرآن الكريم ذم أكثر الناس فقال تعالى: ﴿...أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، فكيف يُوصي بمشورة الناس؟

الجواب: إن الأكثرية التي يصفها القرآن بهذا هي أكثر الناس الذين يقعون في الشرك والفساد وأتباع الهوى وليس مراد (أكثر المتقين) ولا (أكثر المؤمنين).

□ فوائد المشورة:

- قليل احتمال الخطأ.

- 
- (١) نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ص ٤٠٥. (٤) سورة الانعام: الآية ٣٧.  
 (٢) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٥٣. (٥) سورة التوبة: الآية ٨.  
 (٣) سورة المائدة: الآية ١٠٣. (٦) سورة المؤمنون: الآية ٧٠.

- تنمية الاستعدادات.
- مانع من الاستبداد.
- مانع من حسد الآخرين. فإذا شاورنا الآخرين فإنَّهم يعتقدون بأنَّ ما نصل إليه هو بسبب ما اقترحوه من رأي ولذا لا يقعون في الحسد. فالابن الذي ينمو لا يحسده الأب لأنَّه يرى ذلك منه.
- المدد الإلهي يأتي مع المشورة، ولذا اشتهر في ثقافتنا الدينية «يد الله مع الجماعة».
- الاستفادة ممَّا يقدمه الآخرون من رأي لأنَّ من شاور الرجال شاركهم في عقولهم.
- في المشورة نوع من الاحترام للناس، فالمشورة وإن لم تقدِّم شيئاً جديداً للإنسان ولكنها تدلُّ على احترام الناس.
- المشورة وسيلة لمعرفة الآخرين، فلا يُعرف الرجل حتَّى يتحدَّث لأنَّ المرء مخبوء تحت لسانه.
- من خلال المشورة يمكن معرفة مدى العلم الذي يملكه الناس ومدى التزامهم وإبداعهم.

□ سؤال: هل مشورة النبي ﷺ أمر شكلي فقط؟

الجواب: لا، لأنَّه لو استشار الناس وعمل بخلاف ذلك فإنَّ في هذا مضافاً إلى عدم الاحترام جرحاً لمشاعر الناس.

والنبي ﷺ شاور الناس في معارك بدر، أحد، الخندق، الحديبية، غزوة بني قريظة وبني النضير وفتح مكة وغزوة تبوك.

□ المشورة لا تكون إلَّا في المسائل التي تتعلَّق بالناس، فلا تصحَّ المشورة في الأمور التي تتعلَّق بالله ﷻ كالبعثة، الإمامة والعبادة. فالصلاة عهد من الله ﷻ «الصلاة عهد الله»، ولا مشورة في عهد الله بل لا بدَّ من الوفاء بهذا العهد. وكذلك الإمامة والنبوة فإنَّها عهدٌ إلهي؛ ولذا عندما طلب إبراهيم من ربِّه أن

يجعل الإمامة في ذريته، جاءه الجواب: لا ينال عهدي الظالمين، إذاً لا بد من التسليم لقائد الأمة ولذا قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فالإمامة اختيار إلهي.

□ الإسلام دين جامع وكامل وقد اشتمل على كافة الأمور:

- في المسائل العقائدية: ﴿ءَامِنُوا... يَتَوَكَّلُوا﴾.
- في المسائل الأخلاقية: ﴿يَحْتَنِبُونَ... يَتَّقُونَ﴾.
- في المسائل الاجتماعية: ﴿شُرَى يَنْتَهُمُ﴾.
- في المسائل العبادية: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.
- في المسائل الاقتصادية: ﴿يُنْفِقُونَ﴾.
- في المسائل السياسية والعسكرية: ﴿يَنْصُرُونَ﴾.
- والملفت هنا أنها جميعاً وردت بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

### التعاليم

- ١ - كُتِبَ لأهل الصلاة والإنفاق نِعَمٌ خير وأبقى في يوم القيامة، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى... وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا...﴾.
- ٢ - تذكر الربوبية الإلهية سبب لإقدام الناس على امتثال الأوامر الإلهية، ﴿اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾.
- ٣ - إجابة دعوة الله ﷻ تكون بالعمل لا بالأدعاء، ﴿اسْتَجَابُوا... وَأَقَامُوا﴾.
- ٤ - سلوك سبيل الله يتوقف على التحكّم بالغرائز ورفع الموانع، ﴿يَحْتَنِبُونَ... يَتَّقُونَ... اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾.
- ٥ - المؤمن غير مستبدّ، وليس انعزالياً، بل يتعامل باحترام مع رأي الآخرين، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.
- ٦ - ما أوصي به إقامة الصلاة لا مجرد أداء الصلاة (أي الإتيان بالصلاة مع تمام شروطها)، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

٧ - للصلاة أهميتها الخاصة من بين سائر العبادات. (فعلى الرغم من أن الصلاة هي أحد الأمور الموجبة للاستجابة لرب العزة، ولكنه خصّها بالذكر)، ﴿اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

٨ - الشورى والمشورة ترتبط بالأمور الاجتماعية للناس ولا ترتبط بالأحكام والتكاليف الدينية، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

٩ - لا تشاور الغرباء، ﴿يَنْتَهُمُ﴾.

١٠ - الإنفاق لا يكون بالمال فقط، بل لا بدّ من تقديم العون للآخرين بالعلم والجاه والسلطة، ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

١١ - على المنفق أن يعلم بأنّ ما يُنفقه هو من عند الله ﷻ لا من عند نفسه، ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾.

١٢ - الصلاة باب لمحو التكبر، والمشاورة لمحو الاستبداد، والإنفاق لمحو البخل، ﴿الصَّلَاةَ، شُورَى، يُفْقُونَ﴾.

١٣ - الدفاع واجب، ولو بالاستعانة بالمؤمنين، والسكوت والرضا بالظلم ممنوع، ﴿يَنْصِرُونَ﴾.

١٤ - لا بدّ من العفو والصفح في ما يتعلّق بأمور الذّات، ولا بدّ من الانتصار والدّفاع في مقابل الظلمة، ﴿يَغْفِرُونَ... يَنْصِرُونَ﴾.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ❶ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ❷﴾

### إشارات

□ وردت عبارة ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ مرتين، مرّة في سورة النساء الآية ١٠٠، في شأن المهاجرين المخلصين، والمرّة الثانية في هذه الآية في شأن العفو عن إساءات الناس، وبهذا يُعلم بأنّ العفو والإصلاح موازٍ لأجر الهجرة في سبيل الله.



□ مبدأ المماثلة في الإسلام: لَمَّا كانت قوانين الإسلام موافقةً للعقل والفطرة والعدل، فقد ورد التصريح وفي موارد مختلفة بالمساواة والمقابلة بالمثل ونعرض هنا بعضاً من نماذج ذلك.

- \* ﴿...فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ يَوْمَ يُبْتَلَىٰ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.
- \* ﴿...وَلَكِنَّ يَوْمَ يَكُونُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.
- \* ﴿...وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِمَا كُنْتُمْ تُحْيِيهَا فَإِذَا هِيَ كَالْحَبِّ ذُرَّةٍ وَالنَّارُ شَرُّ دَارٍ﴾<sup>(٣)</sup>.
- \* ﴿وَلَا يَنْصَرِفُ حَتَّىٰ يَدْفَعَهَا إِلَىٰ ظِلٍّ مِّنْ عِشْرِ النَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

#### نماذج المماثلة في السنن الإلهية:

- \* ﴿وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرَ اللَّهُ﴾<sup>(٥)</sup>.
- \* ﴿...يُخْلِقُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَلِيقُهُمْ...﴾<sup>(٦)</sup>.
- \* ﴿...إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ...﴾<sup>(٧)</sup>.
- \* ﴿...تَسْأَلُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ...﴾<sup>(٨)</sup>.
- \* ﴿...فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ...﴾<sup>(٩)</sup>.
- \* ﴿...وَأَن عُدَّتُمْ عِدَّتًا...﴾<sup>(١٠)</sup>.
- \* ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُنُوبُهُمْ...﴾<sup>(١١)</sup>.
- \* ﴿...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾<sup>(١٢)</sup>.
- \* الذين قالوا في الحياة الدنيا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظَّمْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ

(٧) سورة البقرة: الآيتان ١٤ - ١٥.

(٨) سورة الحشر: الآية ١٩.

(٩) سورة الصف: الآية ٥.

(١٠) سورة الإسراء: الآية ٨.

(١١) سورة يونس: الآية ٢٦.

(١٢) سورة المائدة: الآية ١١٩.

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٩.

(٢) السورة نفسها: الآية ٢٢٨.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٥.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٤.

(٦) سورة النساء: الآية ١٤٢.

﴿أَوَعِظِينَ﴾<sup>(١)</sup> يقولون في يوم القيامة: ﴿...سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُكُمْ أَمْ صَبَرْنَا...﴾<sup>(٢)</sup>.

\* ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ...﴾<sup>(٣)</sup>.

\* ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.

\* إذا كان الأمر الإلهي: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٥)</sup> ففي المقابل يأمر النبي ﷺ بقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

### التعاليم

١ - الانتقام العادل مقابل العنف أمرٌ جائز، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

٢ - العفو والإصلاح ممّن يملك القدرة على الانتقام يترتب عليه ثواب جليل، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

٣ - القصاص والمجازاة لا بدّ من أن يكونا مساويان للجناية. (حذراً من الإفراط أو التفریط)، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

٤ - المقدم هو إصلاح ما مضى، وعند الانتقام والمجازاة لا مجال للإصلاح، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾.

٥ - لا يكفي العفو عن الآخرين لا بدّ من الإصلاح، ﴿عَفَا وَأَصْلَحَ﴾.

٦ - لا يكفي التعامل بالقانون فقط، بل لا بدّ من الاخلاق والعاطفة أيضاً، ﴿سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وهذا قانون عام، ﴿عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ وهذا عاطفة وأخلاق.

٧ - تلقّي الأجر الإلهي يتوقّف على العفو والإصلاح لا الانتقام، ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

٨ - لا ثواب على الانتقام، ولكن في العفو ثواب، ﴿فَمَنْ عَفَا... فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٣.

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٦.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢١.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

٩ - الترغيب في العفو والإصلاح ليس من باب الدِّفاع عن الظالم، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْقَلِيلِينَ﴾.

١٠ - لا يحب الله ﷻ الظالم، سواء ظلم ابتداءً أو تجاوز الحد في الانتقام، ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْقَلِيلِينَ﴾.

١١ - الانتقام هو مَن يملك القدرة على ذلك، ومن لا يملك القدرة فله أن يستمد العون من غيره، ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾.

١٢ - ليس من العدل القصاص قبل الجناية، ﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ...﴾.

١٣ - الانتقام من الظالم حقٌّ إنساني مشروع فلا عقاب عليه في الدنيا ولا في الآخرة، ﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

### إشارات

□ ورد في الآية ٩١ من سورة التوبة قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾. وفي الآية السابقة ورد أنه ليس على المظلوم من سبيل، والآن تتحدث الآية عن أن السبيل على الظالم.

□ يبدو أن كلمة الظلم ترتبط بالأشرار سواء أكانوا عاديين أو كانوا فقراء، وأما كلمة البغي فتتعلق بالمتأمرين والمستعمرين.

### التعاليم

١ - التعدي على حقوق الناس منهي عنه (حتى غير المسلمين وبأي نحو كان)، وفاعله محاسبٌ وعليه عقاب، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾.

٢ - يجب التشهير بالظلم الذي يترتب عليه الفتنة والفساد الاجتماعي، ﴿يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

- ٣ - إِنَّ وظيفة الناس في هذه الدنيا وإن كانت التشهير بالظلم والانتصار عليه ولكن الله ﷻ أيضاً سيجازي الظالمين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
- ٤ - العفو عن الظالم ليس أمراً سهلاً ويسيراً، بل لا بد فيه من العزم والتصميم وقوة الإرادة، ﴿مِنْ عَزْرِ الْأُمُورِ﴾.
- ٥ - يوصي القرآن الكريم بالعفو والصفح لا بالانتقام، ﴿وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْرٌ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْرِ الْأُمُورِ﴾.
- ٦ - أهل العفو هم أهل الصبر. (كلمة صبر وردت قبل كلمة مغفرة)، ﴿وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْرٌ﴾.
- ٧ - الصبر والعفو هو من الصفات الحسنة في الإنسان، ﴿وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْرٌ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْرِ الْأُمُورِ﴾.
- ٨ - الإسلام دين جامع فهو يقرّ حق المظلوم، ويفتح طريق العفو والصفح أيضاً، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَلَكِنْ صَبْرٌ وَعَفْرٌ﴾.
- ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَّةٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾﴾

## إشارات

□ نسبت بعض الآيات الإضلال إلى الله ﷻ ولكن ورد في آياتٍ أخرى ما يفسّر ذلك :

- ﴿...يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾<sup>(١)</sup>.
- ﴿...وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ﴿...وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ﴿...يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(١) سورة غافر: الآية ٣٤.

(٤) سورة غافر: الآية ٧٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦.

وبعبارة أخرى، لا وجود للإضلال الابتدائي، ولكن ههنا إضلال العقوبة،  
فالله ﷻ يضلّ من يكون مسرفاً، كافراً، وفاسقاً.

### التعاليم

- ١ - التعدي على حقوق الناس سبب للحرمان من الهداية وموجب للسقوط في وادي الضلال والخسران والحسرة، ﴿يُضِلُّونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ... وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ... هَلْ إِلَى مَرَرٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.
  - ٢ - على الظالمين والمنحرفين أن يعلموا بأنه ليس لأي أحد ولا لأي قدرة أن تنقذهم من العذاب، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾.
  - ٣ - الاطلاع على أخبار القيامة غير ممكن إلا عن طريق الوحي، ﴿تَرَى الْقَالِيلِينَ﴾.
  - ٤ - على خلاف أهل الجنة الذين ينالون كل ما تشتهيهم أنفسهم: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛ فإن أهل جهنم لا ينالون آمالهم، ﴿هَلْ إِلَى مَرَرٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.
- ﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الْقَالِيلِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

### إشارات

□ تعرّضت الآيتان السابقتان لإضلال الله ﷻ للظالمين، وفي هذه الآية مزيد من التهديد والوعيد، من ذلك أنّ الله ﷻ بعد أن قال: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾، يقول في هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ﴾، فلا جماعة له ينصرونه.

## التعاليم

- ١ - مستكبرو اليوم هم أذلاء الغد، ﴿تَرْتَهُمْ... خَشِعِينَ مِنَ الذَّلِّ﴾.
- ٢ - وحشة القيامة تسلب من المذنبين القدرة على الرؤية، ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾.
- ٣ - قد يكون الإنسان من العصاة والمذنبين، ولكن بالنظر إلى أن ولده نال الكمالات، قد يكون ذلك سبباً لنجاته. والخاسر الحقيقي هو الذي لم ينج نفسه ولا ولد صالح له، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾.
- ٤ - الخاسر الحقيقي هو الذي خسر نفسه وعمره، ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾؛ ولا يمكنه العودة ولا جبران ذلك، ﴿يَوْمَ الْفِتْنَةِ﴾.
- ٥ - أهل الإيمان في يوم القيامة أعزاء وذوو شأن بنحو يوجهون ذمهم للظالمين، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْغَاسِقِينَ...﴾؛ (لعل هؤلاء المؤمنين الذين يقولون هذا للظالم هم أولئك الذين مارس عليهم ظلمه).
- ٦ - سرد أحداث يوم القيامة ينبئ الناس من غفلتهم، ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾؛ (كلمة ألا للتنبيه والتحذير).

﴿اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ (٤٧)

## إشارات

□ في المراد من قوله: ﴿يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ احتمالان:

أ - لا عودة للظالمين إلى هذه الدنيا.

ب - ذلك اليوم حتمي لا تراجع فيه.

## التعاليم

- ١ - ما يحفظ الإنسان من الخسران هو اتباع الأنبياء. (في الآيات السابقة كان

الحديث عن الخاسرين، وفي هذه الآية يذكر أنّ علاج ذلك في طاعة الله، ﴿أَسْتَجِبُوا لِرَبِّكُمْ﴾.

٢ - الاستجابة للأوامر الإلهية سبب لتربية نفوسنا فلا بدّ من أن نستمع لكلام المربي، ﴿أَسْتَجِبُوا لِرَبِّكُمْ﴾.

٣ - ربوبية الله ﷻ لهذا الإنسان هي الداعي للاستجابة لدعوته، ﴿أَسْتَجِبُوا لِرَبِّكُمْ﴾.

٤ - لا بدّ من علاج المشكلة قبل وقوعها؛ (لا تضيع الفرصة)، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحَ بِهَا وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِنَةً يَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (٤٨)

### إشارات

□ إعراض الناس لا يكون دائماً بسبب طريقة عمل القادة والمسؤولين، فحتى لو كان المبلغ هو المعصوم فإنّ بعض الناس يُعرضون.

### التعاليم

١ - ينبغي لمن يقود المجتمع أن يتوقع إعراض الناس عن الدين، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾.

٢ - مسؤولية النبي ﷺ إبلاغ الرسالة لا إجبار الناس على الإيمان بها، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾.

٣ - النعم كلّها من الله ﷻ فلا ينبغي لنا الغفلة عن الله ﷻ، ﴿أَذَقْنَا... مِنَّا رَحْمَةً﴾.

٤ - إبلاغ الدين واجب على النبي ﷺ وإن لم يؤمن به بعض الناس، ﴿إِنْ عَلَيَّ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾.

٥ - ملذّات هذه الدنيا هي بحدّ التذوّق فقط، ﴿أَذَقْنَا... رَحْمَةً﴾.

٦ - الرحمة مهما كانت فهي من عند الله ﷻ، ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾.

٧ - الإنسان موجود محدود القابليّات، ﴿أَذَقْنَا... رَحْمَةً فَحَرَّحَ بِهَا﴾.

٨ - الرحمة من الله ﷻ وأما المصائب فهي نتاج عمل الإنسان، ﴿وَمِنَّا رَحْمَةٌ... سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٩ - لا بد من أن نذكر الله ﷻ عند المصائب وإلا لكنّا مستحقّين للوم والذم، ﴿نُصِيبُهُمْ سَيِّئَةً يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ٥٠﴾

### إشارات

□ حيث كان العرب يفضلون الذكر على الأنثى، وردت الآية بكلمة يهب في خلقه كل من الذكر والأنثى وذلك لكي يُعلمهم بأن الذكر والأنثى هبة من الله ﷻ، ومجيء كلمة ذكور معرفة بالآلف واللام للإشارة إلى أنّ هؤلاء الذكور هم أيضاً هبة من الله ﷻ.

□ المراد من قوله تعالى: ﴿...يُزَوِّجُهُمْ﴾ أنّ الله ﷻ أحياناً يُعطي توأماً من ذكر وأنثى<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

١ - لا تأثير لكفر الناس وعدم توجّهم بالشكر لله ﷻ على الحاكمية الإلهية، ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ...﴾.

٢ - الولد، هبة من الله ﷻ، ﴿يَهَبُ﴾.

٣ - أوكل أمر كون المولود ذكراً أو أنثى إلى الله ﷻ فهو العليم، ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا... عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

٤ - مثال السلطة الإلهية المطلقة يظهر في أنّ الله ﷻ يهب لمن يشاء إنثاً ويهب لمن يشاء الذكور، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ... يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.



- ٥ - إظهار التذمر مما يهبك الله من ولدٍ ذكراً كان أم أنثى دليل على الكفر بنعمة الله ﷻ، ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ... يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾.
- ٦ - الله ﷻ دائماً في حالة خلق مستمر، ﴿يَهْبُ... يَخْلُقُ... يَشَاءُ﴾؛ (الفعل المضارع فيه دلالة على الاستمرار).
- ٧ - كون الإنسان عقيماً أو كونه ذا ولد مثال للعلم والقدرة الإلهية، ﴿يَهْبُ... إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ﴾.
- ٨ - ليس العقم بدليل على عدم القدرة الإلهية، ﴿عَقِيماً... قَدِيرٌ﴾.
- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَتِيدٍ﴾

### إشارات

□ نزول الوحي على الأنبياء يتم عبر أنحاء ثلاثة:

- أ - الإلقاء المباشر على قلب النبي.
- ب - الاستماع من وراء حجاب (كالشجرة مثلاً).
- ج - عن طريق ملك الوحي (جبرائيل).

### التعاليم

- ١ - الوحي يأتي من عند الله ﷻ وليس بطلبٍ من البشر، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ...﴾.
- ٢ - يمكن للبشر أن يكلمهم الله ﷻ، ﴿يُكَلِّمُهُ اللَّهُ﴾.
- ٣ - مضمون الوحي ومقداره بيد الله ﷻ، ﴿مَا يَشَاءُ﴾.
- ٤ - الوحي من عند الله ﷻ ووفقاً للحكمة، ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا  
نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

## إشارات

□ تبدأ هذه السورة بآية تتحدث عن الرحي، ﴿حَمِّمَ، عَسَقَ، كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾؛  
كما تنتهي بالحديث عن الرحي: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

□ المراد من الروح في هذه الآية هو «الروح الأمين» بناء على قول. وقال  
آخرون: إنه ملك أعلى من سائر الملائكة مرافق لها، كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ  
الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾<sup>(١)</sup>. وذهب بعضهم إلى أنه القرآن وهو الأولى بلحاظ  
المعنى.

□ الروح هي أساس حياة الإنسان، والقرآن هو رمز الحياة المعنوية للإنسان. فكما  
أن الجسم يتعفن بدون الروح ويفنى فكذلك حال المجتمع بدون الكتاب  
والقرآن فإنه يكون في معرض الزوال والاضمحلال. وكما أن حقيقة الروح لا  
يُمكن إدراكها، فكذلك حقيقة القرآن لا يُمكن إدراكها، وكما أن الروح لا  
توصف بأنها قديمة وجديدة فكذلك القرآن لا يوصف بأنه قديم.

□ ورد عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «لقد قرن الله به ﷺ من لدن كان  
فطيما أعظم ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن الأخلاق ليله ونهاره»<sup>(٢)</sup>.  
وبناء عليه فليس المراد من جملة ولا الإيمان أن النبي ﷺ كان ضالاً أو أنه لم  
يكن مؤمناً قبل البعثة، بل المراد من ذلك علم النبي بجزئيات وتفاصيل التعاليم  
الدينية.

□ تتوقف الحركة المعنوية للإنسان على مجموعة من الأمور منها: الطريق،  
﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، الدليل، ﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ﴾، النور، ﴿جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾، الخطة،  
﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، والهدف والمقصد، ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾.

(١) سورة القدر: الآية ٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

## التعاليم

- ١ - الوحي المنزل على النبي ﷺ هو استمرار للوحي المنزل على الأنبياء السابقين، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.
- ٢ - أنحاء الوحي الثلاثة المتقدمة كانت للنبي ﷺ، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.
- ٣ - نبي الإسلام أمي لم يدرس على أحد، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ﴾.
- ٤ - حتى الأنبياء لا يمكنهم التقدم في الكمال بدون الهداية الإلهية، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي...﴾.
- ٥ - الصفاء والصدق علامة النبوة. فالقادة العاديون لا يمكنهم أن يحدثوا الناس عن تاريخهم بهذه الصراحة، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي...﴾.
- ٦ - الهداية وإن كانت بيد الله: ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾، ولكن قابلية الهداية تتوقف على روح العبودية والابتعاد عن التكبر، ﴿عِبَادَنَا﴾.
- ٧ - من يرغب في العمل على هداية الآخرين لا بد من أن يكون مسلطاً على طريق الحق: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
- ٨ - القرآن والرسول وسيلتان لهداية الناس، ﴿نُورًا تَهْدِي بِهِ... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾.
- ٩ - المعيار هو اللياقة الفعلية لدى الأفراد، وإن كانوا سابقاً لا يملكون شيئاً من ذلك، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾.
- ١٠ - التكامل موجود حتى لدى الأنبياء ﷺ، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾.
- ١١ - إذا كان اللطف الإلهي شاملاً لحال الإنسان، فالجاهل بالأمس يكون معلماً اليوم، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾.
- ١٢ - القرآن لا يكفي وحده، فعلى الرغم من كون القرآن نوراً وهدى، ﴿نُورًا تَهْدِي بِهِ...﴾؛ ولكن الحاجة إلى الرسول فعلية، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾.

- ١٣ - الصراط المستقيم هو صراط الله ﷻ. (الطرق غير الإلهية عاجزة عن تحديد الصراط المستقيم للبشر)، ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، صِرَاطُ اللَّهِ﴾.
- ١٤ - صراط الذي له ملك السموات والأرض، ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ...﴾.
- ١٥ - أهل الإيمان فرحون وأما أهل الكفر والعناد فإنهم حذرون من مصيرهم الذي هو بيد الله ﷻ، ﴿إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾.
- ١٦ - حركة عالم الوجود حركة هادفة وتكاملية، ﴿إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ﴾.

والحمد لله رب العالمين،





# سُورَةُ الْاٰخِرَةِ

السورة: ٤٣ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٨٩





## ملاحح السورة الزخرف

تحتوي هذه السورة على تسع وثمانين آية وآياتها مكّية عدا الآية ٤٥ ، اسم هذه السورة مأخوذ من الآية ٣٥ والتي وردت فيها كلمة (زخرف)، وهي بمعنى الذهب والفضة التي تُستخدم للزينة.

تتحدّث آيات هذه السورة عن القرآن والنبوة، وردّة فعل منكري النبوة، وأدلة التوحيد ومواجهة الشرك وبيان شيء من تاريخ الأنبياء ومشاهد يوم القيامة. والملفت هنا أنّ سبع سور متتالية تبدأ بالحروف المقطعة (حم). وهي السور الآتية: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية والأحقاف. وهي التي يُطلق عليها الحواميم السبعة أو سور آل حم.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَكْتَابِ لَذِينَ لَعَلُّ حَكِيمٌ ۝٤﴾

### إشارات

□ خصائص القرآن الكريم بما هو كتاب سماويّ تتمثل بالتالي:

- «مبين».

- «في أمّ الكتاب».

- «لدينا».

- «عليّ».

- «حكيم».

□ كلمة قرآن هي من قرأ وتعني بالعربية «الكتاب المقروء».

□ كلمة عربيّ من العرب بمعنى الواضح البين. والمراد من لسان عربيّ أي لسان واضح بين لا إبهام فيه.

### التعاليم

١ - بين الحروف المقطعة ونزول القرآن علاقة. فهذا الكتاب مؤلف من هذه الحروف العربية المعروفة، ﴿حَمْدٌ، وَالْكِتَابِ﴾.

٢ - القرآن الكريم مقدّس ويصحّ الحلف به، ﴿وَالْكِتَابِ﴾.

٣ - يجوز الحلف بغير الله ﷻ، ﴿وَالْكِتَابِ﴾.

٤ - وإن كانت بعض آيات القرآن الكريم من المتشابه ولكن غالب آياته هي من الواضح البين القابل للفهم، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

٥ - يؤكّد القرآن الكريم على كونه أنزل بلسان عربيّ، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾.

- ٦ - اختيار سبيل الله ﷻ لا بد من أن يكون من خلال التعقل لا التعبد، ﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.
- ٧ - وظيفتنا الدعوة وتبليغ الدين وإن كنا في حالة شك وترديد في إيمان الناس به، ﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.
- ٨ - كافة الكتب السماوية ترجع إلى كتاب واحد هو بمثابة أم الكتاب، ﴿وَلِئْلَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾.
- ٩ - حقيقة القرآن هي في اللوح المحفوظ عند الله ﷻ، ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾.
- ١٠ - كل من كان من أهل التعقل فإنه سوف ينتفع من القرآن الكريم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.
- ١١ - لن تصل يد البشر إلى كافة المعارف القرآنية العليا، ﴿لَعَلَّيْ﴾.
- ١٢ - مرور الأيام وتطور العلوم البشرية لا يُنقص من إحكام القرآن شيئاً، ﴿حَكِيمٌ﴾.
- ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ ٥ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ٨﴾

## إشارات

- الصفح بمعنى الإعراض بالوجه، والبطش هو بمعنى الأخذ بقوة وشدة.
- يُطلق الإسراف في الاستخدام القرآني على كل فعل يؤدي إلى إهدار النعمة الإلهية؛ لذا أُطلق على هؤلاء الذين لم يبالوا بهذا الكتاب السماوي تسمية المرفين.

## التعاليم

- ١ - وجود بعض المعوقات لا ينبغي أن يكون مانعاً من بث ما هو خير، ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ...﴾.

- ٢ - القرآن وسيلة للتنبيه من الغفلة، ﴿الذِّكْرُ﴾.
- ٣ - اللامبالاة من التذكير الإلهي مصداق من مصاديق الإسراف، ﴿كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾.
- ٤ - بعثة الأنبياء سنة من السنن الإلهية، ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا... فِي الْأَوَّلِينَ﴾.
- ٥ - كافة الأنبياء عانوا من استهزاء المنكرين، ولا بد لكل نبي من أن يكون مطلعاً على ما جرى على الأنبياء السابقين، لكي لا يتوقف عن الدعوة بسبب قيام جماعة من الناس بمواجهة دعوته بالاستهزاء، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ٦ - الأنبياء كانوا يبادرون نحو الناس، ﴿يَأْتِيهِمْ﴾.
- ٧ - الاطلاع على ما واجهه الآخرون من مشاكل سبب لتسليّة القلب ونوع من الدعم المعنوي، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ... يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ٨ - الاستهزاء أسلوب دائم يعتمد منه منكرو النبوات، ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.
- ٩ - لا بدّ أولاً من إتمام الحجّة، وبعد ذلك تكون معاقبة المعاندين، ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ... أَهْلَكْنَا﴾.
- ١٠ - الاستهزاء بأولياء الله ﷺ سبب للهلاك والفناء، ﴿يَسْتَهْزِئُونَ... أَهْلَكْنَا﴾.
- ١١ - لا بدّ من تقديم الحماية للأفراد الذين يملكون مؤهلات القيام بالعمل التبليغي، ﴿يَسْتَهْزِئُونَ... أَهْلَكْنَا﴾.
- ١٢ - حطّموا هيبة أصحاب القوة، ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾.
- ١٣ - كون الناس من ذوي القوة لا يمنع من نزول البطش الإلهي، ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾.
- ١٤ - التاريخ وحوادث التاريخ تجري بشكل قانوني ولها سننها وقواعدها الخاصة بها، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾

### إشارات

□ يقرّ المشركون بأنّ الله ﷻ هو خالقهم، ولكنهم يعبدون الأصنام من دونه.  
□ لو أنّ قطع هذه الأرض انفصلت عن قِمَم الجبال وأعماق المحيطات فإنّ الحياة الإنسانيّة تتعطل. ولذا كانت إحدى النعم الإلهيّة تمكين الإنسان من جعل طرق وسبل للتواصل في هذه الأرض.

### التعاليم

- ١ - مواجهة الكفّار للدعوة إلى الدين بالاستهزاء لا يمنع من دعوتهم إلى الحقّ ﴿يَسْتَهْزِئُونَ... وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ﴾.
- ٢ - الغرور والجهل وتقليد الآباء وإن كانت تلقي بظّلها على فكر الإنسان، ولكن الفطرة بتمام وجودها تدرك سعة العلم والقدرة الإلهيّة، ﴿لَيَقُولُنَّ... الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.
- ٣ - استجلاء فطرة معرفة الله تتمّ من خلال التذكير بنعم الله ﷻ، ﴿لَيَقُولُنَّ... الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾.
- ٤ - لم تكن الأرض بنفسها قابلة للسكنى، وقد جعلها الله ﷻ بقدرته قابلة لذلك بعد أن مهدها، ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾.
- ٥ - الهدف من الخلق منفعة الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمْ... جَعَلَ لَكُمْ﴾.
- ٦ - وجود السبيل نعمة من النعم الإلهيّة الكبرى، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾.
- ٧ - لو أنّ السباحة في الأرض كانت عن غفلة لا للعبرة فإنّها لن تستتبع رقيّاً معنويّاً، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.
- ٨ - السباحة في الأرض والتأمل في ما قدره الله ﷻ في هذه الأرض وسيلة من وسائل الهداية، ﴿سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١١) ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٢)

### إشارات

- تعرّضت الآية السابقة لموضوع التوحيد وأمّا هذه الآية ففيها إشارة للمعاد.
- كلمة قدّر بمعنى المقدار، أو بمعنى التقدير والتنظيم، أي إنّ المطر ينزل بمقدار محدّد أو طبقاً لنظام محدّد<sup>(١)</sup>.
- الظاهر أنّ المراد من كلمة «أزواج» النباتات؛ لأنّ هذه الكلمة وردت بعد الحديث عن نزول المطر وإحياء الأرض، وطبقاً للآيات الأخرى من القرآن الكريم فإنّ قانون الزوجية يشمل حتّى النباتات: ﴿...أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ (٢).
- تعرّضت الآيات السابقة للحديث عن جعل السبل في هذه الأرض، وتحدّث هذه الآية عن آلة السفر في البر والبحر، أي الأنعام من الإبل والفرس أو السفن الصغيرة والكبيرة.

### التعاليم

- ١ - كل قطرات السماء تنزل بحساب خاص، ﴿نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ﴾.
- ٢ - مع أنّ الماء ينزل من السماء بقدر ولكن ذلك نعمة إلهية كبرى، ﴿يَقْدِرُ﴾.
- ٣ - الفعل الإلهي يتم وفقاً للأسباب التي جعلها الله ﷻ؛ (فالمطر هو سبب لحياة هذه الأرض)، ﴿فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا﴾.
- ٤ - الماء مصدر الحياة، ﴿فَأَنْشَرَنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا﴾.
- ٥ - فصل الربيع وحياة النبات مثال للبعث بعد الموت، ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.
- ٦ - نظام الزوجية لا يختصّ بالإنسان ولا بالحيوان، ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.
- ٨ - ما تصنعه يد الإنسان هو بإلهام من الله ﷻ ومن خلال استخدام القوانين التي أودعها في خلقه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ﴾.

٩ - كُلُّ شَيْءٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ ﷻ سِوَا أَكَاثِرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَرَكَبِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالْحَيَوَانَاتِ أَوْ مِنْ وَسَائِلِ النُّقْلِ الصَّنَاعِيَّةِ، كَالسَّفَنِ مِثْلًا، ﴿جَعَلَ لَكُمْ... مَا تَرْكَبُونَ﴾.

﴿لَتَسْتَورُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

### التعاليم

- ١ - التَّنَعُّمُ بِالنِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالتَّوَجُّهِ بِالشُّكْرِ إِلَيْهِ، لَا أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِلغُرُورِ وَالْغَفْلَةِ، ﴿لَتَسْتَورُوا... ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾.
- ٢ - تَنَاسُبُ النِّعَمِ مَعَ الْحَاجَاتِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الرُّبُوبِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾.
- ٣ - طَرِيقُ الشُّكْرِ نَتَعَلَّمُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ، ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ... وَتَقُولُوا...﴾.
- ٤ - تَسْبِيحُ اللَّهِ ﷻ نُمُودَجٌ لِحَمْدِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ، ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ... سُبْحَنَ الَّذِي﴾.
- ٥ - تَسْخِيرُ الْأَرْضِ وَالْأَنْعَامِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ ﷻ لِيَرْكَبَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ هِيَ مِنَ النِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ الْكُبْرَى، ﴿سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾.
- ٦ - لَوْ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَسْخَرْ الْحَيَوَانَاتِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ لَكَانَ الْإِنْسَانُ عَاجِزًا عَنْ الِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾.
- ٧ - الْإِعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ هُوَ بِنَفْسِهِ نُمُودَجٌ لِلشُّكْرِ، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾.
- ٨ - لَا بَدَّ عِنْدَ رُكُوبِ آلَةِ السَّفَرِ بِقَصْدِ السَّفَرِ مِنْ أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ ﷻ وَأَنْ نَتَذَكَّرَ السَّفَرَ الْآخِرَ، ﴿تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا... وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَرَأَيْتُمْ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَحَكُمْ بِالْبَينِ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

### إشارات

□ المراد من ﴿عِبَادِهِ﴾ هو الملائكة الذين كان المشركون يعدّونهم من الإناث. والمراد من ﴿جُزْءًا﴾ هو اعتقاد المشركين بأنّ الملائكة كالأبناء جزء من الله ﷻ.

### التعاليم

- ١ - لا مانع من نقل بعض الاعتقادات الخرافية إذا كان ذلك مع الرد عليها، ﴿وَجَعَلُوا لَكَ...﴾.
- ٢ - جعل المخلوق شريكاً في فعل الخالق هو كفر مبين، ﴿وَجَعَلُوا لَكَ... لَكُفُورٌ مُبِينٌ﴾.
- ٣ - من الممكن أن يجادل الناس خلال الحوار معهم على أساس ما يعتقدون به، ﴿أَمْ أَخَذَ...﴾.
- ٤ - ظنُّ الملائكة إناناً يُلاحظ أيضاً في الرسوم والتصاویر، وهذا نوع من الخرافات والشرك، ﴿أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾.
- ٥ - كم هو قبيح أن يرفض الإنسان كون البنت له؛ ولكنه ينسبها إلى الله ﷻ، ﴿ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾.
- ٦ - من خرافات أهل الشرك أنهم كانوا يظنون الذكر أفضل من الأنثى؛ ولذلك كانت تسود وجوههم عندما يبشرون بالأنثى، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ... وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.
- ٧ - الحالات النفسية لها تأثيرها على جسم الإنسان، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾.

﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

### إشارات

□ ورد في الآية التاسعة أنَّ المشركين كانوا يرون أنَّ خالق العالم هو الله العزيز العليم، وهنا تسأل الآية إذا كان الله عزيزاً عليمًا فلماذا تنسبون إليه البنات أولاداً، ومن يترتب في الزينة مع ما في حديثهن من غلبة للأحاسيس والعواطف؟ مع أنَّ لازم كونه عزيزاً أن يكون صلباً حاسماً، ولازم كونه عليمًا أن يكون صاحب منطق واستدلال لا عاطفة وإحساس.

## التعاليم

- ١ - الحلية والزينة للنساء والفتيات أمر طبيعي، ﴿يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾.
  - ٢ - المرأة أقوى من الرجل من ناحية العواطف والأحاسيس، ولهذا تكون أضعف في الخصام والمجادلة، ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾.
  - ٣ - الملائكة من مخلوقات الله ﷻ وهي من عباده وليست أولاداً له، ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾.
  - ٤ - خلافاً لما في الإنسان ليس في الملائكة ذكر وأنثى، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ... إِنثًا﴾.
  - ٥ - ما لم نشهده لا ينبغي أن نشهد عليه، ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾.
  - ٦ - يكتب الله ﷻ على الإنسان كلَّ شهادة وكلَّ قول، ﴿سَتَكُنُّ شَهِدَتُهُمْ﴾.
  - ٧ - الإنسان مسؤول عما يعتقد به، ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾.
  - ٨ - لا بدّ من محاربة العقائد الخرافية بشدة، ﴿أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ... أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ شَهِدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.
- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦١﴾﴾

## إشارات

- «يخرصون» من الخرص، وهو الكلام المعتمد على الحدس والظن.
- ينقل القرآن الكريم في الآية ٣٥ من سورة النحل وفي الآية ١٤٨ من سورة الأنعام قول المشركين هذا حيث كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَاءَ رَبَّنَا... مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

## التعاليم

- ١ - يسعى المشركون لتبرير شركهم ويجعلون ذلك منهم معلولاً لإرادة الله ﷻ، ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْتَهُمْ﴾.



- ٢ - إمهال الله ﷻ لا ينبغي تفسيره بالرضا، ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾.
- ٣ - المشركون كانوا يعبدون الملائكة، ﴿عَبَدْنَاهُمْ﴾.
- ٤ - القول بلا علم (لا سيما في المسائل العقائدية) مدان، ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾.
- ٥ - كل فرد وكل مجتمع يتيه عن العلم يذهب اتجاه الموهومات والحدسيات، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِرُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أَثَرِ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

### التعاليم

- ١ - ليس للشرك أساس من العقل، ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾. كما لا أساس له من النقل أي من الكتب السماوية، ﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾.
- ٢ - جذور الشرك والخرافات تكمن في التقليد الأعمى، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أَثَرِ﴾.
- ٣ - أتباع الآداب والرسوم وعقائد الآباء إذا لم يكن مستنداً إلى العقل والكتاب السماوي فهو مدان ومذموم، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أَثَرِ﴾.
- ٤ - الماضون والآباء الذين وضعوا وشرعوا هذه السنن الباطلة هم المسؤولون عن الأجيال القادمة أيضاً، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾.
- ٥ - انتشار الآداب والرسوم الموروثة يجعل للإنسان الذي لا منطق له منطق إنسان صاحب هداية، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾.
- ٦ - التعصب القومي موجب لانتشار التقليد الأعمى والتعصب الجاهلي، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاتِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّتٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾

### إشارات

□ المترف من الترف، أي صاحب النعمة الوافرة وتُطلق على من اغترَّ وغرق في النعم.

□ تقدّم في الآية السابقة أنّ عوام الناس يظنون بأنّ طريق الآباء حقّ موصل إلى الهداية ولذلك يتبعون آباءهم: ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾؛ ولكن هذه الآية تقول إنّ ما يهّم المترفين هو الوصول إلى المال والثروة لا الوصول إلى الهداية؛ لذا لم يكن أتباع تقاليد الآباء وعاداتهم لأجل الهداية: ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾.

□ لم يرد في القرآن إطلاقاً بعد ذكر النبي ﷺ قول: بعدك، بل ما ورد هو (قبلك) فقط، وهذا شاهد على أنّ النبي ﷺ هو خاتم رسل الله.

### التعاليم

- ١ - الاعتماد على تقاليد الآباء سنة من سنن المنحرفين في التاريخ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾.
- ٢ - من رافضي دعوة الأنبياء طبقة المترفين وكانوا يتخذون موقفاً متشابهاً دائماً، ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ... إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾.
- ٣ - ملاحظة ما وقع للسابقين من مشاكل سبب باعث للاطمئنان في نفس الإنسان، ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...﴾.
- ٤ - الإنذار هو من أهمّ وظائف الأنبياء، ﴿مِّنْ نَّذِيرٍ﴾.
- ٥ - الغرق في الثروة والرفاه سبب للطغيان وسبب للتعصّب للباطل والتقليد الأعمى، ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا... عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾.
- ٦ - أفكار ومعتقدات السابقين قابلة للتمحيص والبحث والاتباع المطلق لها لا معنى له، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾.

﴿قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾  
 ﴿فَأَنزَعْنَا مِنْهُمُ ٱلْعَقِبَةَ ٱلْمَكِيدِينَ ﴿٢٥﴾﴾

### التعاليم

- ١ - لا بدّ في النهي عن المنكر من بيان المعروف أولاً ثمّ النهي عن المنكر، ﴿جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ﴾.
- ٢ - من أساليب وطرق التعريف بالدين المقارنة بينه وبين سائر المعتقدات، ﴿جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ﴾؛ (دعوة الأنبياء تعتمد على العقل، وقد خالف الأنبياء التقليد والتعصب القومي).
- ٣ - معيار الاختيار ما يكون أهدى لا شيء غير ذلك، ﴿جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ﴾.
- ٤ - على الرغم من أنّ عبادة الأصنام ليست هدىً على الإطلاق حتّى تكون الدعوة إلى التوحيد أهدى، ولكن لأنّ الجدل بالتي هي أحسن يفرض مجازاة أصحاب تلك العقيدة لأجل دعوتهم إلى الحق، ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ﴾.
- ٥ - العناد يمنع من تحديد ما هو الأفضل والأهدى، ﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ... كَافِرُونَ﴾.
- ٦ - التحجّر والتعصّب سبب للغفلة عن الحقائق، ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.
- ٧ - خاتمة الكفر والعناد هو الإفناء والزوال، ﴿فَأَنزَعْنَا مِنْهُمُ﴾.
- ٨ - العقاب الإلهي لا يكون إلّا بعد إتمام الحجة، ﴿جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ... أَنَا... كَافِرُونَ... فَأَنزَعْنَا﴾.
- ٩ - الانتقام والعذاب في موضعهما لا يتنافيان مع الرحمة والرأفة الإلهية، ﴿فَأَنزَعْنَا مِنْهُمُ﴾.
- ١٠ - لا بدّ من أخذ العبرة من التاريخ، ﴿فَأَنظُرْ... عَقِبَةُ الْمَكِيدِينَ﴾.
- ١١ - الأعمال بخواتيمها، لا بمظاهرها العابرة، ﴿عَقِبَةُ الْمَكِيدِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

### إشارات

□ تحدثت الآيات السابقة عن منطق عبدة الأصنام الذي يقوم على اتباع الآباء، وأما هذه الآيات فتبين كيف أن إبراهيم كان يرفض بشدة تقليد الآباء.

□ في تحديد الفاعل في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ احتمالا: الله ﷻ أو إبراهيم ﷺ. فيمكن القول إن الله ﷻ جزاء لإيمان إبراهيم ﷺ جعل التوحيد حياً في نسله. ويمكن القول إن إبراهيم ﷺ أحيأ عقيدة التوحيد والبراءة من الشرك في نسله.

□ ورد عن الإمام علي ﷺ: «كان رسول الله عقب إبراهيم، ونحن أهل البيت عقب إبراهيم، وعقب محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لا ينبغي أن ننسى ذكر العظماء وكلماتهم ومواقفهم الحاسمة وما قاموا به، ﴿وَإِذْ قَالَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي للارتباط بقوم أو قبيلة أو حزب أن يكون له تأثيره السلبي على ما نملكه من عقيدة وفكر، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾.
- ٣ - تقع على الإنسان مسؤولية خاصة اتجاه أقاربه، وهدايتهم أولوية بالنسبة إليه، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾.
- ٤ - البراءة من الشرك شعار توحيد، ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾.
- ٥ - الخالق هو الهادي، ﴿فَطَرَنِي... سَيَهْدِينِ﴾.
- ٦ - كافة الناس حتى الأنبياء محتاجون لهداية الله ﷻ، ﴿سَيَهْدِينِ﴾.

٧ - الإيمان ابتداء فقط لا يكفي بل لا بدّ من أن يكون مستمرّاً ومستداماً، ﴿سَيِّدِينَ﴾.

٨ - نداء التوحيد يبقى مدى التاريخ، وإن كان المخاطب به لم يستمع إليه، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيْدِهِ﴾.

٩ - الله ﷻ هو الحافظ لتعاليم التوحيد على مرّ التاريخ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾.

١٠ - أبناء النبي إبراهيم عليه السلام هم حَمَلَةٌ راية التوحيد على مرّ التاريخ، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيْدِهِ﴾.

١١ - عمل الآباء له تأثيره على مصير الأبناء، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَقّاً جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

### إشارات

□ للكافرين توقّعات لا أساس لها، ويقولون: لأنّ فلاناً صاحب مال وثروة، إذاً لا بدّ من أن ينزل الوحي عليه، مع أنّ الأفضليّة الماديّة لا تلازم الأفضليّة المعنويّة.

□ مكّة والطائف كانتا أهم مدينتين لدى عرب الحجاز في عصر البعثة.

### التعاليم

١ - السّنة الإلهيّة هي الإنعام على المؤمن والكافر وإمهال الناس كافّة، ﴿مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾.

٢ - لا بدّ لإتمام الحجّة من كتاب ومن قائد، ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

٣ - كلام القرآن كلام كلّ حقّ وحقيقة، ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾.

٤ - لا بدّ من أن تكون الدعوة إلى الدّين والرسالة غاية في الوضوح والبيان، ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾.

- ٥ - تأثير القرآن الكريم على قلوب الكفار وصل حدّاً اتهموه بأنّه سحر؛ لكي يبرروا بذلك كفرهم ﴿هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.
- ٦ - الإنسان بطبيعته ينزع إلى التبرير. فهؤلاء الكفار يتهمون القرآن بالسحر ليبرروا بذلك كفرهم، ﴿هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.
- ٧ - أصحاب منطق التبرير يتمسكون في كل لحظة بحجة، فتارة يقولون: القرآن سحر، وأخرى يقولون: لماذا أنزل القرآن على فلان؟ ﴿هَذَا سِحْرٌ... لَوْلَا نُزِّلَ﴾.
- ٨ - العظمة لدى بعض الناس تتمثل في امتلاك المال والجاه، ﴿رَجُلٍ... عَظِيمٍ﴾.
- ﴿أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

## إشارات

□ أفضليّة بعض الناس على بعض على نحوين:

أ - الأفضليّة في البنية الجسدية، الفكرية والطاقات، وهذا الأمر هو السبب في الإحساس بالحاجة وخدمة بعضهم الآخر، وبهذا يتكوّن المجتمع. وليس للإنسان من دور في هذه الأفضليّة: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

ب - الأفضليّة التي يهبها الله ﷻ على أساس سعي الإنسان وجهده كقوله تعالى: ﴿...يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>.

□ متى كانت معيشة الإنسان بيد الله ﷻ، فكيف يتوقّع بعضهم أن يكون مقام النبوة من نصيبهم، ويحدّدون الأصلح لتلقي الوحي؟

□ الاختلاف الموجود بين الناس ينبغي أن يكون سبباً للارتباط والتعاون

واستخدام بعضهم بعضهم الآخر، ولا ينبغي أن يكون سبباً للاستغلال، والتفاخر، واحتقار الآخرين. «سُخْرِيًّا» تعني أن يكون بعضهم في خدمة بعض بنحو متبادل.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ للإنسان من أن يعرف قدره وحدّه، ولا يمدّ قدميه إلّا بقدر بساطه (اختيار النبي تابع لإرادة الله، ولا يخضع لما يتوقّعه الناس)، ﴿أَهْمَرْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.
- ٢ - النبوة رحمة إلهية خاصة، ﴿رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾.
- ٣ - ليس لأحدٍ من حقٍّ على الله ﷻ فكلُّ ما يهبه الله هو من لطفه ورحمته ﴿رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾.
- ٤ - الرزق بيد الله فقط، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾.
- ٥ - لا ينبغي أن تكون الأفضلية الجسمية والفكرية سبباً للغرور؛ لأنّ ذلك كلّ من الله ﷻ، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا... وَرَفَعْنَا﴾.
- ٦ - المجتمع اللاطبقيّ خيال ليس إلّا. (فالله الحكيم هو الذي جعل هذا الاختلاف بين الناس حتّى يشعر الناس بحاجة بعضهم إلى بعض، وينمو المجتمع في ظلّ معونة بعضهم البعض)، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.
- ٧ - إيجار النفس واستئجار الآخر واستخدام الناس بعضهم بعضاً أمر مجاز ومشروع، ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.
- ٨ - المجتمع النهضويّ والاقتصاد السليم يتوقّف على التعاون والاستفادة من مختلف الطاقات الإنسانية، ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾.
- ٩ - الرحمة من شؤون الربوبية، ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾.
- ١٠ - لا ينبغي قياس الوحي والرسالة على النعم المادّية، ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.
- ١١ - الأفضلية المادّية هي السبب في غفلة الناس عن الرحمة الإلهية، ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ  
وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣)

### إشارات

□ زخارف الدنيا وزينتها لا قيمة لها أساساً؛ لذا يقول تعالى في هذه الآية إنَّ الله ﷻ يقدر على أن يُعطي الكفار هذه الدنيا بشكلٍ وافر؛ ولكن لا يفعل ذلك لأنَّ عيون الناس ترى ذلك فتميل إلى الكفر.

□ كما لم تتعلّق الإرادة الإلهية بجعل الناس جميعاً على مستوى واحد في المعيشة والنعم الماديّة، لم تتعلّق إرادته بأن يكون الناس كافّة في المسائل العقائديّة على اتجاه واحد؛ لأنّ ذلك يسلب من الناس حقّ الاختيار، ولا نظنّ أننا إذا جعلنا الناس في الكون كله على عقيدة واحدة فقد وصلنا إلى المطلوب.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ في عطاء النعم والحرمان منها من ملاحظة طاقات المجتمع، ﴿وَلَوْلَا... لَجَعَلْنَا...﴾.
- ٢ - الأمّة الواحدة إنّما تكون أمراً ممدوحاً متى اجتمعت على الإيمان لا على الكفر، ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.
- ٣ - الثروة لا تدلّ على أنّ لصاحبها مقام العزّة عند الله ﷻ، ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَسْكُبُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَزُخْرُفٌ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥)

### التعاليم

- ١ - القيمة والاعتبار عند الكفار تنشأ من الزينة والمال وأما عند المؤمنين فإنّ



الاعتبار هو بالسعادة الآخروية، ﴿وَلْيُبَيِّنْهُمْ أَبْوَابًا... وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٢ - المتقون هم الذين وبدلاً من التفكير بزينة الحياة الدنيا وبيوتها يجعلون من التفكير بالآخرة همهم والله ﷻ جعلها لهم، ﴿لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْنِسَ سُقْفًا مِّنْ فُضْفُةٍ... وَرُخْرَفًا... وَالْآخِرَةُ... لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٣ - جوار الله ﷻ ونيل فضل الحضور لديه لا يقاس بشيء، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِصٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾

### إشارات

□ بينت الآيات السابقة حال الكفار وغرقهم في زينة الحياة الدنيا، وتبين هذه الآية آثار غرقهم هذا.

□ يعيش من العشو وهو آفة في العين توجب ضعف الرؤية. وهذه الكلمة متى وردت متعدية بـ (عن) فالمراد بها الإعراض.

□ سياسة الشيطان تعتمد السير بخطوات: ﴿...خُطُوبَاتٍ...﴾<sup>(١)</sup>.

وفي المرحلة الأولى يُلقِي وسوسته: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي مرحلة ثانية يبدأ المس: ﴿...مَسَّهُمْ طَلِيفٌ...﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي مرحلة ثالثة ينفذ إلى صدورهم: ﴿...فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي مرحلة رابعة يستقر في الروح: ﴿...فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي مرحلة خامسة يجعل الإنسان من حزبه: ﴿...حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سور البقرة: الآية ١٦٨.

(٤) سورة الناس: الآية ٥.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٠.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

(٦) سورة المجادلة: الآية ١٩.

وفي مرحلة سادسة يُصبح الشيطان ولياً له: ﴿...وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا...﴾<sup>(١)</sup>.

وفي مرحلة سابعة يُصبح الإنسان شيطاناً: ﴿...شَيْطَانٍ آتٍ...﴾<sup>(٢)</sup>.  
ويصف الإمام علي عليه السلام ذلك في نهج البلاغة فيقول: «فباض وفرخ في صدورهم»<sup>(٣)</sup>.

#### □ آثار الإعراض عن ذكر الله ﷻ

- ١ - الصدّ عن سبيل الله: ﴿لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾.
- ٢ - الانحراف العقائديّ مع ظنّ الهداية: ﴿وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.
- ٣ - عدم الاتعاض عند الموعظة: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٤ - عدم الإقدام على التوبة لأنّه لا يرى انحرافه.
- ٥ - العيش في عذاب: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً...﴾<sup>(٥)</sup>.
- ٦ - العمى عن معرفة الحقّ (يعش) ويحشر في القيامة أعمى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى...﴾<sup>(٦)</sup>.

□ الشيطان القرين قد يكون صديق السوء أو الزوجة أو الولد أو الشريك السيئ؛ لذا وردت كلمة الشيطان نكرة لتشمل كافة أنواع الشياطين.

□ الصلاة ذكر الرحمن: ﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(٧)</sup>؛ والقرآن ذكر الرحمن: ﴿...إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ...﴾<sup>(٨)</sup>. فكلُّ من يُعرض عن الصلاة وعن القرآن فقد وقع تحت سلطة الشيطان: ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

(٥) سورة طه: الآية ١٢٤.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

(٧) سورة طه: الآية ١٤.

(٨) سورة الحجر: الآية ٩.

(١) سورة النساء: الآية ١١٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة، ٧.

(٤) سورة الصافات: الآية ١٣.

### التعاليم

- ١ - تسلط الشيطان على الإنسان هو بسبب عمل الإنسان، ﴿وَمَنْ يَعْشُ... تُفِضْ﴾.
  - ٢ - القلب إما أن يكون محلاً للرحمن أو محلاً للشيطان، ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا﴾.
  - ٣ - عقوبة الإعراض عن رحمة الله ﷻ الوقوع في عبودية الشيطان، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.
  - ٤ - يسعى الشيطان بجدة لكي يصد الإنسان عن طريق الحق، ﴿وَلَا تَهْتَفُوا بِمَا يَنْصَدُّونَهُمْ﴾.
  - ٥ - الأسوأ من الانحراف العملي الانحراف الفكري، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسَ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

### إشارات

□ يتمنى المجرمون يوم القيامة أن لا يحشروا - بالحد الأدنى - مع الشياطين؛ ولكن القرآن الكريم يذكر أنهم في العذاب مشتركون.

### التعاليم

- ١ - الندم في الدنيا قد يكون مؤثراً ومثمراً، وأما الندم في الآخرة فلا يترتب عليه سوى الحسرة، ﴿يَلَيْتَ...﴾.
- ٢ - في يوم القيامة وبعد أن تزول الحجب فإن الكثير مما كان محبوباً في هذه الدنيا يصبح أمراً باطلاً ينفر منه الناس، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾.
- ٣ - يحشر الشياطين يوم القيامة مع البشر، ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.
- ٤ - قرناء الدنيا هم قرناء في الآخرة، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ... فَيَنْسَ الْقَرِينُ﴾.
- ٥ - كون الشيطان هو القرين في يوم القيامة هو أيضاً نوع من العذاب، ﴿فَيَنْسَ الْقَرِينُ﴾.

٦ - الإعراض عن ذكر الله ﷻ باب لسيطرة الشيطان، وهو ظلم للنفس وللأنبياء، ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾.

٧ - خلافاً للسجن في هذا الدنيا حيث يكون السجن الانفرادي أصعب من السجن العام، في الآخرة لا يكون لعموم العذاب أي نفع وفائدة، ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ... أَتَكُونُ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

### إشارات

□ قول الحق إنما يكون مؤثراً في إحياء القلوب التي تخاف الله ﷻ لا غير؛ لذا نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا...﴾<sup>(١)</sup>، و﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخِشِيَ الرَّحْمَنَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

١ - إذا لم تتوافر المؤهلات فإن كلام رسول الله لن يكون مؤثراً في النفوس، ﴿أَفَأَنْتَ﴾.

٢ - النبي كان يتحرق لهداية الناس، ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ... أَوْ تَهْدِي﴾.

٣ - السبب في كون الإنسان قريناً للشيطان هو الصمم والعمى الباطني، ﴿الصُّمَّ... الْأَعْمَى﴾.

﴿فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ<sup>(٢)</sup>

### إشارات

□ المراد من الانتقام الإلهي هو هذا العقاب العادل، لا الحقد والتشفي الذي يكون غالباً في الانتقام البشري.

(٢) السورة نفسها: الآية ١١.

(١) سورة يس: الآية ٧٠.

## التعاليم

- ١ - موت وحياة أي إنسان ومنهم الأنبياء هو بيد الله ﷻ، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾.
- ٢ - عقوبة الكفار سنة من السنن الإلهية، ﴿فَإِنَّا مِنْتَهُمْ مُنْقِمُونَ﴾.
- ٣ - يظن الكفار أن النبي ما دام بينهم فلا ينزل عليهم العذاب أو أنه متى مات النبي فلا من عذاب يأتي، ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ... أَوْ نُزِيلَنَّ بِكَ﴾.
- ٤ - زمان نزول العذاب بيد الله ﷻ ولا يكون إلا عن حكمة، سواء أكان ذلك في زمان النبي أو بعد وفاته، ﴿نَذْهَبَنَّ... أَوْ نُزِيلَنَّ... فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾.

﴿فَاسْتَسِيكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾

## إشارات

□ ذكروا للمراد من كلمة (ذكر) معنيين: أحدهما التذكير والآخر ذكر العظمة والصيت الحسن؛ أي إن هذا القرآن سبب للتذكر والانتباه من الغفلة أو سبب لذكرك في التاريخ، فهو سبب عظمتك وعظمة أمتك.

## التعاليم

- ١ - لا ينبغي أن يكون لُعْمِي القلوب تأثير على النبي ﷺ، ﴿فَاسْتَسِيكَ بِالَّذِي﴾.
- ٢ - من كان في الصراط المستقيم ومتّصلاً بالوحي، فإن عليه أن يكون جدياً ونشطاً في سعيه وعمله، ﴿فَاسْتَسِيكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾.
- ٣ - لا ينبغي لنا الشك في حقانية الطريق بسبب عدم إيمان الناس به، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.
- ٤ - النبي معصوم، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ (٤٥)

### إشارات

□ ورد في الآيات السابقة استخدام كلمة الرحمن، ولعل ذلك للإشارة إلى أن ترك باب الرحمة والتفرق إلى السبل الأخرى خلاف الإنصاف.

### التعاليم

- ١ - الجميع محتاج إلى التذكّر، ﴿لَذِكْرُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.
  - ٢ - تذكّر النفس أولاً ثم بعد ذلك ابدأ بتذكير الآخرين، ﴿لَذِكْرُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.
  - ٣ - كلنا مسؤولون عن القرآن الكريم، ﴿وَسَوْفَ تُنْشَلُونَ﴾.
  - ٤ - التوحيد أصل مشترك بين الأديان كافة، ودعوة النبي ﷺ استمرار لدعوة الأنبياء ﷺ، ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾.
  - ٥ - للنبي ﷺ معرفة بالأنبياء كافة، ﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ (٤٧)

### إشارات

□ تكرر في القرآن الكريم ذكر قصة النبي موسى ﷺ وفرعون وبني إسرائيل، وذلك لمدى الشبه بين مصير النبي موسى ﷺ وقومه مع مصير نبي الإسلام ﷺ وأهل مكة، وفرعون احتج على موسى ﷺ بأنه رجل فقير وأن فرعون هو الذي له ملك مصر، وكذلك كفار مكة على النبي ﷺ بأنه فقير ويقيم ولا يملك المال ولا المقام.

### التعاليم

- ١ - لا بدّ للأنبياء مضافاً إلى ما يتمتعون به من كمالات شخصية من معجزة، ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾.

٢ - في ظلّ النُّظام القبليّ لا بدّ من الذهاب باتجاه القوم: ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾، وأما في ظلّ النُّظام الملكيّ لا بدّ من الذهاب باتجاه الملك: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ﴾. (في أسلوب التبليغ لا بدّ أولاً من إزالة الموانع وإصلاح العناصر التي يكون في صلاحها صلاح المجتمع).

٣ - لا يمتلك الطواغيت القوة لو كانوا وحدهم، ولكن الملاهم الذين يعطونهم القوة، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ﴾.

٤ - الضحك والاستهزاء يدل على الخواء، والاستهتار، واقتراء أهل الضلال، ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾  
 وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عِهْدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾﴾

### إشارات

□ ورد في الآية ١٣٥ من سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾.

### التعاليم

١ - لا بدّ من تتابع المعجزات والأدلة لهداية أصحاب العناد والإصرار، ﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾.

٢ - المعجزات المتتالية دليل على العناية الإلهية بهداية الناس، ﴿آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾.

٣ - لا بدّ أولاً من إتمام الحجة ثم تأتي بعد ذلك المجازاة، ﴿تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ... لَعَذَابُهُمْ﴾.

٤ - لا بدّ في أسلوب التبليغ من طي المراحل العادية أولاً ثم الترقّي إلى المراحل العليا، ﴿هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾.

- ٥ - العذاب الإلهي في هذه الدنيا لتنبيه الناس لعلهم يتوبون، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.
- ٦ - الأفراد الوضيعون يلجأون إلى إهانة الآخرين حتى في حالات الشدة والعذاب، ﴿يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ﴾.
- ٧ - يرى المجرمون في أعماق داخلهم أن أولياء الله مستجابو الدعوة، ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.
- ٨ - النبوة عهد إلهي، ﴿عَهْدَ عِنْدَكَ﴾.
- ٩ - يُعطي الإنسان عند الشدائد عهده، ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾؛ ولكنه متى ارتفعت عنه الشدائد ينكث عهده، ﴿يَنْكُثُونَ﴾.
- ١٠ - عند الإحساس بالخطر تستيقظ فطرة الإنسان، ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾.
- ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْتَوِيضُوا لِيَاسِي إِلَىٰ مُلْكِ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

## إشارات

- جملة ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾ وردت في القرآن الكريم مرتين، مرة على لسان إبليس وأخرى على لسان فرعون.
- يسعى العدو إلى تكبير نقاط الضعف. فإن موسى ﷺ ونظراً إلى ثقل لسانه فإنه قال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي...﴾<sup>(١)</sup>. ولكن فرعون يسلط الضوء على ذلك فيقول: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.
- تبين هذه الآيات صفات الطاغوت والتي تتمثل بـ: الخوف، والتفاخر، والاستبداد، والعجب، والعقيدة الباطلة، والاعتماد على الثروة، واستخدام المال وما يتمتع به من نعم الدنيا.



## التعاليم

- ١ - عندما يشعر الطواغيت بالخطر يلجأون إلى الإعلام، ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾.
- ٢ - يسعى فرعون لاستغلال عواطف الناس وشعورهم، ﴿يَقْوِرَ﴾.
- ٣ - حيث لا يملك الطاغوت المنطق، فإنه يعتمد على ما لديه من مال وقصور، ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِّمَّنْ﴾.
- ٤ - يسعى الطواغيت لجعل عقول الناس في عيونهم، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.
- ٥ - محورية الذات من خصائص الطواغيت، ﴿أَلَيْسَ لِي... أَمْرٌ أَنَا خَيْرٌ﴾.
- ٦ - الاستخفاف بالآخرين هو من خصائص الطواغيت، ﴿هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَاذُ يُبِينُ﴾.
- ٧ - النظر بعين الضعة للآخرين بسبب شكلهم الظاهري كاللباس هو سلوك فرعوني، ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾.

﴿فَلَوْلَا أَلْفَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقَرَّنِينَ ٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ  
فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ  
أَجْمَعِينَ ٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ٥٦﴾

## إشارات

- أسورة جمع سوار وهو ما يوضع على اليد.
- يعتمد حكم الحكام في السلطة غير الشرعية على أساس الاستخفاف بالناس واستحقارهم، ولكن طاعة الناس في النظام الحق تكون على أساس اختيار الأفضل: ﴿...يَسْمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ...﴾<sup>(١)</sup>؛ وذلك مع المحبة: ﴿...وَلَوْ كُنْتَ ظَنًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الزمر: الآية ١٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله: ﴿ءَاسَفُونَا﴾: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَأْسَفُ كَأَسَفِنَا؛ وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسِفُونَ وَيَرْضُونَ<sup>(١)</sup>.
- يُطْلَقُ عَلَى الْمَاضِينَ (السلف) وَعَلَى الْآتِينَ (الخلف)، وَيُطْلَقُ عَلَى مَا يَكُونُ مُشَابِهَ (مثل). وَيُطْلَقُ الْمَثَلُ عَلَى مَا يَضْرِبُ كَنَمُودَجٍ وَهُوَ مَا يَجْرِي عَلَى الْأَلْسِنِ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾.

### التعاليم

- ١ - من لا يملك منطقاً يتوسل بالمال والثروة ومتاع الدنيا، ويرى أَنَّ امتلاك ذلك علامة كونه على حقٍّ وَأَنَّ عدم امتلاك غيره لذلك علامة كونه على باطل، ﴿فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ﴾.
- ٢ - تزيين الرجال بالذهب من فعل فرعون، ﴿أَلْفِي عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾.
- ٣ - إضعاف القادة الربانيين وبث الشبهات هو من فعل الفراعنة، ﴿أَوْ جَلَّةَ مَعَهُ الْمَلَكُوتُ...﴾.
- ٤ - الطاعة في النظام الفاسد تقوم على أساس الاستخفاف بالناس، ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ﴾.
- ٥ - ضعف النفس وضياح الهوية سببٌ للتسليم أمام الطواغيت، ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ﴾.
- ٦ - جذور الخضوع والطاعة العمياء تظهر في الفقر العقلي، العمى الفكري والزعة السطحية لدى الإنسان، ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ﴾.
- ٧ - المجتمع الذي يخرج عن طاعة الله ﷻ لا يثق بنفسه ويستخف به غيره، ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ... إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتِيحِينَ﴾؛ (الفسق هو بمعنى الخروج عن مدار الحق).
- ٨ - من افتخر بالأنهار التي تجري من تحته: ﴿...وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾، غرق في نفس تلك الأنهار، ﴿فَاغْرَقْنَاهُمْ﴾.

- ٩ - قد تقع العقوبات في هذه الدنيا قبل عذاب الآخرة، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾.
- ١٠ - الأمر والمأمور يهلكان معاً في محور الفسق والطغيان، ﴿أَجْمَعِينَ﴾.
- ١١ - الغضب والانتقام الإلهي هو بسبب فعل الإنسان، ﴿فَأَطَاعُوهُ... ءَاسَفُونَا... أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.
- ١٢ - بشهادة التاريخ فإن تدمير القوى الجبارة هو سنة إلهية حتمية، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾.
- ١٣ - حوادث الأمم السالفة درس عبرة للأمم الآتية، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ... فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا﴾.

﴿وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾

### إشارات

□ عندما نزل قوله تعالى في الآية ٩٨ من سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. جلس رسول الله ﷺ مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير السهمي حتى جلس معهم، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً ولا قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبير: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً كل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ورأوا أنه قد احتج

وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

□ إصرار القرآن على أن عيسى هو ابن مريم ﷺ لأجل المنع من الغلو وجعله ابناً لله ﷻ.

□ لم يرد في القرآن الكريم اسم امرأة عدا مريم ﷺ. وأما بقية النساء فلم ترد أسماءهم كما في: ﴿...أُمُّ مُوسَىٰ...﴾<sup>(١)</sup>، أخت موسى ﴿يَا أُخْتِي﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿...أَمْرَأَتُ عِمْرَانَ...﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾<sup>(٤)</sup>، زوجة عزيز مصر ﴿...أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ...﴾<sup>(٥)</sup>، زوجة لوط ﴿وَأَمْرَأَتُ لُوطَ﴾<sup>(٦)</sup>، زوجة أبي لهب ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾<sup>(٧)</sup>، زوجات النبي ﴿بَنِيْسَاءَ النَّبِيِّ﴾<sup>(٨)</sup>، و﴿...أَمْرَأَتُ نُوحٍ...﴾<sup>(٩)</sup>، و﴿كَأَنِّي تَقَفْتُ غَزَلَهُمَا﴾<sup>(١٠)</sup>.

## التعاليم

١ - الإفراط والتفريط في العقائديات يصلان بالإنسان حداً يجعل من عيسى ﷺ إلهاً لدى طائفة ولدى طائفة أخرى يجعله على حد الأصنام، ﴿شَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾.

٢ - انصب سعي الكفار لفعل كل ما يؤدي إلى توجيه ضربة للنبي ﷺ، ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنهُ يَصِيدُونَ﴾؛ (فإن هذا الشخص الذي قال في الرواية السابقة إن عيسى في جهنم لأن الناس تبعه، هلل لقوله ذلك).

٣ - الجدل بالتي هي أحسن ممدوح، وأما الجدل من الجدل فهو المذموم، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصَصُونَ﴾.

(٦) سورة التحريم: الآية ١٠

(٧) سورة تبت: الآية ٢.

(٨) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.

(٩) سورة التحريم: الآية ١٠.

(١٠) سورة النحل: الآية ٩٩.

(١) سورة القصص: الآية ٧.

(٢) السورة نفسها: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٩.

(٥) سورة يوسف: الآية ٣٠.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ ﴿٦١﴾

### إشارات

□ لا بد من الدِّفاع عن شخصيَّة المعصوم، ولا ينبغي السماح بأن يُقصد هؤلاء العظماء بسوء. فقد ضَرَبَ المشركون عيسى بن مريم ﷺ مثلاً بكونه معبوداً لدى جماعة، وحيث إنَّ القرآن الكريم يقول إنَّ العابد والمعبود إذا كان لغير الله فهو في جهنم، إذاً عيسى ﷺ في جهنم، ولكنَّ القرآن الكريم ينزِّه عيسى عن ذلك.

### التعاليم

- ١ - عيسى ﷺ ليس معبوداً بل عبد مخلص لله تعالى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾.
- ٢ - العبوديَّة سبب لتلقِّي اللطف الإلهي، ﴿عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾.
- ٣ - عيسى ﷺ وإن كان من أولي العزم وقد بُعث للناس كافة في زمانه، ولكنَّ مخاطبيته بالأساس هم بنو إسرائيل، ﴿مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.
- ٤ - الله ﷻ في غنى عن عبادة الناس له. ولو أراد لجعل بدل الناس ملائكة وهم في طاعة دائمة لله ﷻ، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾.

﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُكُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۖ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٢﴾

### إشارات

□ رداً على المشركين الذين جعلوا من عيسى ﷺ مثلاً لمعبوداتهم من غير الله ﷻ، تتحدَّث هذه الآية عن النبي عيسى ﷺ كشاهدٍ على يوم القيامة. فولادته من غير أب، دليل على قدرة الله ﷻ على خلق الإنسان مجدداً في يوم القيامة، كما أنه يتمكّن من إحياء الموتى في هذه الدنيا، ففي نهاية هذه الدنيا سوف ينزل من السماء مقدّمة ليوم القيامة.

### التعاليم

- ١ - وجود أولياء الله ﷺ علامة على القيامة وتذكير بها، ﴿لَعَلَّكُمْ لِّلسَّاعَةِ﴾.
  - ٢ - بعد مشاهدة مظاهر القدرة الإلهية لا يبقى للشك في إمكان إحياء الموتى أي معنى، ﴿فَلَا تَمُوتُوا﴾.
  - ٣ - القادة المعصومون على الصراط المستقيم، واتباعهم اتِّبَاعٌ للصراط المستقيم، ﴿وَأَتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
  - ٤ - الإنسان بشكل فطري يبحث عن طريق يُوصله إلى الله ﷻ، ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
  - ٥ - التشكيك في غير موضعه سببٌ للوقوع بعيداً عن الصراط المستقيم، ﴿فَلَا تَمُوتُوا... وَأَتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
  - ٦ - الإنسان بحاجة إلى أسوة لاتباع الصراط المستقيم، ﴿وَأَتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
  - ٧ - الصراط المستقيم صراط واحد لا غير، ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
  - ٨ - يكمن الشيطان على الصراط المستقيم، ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ... وَلَا يَصُدَّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾.
  - ٩ - بملاحظة سابقة الشيطان في الوسوسة لآدم وحواء، فإنَّ عداوته لا تخفى على أحد، ﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.
  - ١٠ - لا تتوقف معرفة وساوس الشيطان على التأمل والتعقل؛ لأنَّ فطرة الإنسان تعرف الانحراف بسهولة، ﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٣)

### إشارات

□ من أسباب بعثة الأنبياء ومبرراتها يُمكن ذكر التالي:

- ١ - تعليم الناس: ﴿الْحِكْمَةُ﴾.

٢ - بيان ما اختلفوا فيه: ﴿وَلَا يَتَّبِعُونَ﴾.

٣ - الدعوة إلى تقوى الله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

٤ - التعريف بالأسوة الحقّ ﴿وَأَطِيعُوا﴾.

□ لا ضعف ولا تردد في فعل الله ﷻ لأنه حكيم فكتابه حكيم ومنطق نبيه الحكمة.

□ في تقوى الله يكمن الإيمان بالله ﷻ، وفي فعل الواجبات وترك المحرمات، وفي اتباع النبي، والإيمان بأصل النبوة، وبسنة النبي.

### التعاليم

١ - جاء الأنبياء ومعهم أدلة بيّنة ومقنعة تتوافق مع العقل ولا تقبل النقض وبالمعجزات المتعددة، ﴿جَاءَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِالْبَيِّنَاتِ... وَالْحِكْمَةِ...﴾.

٢ - حركة الأنبياء حركة فكرية وعلمية وليست انقلاباً عسكرياً، ﴿جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾.

٣ - من أهداف الأنبياء رفع الاختلاف في الدين، ﴿وَلَا يَتَّبِعُونَ لَكُمْ... تَخْلِفُونَ فِيهِ﴾.

٤ - التقوى وطاعة الأنبياء والقادة الربانيين ضمان الوحدة الاجتماعية، ﴿وَلَا يَتَّبِعُونَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ آيَةِ ﴿٦٥﴾

### إشارات

□ وظيفة النبي عيسى ﷺ كانت رفع الاختلاف بين الناس، ولكنه ما أن بدأ دعوته حتى حدث اختلاف جديد بين الناس، ﴿وَلَا يَتَّبِعُونَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ... فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾.

## التعاليم

- ١ - أساس دعوة النبي عيسى عليه السلام، دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾.
- ٢ - تدبير الأمور والإشراف عليها بيد الله ﷻ وحده، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي﴾.
- ٣ - العبادة تختص بمن كانت الأمور بيده، ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾.
- ٤ - عبادة أي شيء وأي شخص غير الله ﷻ ضلال وضياع، ﴿فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
- ٥ - العبودية لله ﷻ واتباع القادة السماوين حقيقة واحدة، ﴿...وَأَتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>؛ ﴿فَأَعْبُدُوهُ... هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.
- ٦ - الاختلاف سبب للابتعاد عن الصراط المستقيم، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ... فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾.
- ٧ - إثارة الفرقة والاختلاف بعد بيان الأنبياء ظلم، ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بِمَعْشَرَ  
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

## إشارات

□ من اختار صديقاً لا على أساس التقوى فحاله في يوم القيامة كالتالي:

- ١ - الندم والحسرة من صداقته: ﴿يَوَيْلٌ لِّلَّذِي لَمْ يَأْخُذْ بِأَخِيٍّ فُلَانًا خَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - ليس لهذا الصديق من دور في تقديم العون له: ﴿وَلَا يَسْتَلِ حِمِيًّا حَمِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - الصداقة تتبدل عداوة: ﴿الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بِمَعْشَرَ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

(٣) سورة المعارج: الآية ١٠.

(١) سورة الزخرف: الآية ٦١.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٨.



- ٤ - يلعن بعضهم بعضاً: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا...﴾<sup>(١)</sup>.
- ٥ - يفرّ بعضهم من بعض: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْآزِفُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ وَمَنْجَبِيهِ وَيَنْبِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - ينسب الذنب إلى غيره: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٧ - يتبرأ بعضهم من بعض: ﴿...يَبْلَيْتَ يَبْنَى وَيَبْنِيكَ بَعْدَ الْمَشْرِقِينَ...﴾<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم

- ١ - القيامة تحدث فجأة، ولا يعلم أحدٌ وقت حدوثها، ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.
- ٢ - كلُّ صداقةٍ لا تقوم على التقوى تتبدل عداوة، ﴿الْأَخِلَاءُ... عَدُوٌّ إِلَّا الْمُنْتَفِعِينَ﴾.

﴿يَتَعَبَّدُونَ لِمَا هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾

### إشارات

□ تحبرون من الحبرة بمعنى حال السرور والتي تظهر بالبشر على الوجه. والصُّحُف جمع صفحة وهي الإناء الكبير: والأكواب جمع كوب وهو الإناء الذي له يد.

□ من ملذات النظر، لقاء أولياء الله ﷺ الذين لم يكتب للإنسان التوفيق بليقاهم في الدنيا.

□ نِعَم الجنة على أقسام ذات مزايا:

- ١ - إشباع كافة الغرائز والطباع: ﴿تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٨. (٢) سورة سبأ: الآية ٣١. (٣) سورة الزخرف: الآية ٣٨. (٤) سورة عبس: الآيات ٣٤ - ٣٦.

٢ - متنوعة: ﴿بِصَافٍ... وَأَكْوَابٍ﴾.

٣ - جمالية: ﴿...ذَهَبٍ﴾.

٤ - موافقة للميل والرغبة: ﴿تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾.

٥ - لا تمل الأعين من النظر إليها: ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾.

□ المستفاد من الأمر القرآني بقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ أنهم الزوجات في هذه الدنيا لأن حور العين لسن خارج الجنة حتى يؤمرن بالدخول إليها.

### التعاليم

١ - العبودية لله ﷻ سرّ الأمان في يوم القيامة من المخاوف والمخاطر، ﴿بِعِبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ...﴾.

٢ - الطمأنينة أولاً ثم تلقى نعم الجنة، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ... ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾.

٣ - لا يكفي الإيمان وحده، بل لا بدّ من التسليم التام، ﴿ءَامَنُوا... وَكَانُوا مُتَسْلِمِينَ﴾.

٤ - الأزواج المؤمنون في هذه الدنيا هم معاً في الآخرة، ﴿ادْخُلُوا... أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾.

٥ - لذة العين في يوم القيامة بنحو تتساوى مع سائر ما يريده أهل الجنة، ﴿تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾.

٦ - الوصول إلى كلّ ما نريده غير ممكن إلا في الجنة، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾.

٧ - الغرائز والشهوات الباطنية ترافق الإنسان إلى يوم القيامة، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

### إشارات

- ورد في الروايات أَنَّ الكافر يَرِثُ نارَ المؤمن، والمؤمن يَرِثُ جَنَّةَ الكافر<sup>(١)</sup>.
- مسألة كون الجنة موروثه وردت في آيات عدة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾.

### التعاليم

- ١ - الجنة ثابتة لمن عمل صالحاً، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٢ - تعدد وتنوع فاكهة الجنة هي من النعم في الجنة، ﴿فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾.
- ٣ - لذاث الجنة كالملذات في هذه الدنيا تتوافق مع الطبيعة البشرية، ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾

### إشارات

- مبسئون من الإبلاس وهو الهم والحزن مع اليأس. ولعل كلمة إبليس أطلقت على الشيطان بسبب يأسه من رحمة الله.
- من خصائص جهنم الخلود، لا يخفف عنهم العذاب، ويعيش أهلها اليأس والهم والغم.

## التعاليم

- ١ - لا بد في التربية من ضمّ الترغيب إلى الترهيب، ﴿وَلَكِ الْجَنَّةُ... الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ﴾.
  - ٢ - عمل الإنسان هو سبب دخوله إلى جهنّم، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾.
  - ٣ - العقاب الإلهي عدل، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾.
  - ٤ - الظلم المستمرّ موجب للعذاب المستمرّ، ﴿خَالِدُونَ... كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.
- ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ (٧٧)

## إشارات

- يستمدُّ أهل جهنّم العون في يوم القيامة من أيّ أحد:
- فتارة يستمدّون العون من المؤمنين: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَضِ مِنْ تَوَكُّمٍ﴾.
- وأخرى يستمدّون العذاب من قادة الظلم: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجُونَ﴾.
- وثالثة من خزنة جهنّم، كآلية أعلاه.
- يتمنّى أهل جهنّم أن يُقضى عليه ويُصيّبهم الفناء، ولا تُستجاب أمنيّتهم. ولذا ورد في آية أخرى: ﴿...لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا...﴾<sup>(١)</sup>.

## التعاليم

- ١ - يصل عمل الإنسان به إلى حدّ يستمدّ العون من خزنة جهنّم، ﴿يَمْلِكُ﴾.
- ٢ - أمنية أهل جهنّم الموت والفناء، ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا﴾.
- ٣ - يبقى أهل جهنّم في العذاب، ﴿مَكِيدُونَ﴾.

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَتَرْمَوْا أَثَرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

### إشارات

□ الإبرام هو بمعنى الحسم والإحكام، واستعمل هنا بمعنى التصميم الجدي على التآمر ضد النبي ﷺ ورفض دينه.

### التعاليم

- ١ - لا يكون العذاب الإلهي إلا بعد إتمام الحجة، ﴿إِنَّكُمْ مَكْنُوثُونَ﴾، لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ.
- ٢ - قليل من الناس يؤمن بالحق، ﴿جِئْتُمْ بِالْحَقِّ... أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.
- ٣ - مبدأ الحق هو الله ﷻ، وملاك الشواب والعقاب هو قبول الحق أو رفضه، ﴿جِئْتُمْ بِالْحَقِّ... لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.
- ٤ - لا يُعاقب الله ﷻ الإنسان على العمل ما لم يصل إلى مرحلة التصميم والبدء بالفعل، والعقاب الإلهي يتناسب مع عمل الإنسان، ﴿أَتَرْمَوْا... مُبْرِمُونَ﴾.
- ٥ - ينبغي أن يعلم منكرو النبوة أن خصمهم هو الله ﷻ، ﴿أَتَرْمَوْا أَثَرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾.
- ٦ - لا يتحرك الكفار إلا على أساس الحسد والظن، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾.
- ٧ - لا يعلم الذين كفروا بربهم أن الله ﷻ يطلع على سرهم، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾.
- ٨ - كل كلام يُسجل ويكتب بواسطة الملك، ﴿رُسُلَنَا... يَكْتُبُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْمَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾

### التعاليم

- ١ - لا بد من استخدام أسلوب المداراة والمماشاة عند محاوراة الكفار: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾، وردت هذه الجملة في الحوار بقصد الاختصار، والله ﷻ لا

يكون له ولد، ولولا مراعاة الاختصار لاستخدمت كلمة «لو» وما يناسبها.

٢ - عند كل كلام فيه احتمال الانتقاص من الله ﷻ فإنَّ من المناسب تنزيه الله ﷻ بعده، ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ... سُبْحَنَ﴾.

٣ - ما حاجة ربِّ السموات والأرض للولد، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾.

﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ (٨٣) ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤)

### إشارات

□ إذا لم ينفع الإنذار ولا الاستدلال، فلا بدَّ من ترك من لم ينفعه ذلك على حاله، كما في الطبيب الذي يتحرَّق لشفاء المريض؛ ولكنه متى يش من ذلك، تركه وحاله.

### التعاليم

١ - إمهال من ليس أهلاً وتركه وحاله سنة من السنن الإلهية، ﴿فَذَرَهُمْ...﴾.

٢ - المعتقدات والأفكار والأعمال غير الصالحة هي ماء آسن يغرق فيه أهل ذلك، ﴿يَخُوضُوا﴾.

٣ - ليس كلُّ بحثٍ وتحقيق يكون ممدوحاً، فبعض البحث قد يكون لعباً، ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾.

٤ - كلُّ ما لا يكون في مدار الحق والمنطق هو نوع من اللعب، ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾.

٥ - للاعبين يومٌ مريّرٌ سوف يلاقونه، ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾.

٦ - لا تأثير لكفر الناس على عظمة الله وعزته، ﴿فَذَرَهُمْ... وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾.

٧ - التوحيد وعبادة الواحد الأحد هما أساس ما وقع فيه الاختلاف بين النبي وبين المشركين. (تكرار كلمة إله تدل على ذلك)، ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾.

- ٨ - الحكمة والعلم المطلقان مختصان بالله ﷻ، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ أَلِيمٌ﴾.
- ٩ - من يستحق العبادة هو من كان موصوفاً بالعلم والحكمة اللامتناهين، ﴿إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ أَلِيمٌ﴾.
- ١٠ - الحكمة تختلف عن العلم. فكثير من العلماء ليسوا من أهل الحكمة، فلديهم العلم ويفتقدون للحكمة. أما الله ﷻ فهو عليم حكيم، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾

### إشارات

- تبارك من البركة بمعنى التعالي، أي إنّ الله ﷻ علو المرتبة.
- تكرر في القرآن الكريم ولتسع مرّات وصف الله ﷻ بصفة ﴿تَبَرَّكَ﴾.
- ذكرت هذه الآية والآية السابقة ثماني صفات كمالية لله ﷻ لتنزيه الله ﷻ عن الاعتقاد بأنّ له ولداً وكلّ وصف يوصف به الله ﷻ بغير الحق.

### التعاليم

- ١ - حاكمية الإله الواحد على نظام الوجود ثابتة لا تقبل الزوال، ﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٢ - الله ﷻ منزّه عن كلّ نقص وحاوٍ لكلّ كمال من الكمالات، ﴿سُبْحَنَ... تَبَرَّكَ...﴾.
- ٣ - لا بدّ في مقابل سوء فهم الآخرين من تعظيم المقدّسات، ﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ...﴾.
- ٤ - الله ﷻ هو المبدأ وهو المقصد، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾.

٥ - لا أحد يعلم وقت الساعة إلا الله ﷻ، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

٦ - إحصار الناس يوم القيامة عام ودون اختيار، ﴿إِنِّي رُجَمُونَ﴾.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

### التعاليم

١ - أصل الشفاعة مقبولة ولكن الشفاعة الموهومة مردودة، ﴿لَا يَمْلِكُ... الشَّفَعَةَ﴾.

٢ - لا بد من أن يبدأ الإصلاح من مصدر الفساد، وحيث كان رأس الشرك هو الأمل بشفاعة المعبود، فهو ما ينبغي أن يئأس منه الناس، ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾.

٣ - من له حق الشفاعة هو من يشهد بالحق، ﴿شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾.

٤ - من له حق الشفاعة لا يشفع لكل أحد ولا أي أحد، بل هم يدركون متى ومن يستحق الشفاعة، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

٥ - للشهادة قيمتها متى كانت على أساس العلم، ﴿شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧)

### إشارات

□ يؤفكون من الإفك وهو الإعراض والانحراف عن المسير الطبيعي.

### التعاليم

١ - يؤمن مشركو مكة بأن الله ﷻ هو الخالق ولكنهم أشركوا بالربوبية والتدبير والشفاعة، فكانوا يرون لغير الله ﷻ دوراً في ذلك، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

٢ - التوحيد أمر فطري والشرك انحراف عن الفطرة الإنسانية، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.



﴿وَقِيلَ يَكْرِبَ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

### إشارات

□ القيل مصدر بمعنى القول.

### التعاليم

- ١ - يلجأ النبيون إلى الله ﷻ عند مواجهتهم أهل العناد، ﴿يَكْرِبَ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٢ - على مبلغى دين الله أن يتوقعوا عدم استجابة الناس كافة للحق، ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾

### إشارات

□ السلام في ثقافة العرب يكون في موردين، أحدهما عند التلاقي والآخر عن الخروج والوداع. كما أننا في ختام كل صلاة نقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والمراد من السلام في هذه الآية سلام الوداع والمغادرة، وكذلك الحال في الفارسية.

### التعاليم

- ١ - دع المشركين المعاندين على حالهم، ولا تجادلهم، ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾.
- ٢ - الحياة بسلام ضرورية حتى مع المشركين، ﴿فَاصْفَحْ... وَقُلْ سَلَامٌ﴾.
- (أقل ما يتوقعه البشر من الدين العيش بسلام في المجتمع).
- ٣ - كل فعل يصدر من نبي الإسلام ﷺ خاضع للأمر الإلهي، ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾.
- ٤ - ينذر الله ﷻ منكري الأنبياء بعذاب شديد، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



# سُورَةُ الدُّخَانِ

السورة: ٤٤ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٥٩





## ملاحم سورة الدخان

سورة الدخان مكيّة وعدد آياتها تسع وخمسون آية، وهي خامسة السور التي تبدأ بالحروف المقطّعة التالية: حم.

وردت كلمة دخان مرّتين في القرآن الكريم، إحدى هاتين المرّتين ترتبط ببدء العالم وقد وردت في صورة فصلت، والأخرى ترتبط بنهاية العالم وهي التي وردت في الآية العاشرة من هذه السورة.

أكثر مضامين آيات هذه السورة مرتبط ببيان عظمة القرآن ونزوله في ليلة القدر ومسائل التوحيد ومصير الكفّار وقصة موسى وبني إسرائيل وفرعون، وعدم العبث في خلق السموات والأرض.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣)﴾

### إشارات

- كلمة مبارك من البركة وهي الخير الثابت وضده كلمة شؤم.
- المراد من الليلة المباركة هي ليلة القدر التي تقع في شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾<sup>(١)</sup>.
- ذكروا للحروف المقطعة وجوهاً كثيرة، ولعلّ أفضل هذه الوجوه هو أن القرآن وهو المعجزة الإلهية الكبرى نزل بهذه الحروف، كما قال تعالى في سورة الشورى بعد قوله: حم، عسق، ﴿كَذَلِكَ يُوحَى﴾، أي بهذه الحروف يتم الوحي. نعم، ورد في بعض الروايات أنّ في الحروف المقطعة سرّاً لا يعرفه إلا الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.
- كلمة مبين من الإبانة وهي الوضوح. إنّ من الظلم الذي لحق بالقرآن الكريم أنّ بعض الأكابر ذكر أنّ القرآن قطعيّ الصدور وظنيّ الدلالة. ولكنّ هذا الرأي غير صحيح، بل هو في مقابل صريح القرآن الكريم؛ لأنّ الله ﷻ وصف القرآن بأنّه نور من الله، مبين، فاصل بين الحقّ والباطل. كما ورد في هذه الآيات قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
- نعم في القرآن آيات متشابهات متعدّدة المعنى المراد، ولكن هذه الآيات يستبين المراد منها بالرجوع إلى سائر الآيات.
- القرآن مبارك من كلّ جهة:

أ - بلحاظ من أنزل من عنده: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ...﴾<sup>(٣)</sup>.

ب - بلحاظ نفسه: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(٣) سورة الفرقان: الآية ١.

(٤) سورة ص: الآية ٢٩.

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) تفسير نور الثقلين. ج ١، ص ٣٠.

ج - بلحاظ زمان نزوله: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ﴾.

سؤال: إذا كان القرآن قد أنزل في ليلة القدر، فكيف نزل على النبي ﷺ تدريجاً في مدة استمرت لثلاث وعشرين سنة؟

الجواب: القرآن الكريم نزل في ليلة واحدة ودفعة واحدة على قلب النبي ﷺ، ثم أنزل تدريجاً طيلة ثلاث وعشرين سنة. كما لو أنك أعطيت شخصاً صندوقاً مليئاً بالثياب دفعة واحدة، ثم بعد ذلك فتحت ذلك الصندوق وبدأت تعرض له تلك الثياب، أو كما لو أهداك شخص ديوان حافظ الشيرازي، ثم في كل مناسبة يتلو عليك بعض أبيات ذلك الديوان.

□ ورد في هذه الآية وصف زمان نزول القرآن بأنه مبارك، وفي آيات أخرى ورد وصف زمان نزول العذاب بأنه نحس: ﴿أَيَّامٌ نَّحْسَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>، فكون الأيام مباركة أو نحسة مرتبط بالأحداث الحلوة أو المرة التي تجري فيها، أو أنّ في ذلك الزمان خصوصية لا نعلمها، كما أثنى القرآن على المستغفرين بالأسحار، ومنها يُعلم أنّ للزمان خصوصية لا ندركها.

### التعاليم

١ - المتداول في زمان النبي ﷺ أنّ القرآن كتاب مقدس؛ (ولذا يُقسم به الله ﷻ)، ﴿وَالْكِتَابِ﴾.

٢ - أنزل القرآن من مكان عالٍ لأجل هداية الإنسان إلى النور، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

٣ - الأزمنة مختلفة وبعضها أفضل من بعض وأكثر قداسة، ﴿لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ﴾.

٤ - الليل أفضل وقت للاهتمام بالمسائل الروحية والمعنوية، ﴿لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ﴾.

٥ - الإنذار ستة من السنن الإلهية، ﴿كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

٦ - الإنذار لأهل الغفلة مفيد أكثر من الترغيب والبشارة، ﴿مُنْذِرِينَ﴾.

## ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

### التعاليم

- ١ - ليلة القدر تتكرر في كل سنة ﴿يُفَرَّقُ﴾؛ (الفعل المضارع يدل على الاستمرار).
  - ٢ - ما يقدر في ليلة القدر يتعلق بالأمور المصيرية والأساسية، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.
  - ٣ - ليلة القدر ليلة مصيرية، ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.
- ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾

### إشارات

□ الله ﷻ هو مصدر الرحمة فهو (الرحمن الرحيم)، وكذلك النبي ﷺ مصدر للرحمة ﴿...رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وكذلك القرآن هو كتاب رحمة، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

□ يكفي في عظمة القرآن الكريم:

- أنه أنزل في ليلة مباركة: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾.
- كتاب واضح الدلالة وبين المراد: ﴿الْمُبِينُ﴾.
- رحمة من الله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

### التعاليم

- ١ - نزول القرآن الكريم مسألة في غاية الأهمية عند الله ﷻ، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾.
- ٢ - ليس لأحد من الناس من دور في نزول القرآن الكريم، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ... أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾.
- ٣ - كل ما يقدر في ليلة القدر هو من عند الله، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾.

- ٤ - إرسال الأنبياء وإنزال الكتب السماوية سنة من السنن الإلهية، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.
- ٥ - لا يكفي نزول الكتاب فقط، بل لا بد له من مبین، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ... إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.
- ٦ - الهدف من نزول الكتاب مع النبي النذير هو التربية والرحمة، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.
- ٧ - لا ينبغي أن نذهب باتجاه شخصيات أخرى أو التمسك بقوانين أخرى؛ لأنَّ الله ﷻ هو العليم بالحقيقة على الدوام، ونزول الكتاب، وإرسال الأنبياء وما يقدر في ليلة القدر يستند إلى علمه بحاجات البشر، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ (٧)

### التعاليم

- ١ - عالم الوجود كله تحت الربوبية والتدبير الإلهي، ﴿رَبِّكَ... رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.
- ٢ - لا ينبغي أن ننظر إلى القرآن نظرة البساطة، فإنَّ منزل هذا القرآن هو ربَّ السموات والأرض وكلِّ الظواهر، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ... رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾.
- ٣ - إنَّ من يتمكَّن من إدارة نظام الوجود هو من يملك العلم الكامل بحقائق الأشياء، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٤ - الدقة في الخلق وإدارة عالم الوجود وتكامله هو سبب الوصول إلى اليقين، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨)

### التعاليم

- ١ - لا بدَّ من أن يملك المعبود القدرة على الإمامة والإحياء، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.



٢ - الإمامة والإحياء فعل دائم لله سبحانه وتعالى، (يحيي ويميت وردتا بصيغة الفعل المضارع، وهو يدلّ على الاستمرار).

٣ - ربوبية الله ﷻ لعالم الوجود دليل على أنّه لا معبود سواه. (فبلحاظ الجغرافيا تدبير أمر السموات والأرض بيد الله ﷻ)، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، وبلحاظ التاريخ فأنتم وآباؤكم خاضعون لربوبيته تعالى، ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ رَبِّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

٤ - المجتمع البشري في حالة تكامل، ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

٥ - الموت والحياة في سبيل التكامل الإنساني، (جملة - يحيي ويميت - وقعت بين كلمتي رب).

٦ - شرك الآباء مدان أيضاً؛ لأنّ الله ﷻ هو ربكم ورب الآباء أيضاً، ﴿وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ ﴿١١﴾ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

### إشارات

□ وردت كلمة (فارتقب) مرتين في القرآن الكريم وهما معاً في هذه السورة. وهذا التعبير فيه تهديد للكفار وتسليّة للنبي ﷺ.

□ وإن كان ظنّ بعضهم أنّ ظهور الدخان كناية عن القحط وسوء الحظّ في هذه الدنيا؛ ولكنّ الظاهر أنّ المراد من الدخان هو ما يحصل في بدايات القيامة أو في نفس القيامة.

### التعاليم

١ - لا بدّ من أن يكون الشكّ مقدّمة للبحث وتحصيل اليقين، لا دافعاً للغفلة والبطالة. والشكّ الدائم هو مورد ذمّ وتوبيخ، ﴿فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

٢ - لا إيهام ولا غموض في أدلّة التوحيد، وجذور شكّ الكفار ترجع إلى صفة العناد الموجود في نفوسهم، ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾.

٣ - منكرو منطق الوحي لا برهان لديهم، وسعيهم وحياتهم هي لعب، ﴿فِي سَكِّ يَلْعَبُونَ﴾.

٤ - بعد الاستدلال يأتي دور التهديد، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... فَأَرْتَقِبْ﴾.

٥ - السموات سوف تتحول في المستقبل إلى دخان، ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا...﴾.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

### التعاليم

١ - هؤلاء الذين يتخذون الدين لعبة، سوف يتجهون من غفلتهم وترددهم، فيبدأون بالدعاء والالتماس، ﴿يَلْعَبُونَ... رَبَّنَا اكْشِفْ﴾.

٢ - لا أثر للتوبة عند نزول العذاب، ﴿رَبَّنَا... أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾.

٣ - العذاب الإلهي لا يكون إلا بعد إتمام الحجة، ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ...﴾.

٤ - كتاب الله مبين، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾<sup>(١)</sup>، والرسول كذلك، ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنٍ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

### إشارات

□ الانتقام الإلهي من الظالمين ليس من باب التشفي بل لتطيق العدل.

□ كلمة بَطْش، بمعنى الأخذ بصولة وهيبة وشدة، وذكر بعضهم أن المراد من الأخذ بشدة هو هزيمة المشركين في معركة بدر.

## التعاليم

- ١ - يسعى الكفار لتبرير فعلهم بأي طريق كان، ﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا...﴾.
- ٢ - العناد سبب لانحراف الإنسان في عمله ﴿تَوَلَّوْا﴾، كما في قوله: ﴿مُعَلِّمٌ يَجْعَلُ﴾.
- ٣ - يرى المشركون أن تعاليم الأنبياء متلقاة من تعاليم الجن، ﴿وَقَالُوا مُعَلِّمٌ لِّبَنِي النَّاسِ﴾.
- ٤ - رفع الله ﷻ العذاب عن الناس لمرات ومرات واستجاب الدعاء، ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾.
- ٥ - متى رأى المذنب العذاب الإلهي أعلن إيمانه، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾؛ ولكن إذا رُفِعَ عنه العذاب عاد إلى ما كان عليه، ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾.
- ٦ - الإنسان بطبعه نساء، فما إن تمر أيام من رفع العذاب عنه يعود مرة أخرى إلى ذنوبه ومعاصيه، ﴿فَلْيَلْأَ إِنَّكَ عَائِدُونَ﴾.
- ٧ - الله ﷻ مصدر الرحمة، ولكن في موارد يكون عذابه شديداً. فمن يجعل الوحي العوبة، سوف يناله العذاب الشديد، ﴿الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾.
- ٨ - الله ﷻ هو الذي يحمي رسله. وينتقم ممن يتهم الأنبياء بأنه يتلقى تعليمه من الجن، ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدَ اللَّهِ إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٨﴾﴾

## إشارات

□ كلمة «فتنة» في الأصل تعني وضع الذهب في النار لتخليصه من الشوائب، ثم أُطْلِقَتْ على كل امتحان واختبار يجري لمعرفة نسبة خلوص البشر.

## التعاليم

- ١ - بعثة الأنبياء إلى الناس فيها نوع من الاختبار والامتحان لكي يُعرف من يؤمن بالحق مَن يعاند في ذلك: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا... جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾، (لعل المراد من ترك قوم فرعون هو تركهم يستغلون الناس لاختبارهم).
- ٢ - الاختبار الإلهي سَنَة مستمرة وحتمة، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾.
- ٣ - عبر التاريخ تسليّة للنبي ﷺ وتهديد للكفار، ﴿قَبْلِهِمْ﴾.
- ٤ - لا بدّ لمن يختاره الله ﷻ من أن يمتلك الأهلية اللازمة قبل ذلك، ﴿كَرِيمٌ﴾.
- ٥ - من وظائف الأنبياء نجاة المؤمنين من يد الظالمين، ﴿أَدْوَا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ﴾. (نعم، استخدام الطبقة المحرومة واستغلالها هو من أعظم المفسد الاجتماعية التي يقع على رأس مهام الأنبياء مواجهتها).
- ٦ - أمر عباد الله لا بد من أن يكون بيد أولياء الله، ﴿أَدْوَا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ﴾.
- ٧ - الناس عباد الله، فكيف يستعبدهم فرعون، ﴿أَدْوَا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ﴾.
- ٨ - قيادة الأنبياء لأجل مصلحة البشر، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.
- ٩ - ينبغي على الإنسان في بعض الموارد أن يصرّح بما يملك من كمالات، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.
- ١٠ - سرّ النجاح في المجتمع نيل ثقة الناس وأن يكون محلّاً للاعتماد عندهم، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.
- ١١ - الأمانة في تلقّي الوحي وإبلاغه للناس هو من الصفات الضرورية في الأنبياء، ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.
- ١٢ - طلب النبي موسى ﷺ من فرعون أن يترك بني إسرائيل هو من باب وظيفة النبوة والرسالة؛ وليس لأجل حماية قومه وقبيلته، ﴿أَدْوَا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتَيْتُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٩) ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَيْكَزُ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ (٢٠) ﴿وَأَنْ لَّيْ تَأْتِيَنِي لِي فَأَعْرَضُونِ﴾ (٢١) ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لَاءَ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ﴾ (٢٢)

### التعاليم

- ١ - رفض دعوة الأنبياء والاستغلال الظالم للناس هو من الاستعلاء على الله ﷻ. (ولذا خاطب موسى قومه الذين كانوا يستغلون الناس ظلماً بأن لا يستعلوا على الله ﷻ)، ﴿لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾.
- ٢ - عالم الوجود كله خاضع لله ﷻ: ﴿...كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾<sup>(١)</sup>. والإنسان هو الذي ورد النهي عن علوه على الله ﷻ، ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا﴾.
- ٣ - لا بد في التبليغ مضافاً إلى الكمالات المعنوية، ﴿كَرِيمٌ... أَمِينٌ﴾، والتي تعرض لها في الآية السابقة، من توافر المنطق والاستدلال أيضاً، ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، (من يمتلك المعجزة والبرهان الواضح هو الذي يتمكن من مواجهة فرعون)، ﴿أَدْوَا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ... بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.
- ٤ - إذا وُجد العناد فإن روح الأنبياء وهيبتهم وهم أهل الكرم والأمانة وأهل المنطق والدليل تكون في خطر، ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾.
- ٥ - لا ينبغي للتهديد والاتهام أن يكون مانعاً للإنسان من العمل، ﴿إِنِّي عُدْتُ... أَنْ تَرْجُمُونِ﴾. (المراد من الرجم إما الاتهام أو الرجم بالحجارة).
- ٦ - المقابلة بالمثل تنفع في العمل التبليغي. (ففي مقابل دعوى فرعون: ﴿...أَنَا رَبِّكُمْ﴾ يكرر موسى: ﴿...بِرَبِّي وَرَيْكَزُ﴾).
- ٧ - ما لم يلجأ الإنسان إلى الله ﷻ ويستعذ به فإنه لا يمكنه الوقوف في وجه الظلمة، ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَيْكُمْ﴾.
- ٨ - الإيمان بالنبي إيمان بالله ﷻ. (استخدم قوله: ﴿وَأَنْ لَّيْ تَأْتِيَنِي لِي﴾، بدل قوله: «إن لم تؤمنوا بالله»).

٩ - قد يكون الابتعاد والعزلة أمراً مفيداً أحياناً، ﴿فَاعْتَرِلُونِ﴾، (من موارد النهي عن المنكر الإعراض عن فاعل المنكر).

١٠ - مع أن النبي موسى ﷺ كان يمتلك المعجزة، ولكنه لم يطلب الصراع مع منكري دعوته، بل سار ببرنامج يتطابق مع أهدافه من خلال المنطق لا الصراع، ﴿فَاعْتَرِلُونِ﴾.

١١ - بعد طَيِّ مراحل من الدعوة والهداية، يجوز إظهار الغضب، ﴿فَدَعَا...﴾.

١٢ - إذا كان الذنب والفساد راسخاً في الإنسان فلن يكون لدعوة الأنبياء أي أثر، ﴿أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ بِمَا بِأَيْ لَيْلًا إِنَّكُمْ تُتَّبَعُونَ﴾ (٣٣) وَأَتْرِكِ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ ﴿٣٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿٣٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكِيهِينَ ﴿٣٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

### إشارات

□ أسرٍ من الإسراء بمعنى السير في الليل. و«رهوًا» بمعنى الطريق المفتوح الواسع والأمن.

□ النعمة بكسر النون هي التنعم، ويفتح النون هي نفس النعمة<sup>(١)</sup>.

□ كلمة فاكهين من الفاكهة بمعنى مستمتعين بشمر الفاكهة، وقيل من الفكاهة وهي الحديث السار.

□ نظراً إلى أن نهر النيل عظيم عبَّر القرآن الكريم عنه بالبحر.

### التعاليم

١ - بعض الأدعية يُستجاب بسرعة، ﴿فَدَعَا... فَأَسْرِي﴾، (حرف الفاء علامة على السرعة).

- ٢ - لا بدّ من أن يقترن الدعاء بالسعي، ﴿فَدَعَا... فَأَسْرَ﴾.
- ٣ - ينبغي أن يُلاحظ الزمان في التخطيط لأنّ له أثراً، ﴿يَلَا﴾.
- ٤ - فرار بني إسرائيل ليلاً بقيادة النبي موسى ﷺ كانت نوعاً من المواجهة الصامتة مع فرعون الذي لم يتحمّل منهم ذلك ولذا أرسل جنده لتعقبهم، ﴿إِنَّا كَرُّ مُتَّبِعُونَ﴾.
- ٥ - لا بدّ من الهجرة من بلاد الكفر إذا لم يتمكّن الإنسان من الوصول إلى أهدافه، ﴿فَأَسْرَ﴾.
- ٦ - بيث الله ﷻ روح الطمأنينة في نفوس المؤمنين، ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾.
- ٧ - كلّ طريق مفتوح لا يدلّ على اللطف الإلهي، فالله ﷻ أبقى طريق البحر مفتوحاً لكي يدخل فيه فرعون وجنده فيغرقون بذلك، ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ... إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾.
- ٨ - شارك أصحاب البساتين والبيوت والقصور في التعبئة التي قام بها فرعون ضدّ موسى ﷺ، ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.
- ٩ - الإمكانات المادّية لا تشكّل سبباً للنجاة أمام العذاب الإلهي، ﴿كَمْ تَرَكُوا...﴾.
- ١٠ - سنة الله ﷻ إفناء وإهلاك القوم الظالمين واستبدالهم بقوم آخرين، ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا﴾.
- ١١ - نعم الدنيا سريعة الزوال، ﴿كَمْ تَرَكُوا... وَنَعَمَ كَانُوا فِيهَا فَنَكِيهِينَ﴾.
- ١٢ - الفرق في الحياة الدنيا يجعل الإنسان في صفّ المنكرين للحقّ، ﴿كَانُوا فِيهَا فَنَكِيهِينَ﴾.
- ١٣ - الثروة ليست سبباً للسعادة، بل لعلّها تكون أحياناً سبباً للهلاك، ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ... وَزُرُوعٍ... وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾

### إشارات

□ ذكر بعض المفسّرين أنّ عدم بكاء السماء والأرض ربما كان كناية عن

حقارتهم، وعدم وجود وليّ ولا نصير لهم ليحزن عليهم ويبكيهم، ولكن ظاهر هذه الآية أنّ نوعاً من الإحساس والشعور موجود في عالم الوجود عبّر عنه القرآن الكريم بالبكاء.

### التعاليم

- ١ - الأرض والسماء تمتلكان شعوراً وإدراكاً وإحساساً، ﴿فَمَا بَكَتْ﴾.
- ٢ - إذا وجدت الإرادة الإلهية فإنّ التعاون يتحقّق في عالم الوجود، ﴿السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾.
- ٣ - الإمهال من قبل الله ﷻ له شروط، فقد يصل الذنب درجة لا يدع فرصة للإمهال، ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيّاً مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَنبَتْنَاهُمْ مِنْ آيَاتٍ مَا فِيهِ بَلَكُوا مُبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾

### إشارات

□ بلحاظ أنّ الله ﷻ جعل أمة المسلمين خير أمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾<sup>(١)</sup>، فالمراد من تفضيل بني إسرائيل على العالمين هو تفضيلهم على أهل زمانهم لاتباعهم كتاب الله أو تفضيلهم في بعض الخصائص كشقّ البحر ونزول المن والسلوى.

### التعاليم

- ١ - التحولات التاريخية جميعاً بيد الله ﷻ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا﴾.
- ٢ - يبعث الله ﷻ الطمأنينة في نفس النبي ﷺ، وفي نفوس المؤمنين من خلال حديثه عن نجات المؤمنين من الأمم السابقة، ﴿بَعَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.



- ٣ - العيش في حكومة الطاغوت عذاب ذلة، ﴿بَجَيْنَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.  
 ٤ - سرُّ هلاك الإنسان خلقه وعمله، ﴿كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.  
 ٥ - الفعل الإلهي يقوم على العلم، ﴿اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.  
 ٦ - العطاء الإلهي وسيلة للابتلاء، ﴿ءَاتَيْنَاهُمْ...﴾.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ فَأَنُؤَا بِنَابِئِنَا إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتُمْ إِنَّمَا كَانُوا تُحَرِّمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

### إشارات

□ اختلفت آراء المفسرين في بيان المراد من قوم تبع ومن ذلك:

- أ - إنهم ملوك اليمن لأن الناس كانت تتبّعهم فأطلق عليهم قوم تبع.  
 ب - الملوك الذين كان يأتي أحدهم بعد الآخر (أي كانوا تابعين لبعضهم البعض).

ج - تبع اسم شخص كان حسناً ولكن أتباعه كانوا أهل سوء.

□ تعرّض القرآن الكريم لبعض الأسباب الموجبة للهلاك والوقوع في العذاب الإلهي من ذلك:

الفسق، والمكر، والتكذيب، والظلم، والاستكبار، والطغيان، والذنوب.  
 قال تعالى: ﴿...فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿...فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ...﴾<sup>(٢)</sup>.

□ لا أثر للمعجزة على أهل العناد، فالذي ينكر وجود حياة بعد الموت، أو الذي يقول: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هو من أهل العناد.

## التعاليم

- ١ - لا مانع من سرد العقائد الباطلة والخرافات التي يؤمن بها الآخرون إذا لم يترتب على ذلك أثر سلبي، ﴿لَيَقُولُوا﴾.
- ٢ - الإيمان بالمعاد هو حدّ الإيمان والكفر. (فالمشركون كانوا يؤمنون بأنّ الله ﷻ هو خالقهم، ولكنهم كانوا ينكرون المعاد)، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشِرِينَ﴾.
- ٣ - أمر المعجزة بيد الله ﷻ، لا بيد الناس، ﴿فَأَنذَرْنَا نَذَارًا﴾.
- ٤ - التاريخ أفضل درس للاعتبار، ﴿ثُمَّ تَبَعَ﴾.
- ٥ - الذنب سبب للهلاك، ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ...﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ۖ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾

## إشارات

□ اللعب هو كلُّ عملٍ لا هدف منه وغير مخطّط له ولا ثمرة تترتب عليه، كلعب الأطفال.

□ هاتان الآيتان بمنزلة المقدّمة للآيات التالية المتعلقة بيوم القيامة، وكأنّ الآيات تُشير إلى أنّ القيامة لو لم تكن فإنّ هذا يعني أنّ الخلق يكون بلا غاية؛ لأنّ عالم الوجود كان لأجل الإنسان، ولو أنّ حياة البشر تُختتم بالموت ولا شيء بعد الموت فهذا يعني أنّ عالم الوجود كلّّه باطل. ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

## التعاليم

- ١ - خلُق عالم الوجود كان لغاية، إذا لا ينبغي أن نكون بلا هدف، ﴿وَمَا خَلَقْنَا... لِعَيْبٍ﴾.
- ٢ - ليس الهدف من عالم الوجود سوى الحق، ولو أنّنا لم ندرك الهدف من الخلق فإنّ هذا يرجع إلى قصورنا ومحدودية إدراكنا، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

٣ - لا ينتظر الحكيم حكم الآخرين على فعله، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٤ - العلم الحقيقي هو الإيمان بحقانية وحكمة الفعل الإلهي، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ... لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

### إشارات

□ لأن خلق العالم كان بحق، إذاً لا بد من وجود يوم القيامة، فالله ﷻ الحكيم خلق الوجود بحق، فلن ينتهي هذا الوجود بالموت.

□ كلمة مولى، تعني الصديق، والولي، والخادم، والعبد.

### التعاليم

١ - يوم القيامة هو يوم الفصل بين الحق والباطل، وبين المحسن والمسيء، ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾.

٢ - لا يُستثنى أحد من الحضور في يوم القيامة، ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

٣ - في يوم القيامة تنقطع كل صلة إلا الشفاعة، ﴿لَا يُغْنِي مَوْلَى... إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾.

٤ - لا وجود للعون على الإطلاق في يوم القيامة، ﴿شَيْئًا﴾.

٥ - لا عون في يوم القيامة لا من شخص لشخص ﴿مَوْلَى عَنْ مَوْلَى﴾، ولا من جماعة لجماعة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٦ - على الرغم من كون الناس مجموعين كافة في يوم القيامة، ولكن كل واحد منهم ونفسه، ﴿أَجْمَعِينَ... وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٧ - الله ﷻ الذي بيده القدرة والرحمة هو العزيز بالنسبة للكفار وهو الرحيم بالمؤمنين، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿١٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿١٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿١٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿١٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿١٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

### إشارات

□ الزقوم نوع من الطعام الكريه الرائحة في جهنم. ورد في الآية ٦٣ من سورة الصافات التالي: ﴿شَجَرَتَ الزُّقُومِ... إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾. فكما أن الكافر والمجرم يخلد في جهنم فكذلك شجرة الزقوم بإرادة من الله ﷻ.

□ الأثيم هو من كان غارقاً في الذنوب.

□ المهل هو الفلز أو المعدن المذاب أو الملوّث.

□ فاعتلوه أي اسحبوه كرهاً وبعنف.

### التعاليم

١ - المعاد جسماني. (فالطعام والشراب والماء المغلي علامة كون المعاد جسمانياً)، ﴿طَعَامٌ﴾.

٢ - الذنب سبب لتزول العذاب الإلهي، ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾.

٣ - عذاب القيامة جسماني وروحاني. (فالعذاب الجسماني في الماء المغلي والعذاب الروحي بالاستهزاء والاحتقار والإهانة، بأنهم هم الذين كانوا في الدنيا لا يرون العزة والكرامة إلا لأنفسهم)، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.

٤ - يحترق أهل جهنم بالنار من الداخل والخارج، ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِّبِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

### إشارات

- السندس هو الحرير الناعم، والاستبرق هو الحرير السميك.
- الحور جمع حوراء وهي المرأة التي تكون سوداء العينين وبيضاء الجسم وكلمة «عين» من العيناء بمعنى صاحبة العيون الواسعة.
- الأمان هو أفضل النعم الإلهية؛ لأنَّ المقام الأمين ذُكرَ قبل سائر النعم. نعم، الأمان في الجنة أمان عام وشامل، فلا خوف من الموت ولا منافس، ولا حسد ولا زوال ولا انقراض.
- الطمانينة في الجنة هي بلحاظ أصل المقام ﴿مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، وبلحاظ الطعام أيضاً: ﴿بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ﴾، ففي الدنيا عندما يأكل الإنسان العديد من الفاكهة يُبتلى بالأمراض المتعددة.

### التعاليم

- ١ - التقوى هي سبب نيل نعم الجنة، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ...﴾.
- ٢ - التقوى والخوف اليوم هما سبب الأمان غداً، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.
- ٣ - إلى جانب الخوف لا بدَّ من وجود الأمل والرجاء، ﴿شَجَرَتْ أَلْرُّقْمُ...﴾ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ.
- ٤ - نعم الجنة متعددة ومتنوعة، ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.
- ٥ - التخلّي عن لبس الفاخر من الثياب والحرير في أيام معدودة في هذه الدنيا موجبٌ لنيل النعم الأبدية في الآخرة، ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾.
- ٦ - العري ليس فعلاً حسناً حتى في الجنة، ﴿يَلْبَسُونَ﴾.
- ٧ - التقابل في ظلّ التقوى أمر ممدوح. وما يكون سبباً في زيادة الفتنة هو تقابل من ليس من أهل التقوى، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ... مُتَقَلِّبِينَ﴾.

- ٨ - لأهل الجنة مجالس أنس وصداقة، ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾.  
 ٩ - لا وجود في الجنة للإعراض والإشاحة، ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾.  
 ١٠ - الوساطة في زواج الجنة هو الله ﷻ، ﴿وَوَدَّعْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَا مَن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

### التعاليم

- ١ - الوقاية في الدنيا سبب للوقاية في الآخرة. فمن حفظ نفسه في هذه الدنيا بالتمسك بالتقوى، سوف يحفظه الله ﷻ في الآخرة من نار جهنم، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾.  
 ٢ - الجنة خالدة، وأهل الجنة في أمان من قلق الموت، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ...﴾.  
 ٣ - ليس لأحدٍ على الله ﷻ من حق، بل كله من فضل الله، ﴿فَضَلَا مَن رَّبِّكَ﴾.  
 ٤ - كافة نعم الجنة هي في ظلّ اللطف الإلهي، ولولا الهداية وجهد النبي لما وجد المتقون ولما وصلوا إلى الجنة، ﴿فَضَلَا مَن رَّبِّكَ﴾.  
 ٥ - السعادة الحقيقية تكون في ظلّ التقوى والنجاة من جهنم، ﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

### إشارات

□ من اهتمام الله ﷻ بنبِيِّه الكريم ﷺ أنه ذكر بعض أعضاء جسمه في القرآن الكريم من ذلك:

أ - الوجه، في قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَىٰ نَفْسٌ وَجْهَكَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

- ب - العين، في قوله ﴿لَا تَدْنُ عَيْنُكَ﴾<sup>(١)</sup>.
- ج - اللسان، في قوله ﴿فَالْتَمَّا يَسَّرْنَاهُ يَلْسَانُكَ...﴾<sup>(٢)</sup>.
- د - الظهر، في قوله: ﴿الَّتِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- هـ - اليد، في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً...﴾<sup>(٤)</sup>.
- و - العمر، (لعمرك) في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ز - العنق، في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ...﴾<sup>(٦)</sup>.
- ح - القلب، في قوله: ﴿...لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾<sup>(٧)</sup>.
- ط - الصدر، في قوله: ﴿الَّذِي نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ﴾<sup>(٨)</sup>.
- بدأت هذه السورة بتعظيم القرآن واختتمت بوصف القرآن بأنه ذكر.

### التعاليم

- ١ - نعمة البيان هي من النعم الإلهية، ﴿يَسَّرْنَاهُ يَلْسَانُكَ﴾.
- ٢ - الهدف من نزول القرآن تذكير الناس، ﴿يَسَّرْنَاهُ... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ٣ - معارف القرآن مطابقة للفترة. (الإنسان يدرك الحقائق في داخله، ولكن لأسباب ينسى ذلك، ولذا هو بحاجة إلى تذكير)، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.
- ٤ - لقد أتم الله ﷻ الحجة على الناس بإنزال هذا القرآن، فإن رفضتم ذلك فانظروا عذاب الله، ﴿فَأَرْقُبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾.
- ٥ - بث الطمأنينة في نفوس الأتباع، والتهديد للأعداء، ﴿فَأَرْقُبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾.

### والحمد لله رب العالمين

(٥) سورة الحجر: الآية ٧٢.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٧) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٨) سورة النشرح: الآية ١.

(١) سورة الحجر: الآية ٨٨.

(٢) سورة مريم: الآية ٩٧.

(٣) سورة الانشراح: الآية ٣.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٢٩.



# سُورَةُ الْجَانِّاتِ

السورة: ٤٥ الجزء: ٢٥

عدد الآيات: ٣٧







## ملاحح سورة الجاثية

سورة الجاثية مكية وعدد آياتها سبع وثلاثون.

اسم هذه السورة مأخوذ من الآية الثامنة والعشرين، والجاثي هو من يجلس على ركبته.

ورد في الآية الأولى وفي الآية الأخيرة من هذه السورة وصف الله ﷻ بأنه عزيز حكيم.

أكثر مضامين هذه السورة ترتبط بعظمة القرآن، أدلة التوحيد، الرد على الماديين، ذكر قصص بعض الأمم السابقة، إنذار الضالين، الدعوة إلى العفو والصفح وإشارات إلى بعض مواقف القيامة.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

### إشارات

□ الله ﷻ حكيم: ﴿...الْحَكِيمِ﴾، وكتابه حكيم: ﴿بِسْمِ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (١)،  
والنبي ﷺ معلّم الحكمة أيضاً: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٢).

□ كتاب الله ﷻ أمام أعين جميع الناس، ولكن من يهتدي به هم المتّقون  
فحسب: ﴿...هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٣)؛ ومن يهتدي بالتفكير في خلقه هم المؤمنون لا  
غير: ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

### التعاليم

- ١ - القرآن الكريم مؤلّف من هذه الحروف العربيّة التي هي تحت نظر الجميع،  
وقد أنزل تدريجاً على النبي ﷺ، ﴿حَمْدٌ، تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾.
- ٢ - بعثة الرسول ﷺ وإنزال الكتاب من أعظم النعم الإلهيّة، ولذا ورد التعرّض  
لهما قبل التعرّض لنعمة خلق السموات والأرض، ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾.
- ٣ - لا بدّ في أسلوب التبليغ من بيان مكانة القرآن أولاً، ثمّ التعرّض لِمَا جاء فيه  
من تذكير أو من أوامر، ﴿تَنزِيلُ... الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٤ - القرآن الكريم أصيل، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾؛ وهو مصون، ﴿الْعَزِيزِ﴾.
- ٥ - مبدأ نظام التكوين ونظام التشريع واحد، وبينهما كمال الانسجام، ﴿تَنزِيلُ  
الْكِتَابِ... إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ﴾.
- ٦ - يشجّع القرآن على اكتشاف الطبيعة بغرض معرفة الله ﷻ، ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٣) السورة نفسها: الآية ٢.

(١) سورة يس: الآيتان ١ - ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٩.

٧ - في صفحات كتاب الطبيعة آيات للمؤمنين كما في القرآن الكريم، ﴿الْمُتَوَكِّلِينَ وَالْأَرْضِ لَأَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ١ ﴿وَخِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٥

### إشارات

□ تتعرّض الآيات من الثالثة إلى الخامسة لبعض مظاهر الخلق، وفي ختام كل آية منها، تجعل المخاطب بها فئة من الناس؛ فتارة أهل الإيمان، وأخرى أهل اليقين، وثالثة أهل التعقل. ولعلّ ذلك لأنّ طريق الإيمان لا ينفصل عن طريق العقل، وهما معاً يوصلان الإنسان إلى اليقين.

نعم في خلق الإنسان والدواب أمور دقيقة وواسعة؛ والدقة والتأمل فيها من موجبات اليقين.

□ تنظيم حركة الأرض وتتابع مجيء الليل والنهار هما مظهر من مظاهر صفتي القدرة والحكمة الإلهية. فلو عُدِمَت هذه الحركة أو كانت أسرع لتعطّلت حياة الإنسان، ولذا لا تُعرف أهمية النعمة ولا يُعرف قدرها إلّا إذا فقدتها الإنسان.

□ للريح والمطر، والليل والنهار دور مهم في حياة المخلوقات على هذه الأرض، ولذا تعرّض لهما في آية مستقلة.

□ أنزل الله ﷻ الكتاب لإحياء القلوب وأنزل المطر لإحياء هذه الأرض.

□ المراد من اختلاف الليل والنهار، مجيء أحدهما بعد الآخر، أو اختلاف ساعات الليل وساعات النهار حيث يكون أحدهما أطول من الآخر أحياناً والعكس أحياناً أخرى.

□ في الرياح نِعَمٌ ثلاث: جرّ السحاب، تلقيح النبات، وتنقية الهواء.

□ كلّما تعرّض القرآن الكريم للحديث عن الليل والنهار، ذكر الليل قبل النهار، ﴿الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

## التعاليم

- ١ - عالم الوجود كله كتاب لمعرفة الله ﷻ. فالسماوات، والإنسان والدواب توصلنا جميعها نحو هدف واحد، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾.
- ٢ - من النعم الإلهية ما بث في الأرض من دواب، ولولا ذلك لتعطلت حياة الإنسان، ﴿يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾.
- ٣ - خلق السموات والأرض في جهة، وخلق كافة الدواب في جهة، وخلق الإنسان في جهة، ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا يَبُتُّ﴾؛ (تعرض للإنسان قبل سائر الدواب وبشكل منفصل لبيان أهميته).
- ٤ - التفكير في عالم الوجود طريق للوصول إلى اليقين، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.
- ٥ - السماء هي باب رزق الإنسان، ﴿مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾.
- ٦ - للأرض موت وحياة ففيها دائماً ظاهرة الخريف والربيع، ﴿فَأَخْبَا بِهِنَّ الْأَرْضُ بِعَدِّ مَوْتِنَا﴾.
- ٧ - حركة الرياح ليست أمراً يحصل صدفة، بل طبقاً للتخطيط الإلهي، ﴿وَنَصْرِيفِ الرَّيْحِ﴾.
- ٨ - كتاب الوجود مليء بالآيات، ومعرفتها تتوقف على التفكير والتدبر فيها، ﴿ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

## التعاليم

- ١ - وفر الله ﷻ أسباب المعرفة للإنسان لكي تتم الحجة عليهم، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾.
- ٢ - القرآن الكريم أنزل بهذه الألفاظ على النبي ﷺ، ﴿تَنْتَلُوها عَلَيْكَ﴾.
- ٣ - من يسعى لتربية الناس عليه أن يبدأ بتربية نفسه وبناء ذاته، ﴿تَنْتَلُوها عَلَيْكَ﴾.
- ٤ - الآيات الإلهية تقوم على أساس الحق، ولا طريق فيها للكلام الواهن، أو الخرافة، أو المبالغة والخيال، ﴿بِالْحَقِّ﴾.

- ٥ - الاختيار الإنساني هو الباعث على أن يسلك الإنسان طريقاً غير طريق الله ﷻ، ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْنِيهِ يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٦ - مجال العَجَب من انحراف الإنسان وذم ذلك مفتوح بعد هذه الآيات وبعد تلاوة الآيات بحق، ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْنِيهِ يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٧ - من يسمع آيات الله ﷻ ولا يهتدي بها، ليس ذلك منه بسبب غموض أو إبهام آيات الله بل لمرضٍ في نفسه، ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ إِنَّ الْخَبْرَ... فَإِنِّي حَدِيثٌ... يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُغَيِّرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ يَغْدَابُ أَلِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهْمُ عَذَابٍ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾

### إشارات

□ أفَّاك من الإفك وهو الشخص الكثير الكذب. الأثيم من الإثم وهو الشخص الكثير الذنوب.

□ ويل كلمة للشبور بمعنى الهلاك. وقد تكررت في القرآن الكريم ٢٧ مرة:

وقد استخدمت في موارد مختلفة ومواضع عدة من القرآن؛

فاستعملت في الخائنين للعلم، وهم الذين يكتبون وهم لا يعلمون وينسبون ذلك إلى الله ﷻ: ﴿قَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾<sup>(١)</sup>.

واستعملت في مورد الخيانة المالية وهم المطففون: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

واستعملت في مورد الانحراف العقائدي كالكافرين: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ...﴾<sup>(٣)</sup> والمشركين: ﴿...وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية ٧٩.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢.

(٣) سورة المطففين: الآية ١.

(٤) سورة فصلت: الآية ٦.

كما استعملت في مورد من يستهزئ ويفتري على أولياء الله ﷻ: ﴿وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - لا بد من إيصال نداء الحق إلى مسامع الجميع حتى الضالين، ﴿أَفَأَنْتَ أَتِيْر... تُتْلَى عَلَيْهِ﴾.
- ٢ - التبليغ أولاً ثم التهديد. فالقرآن الكريم يتوعد بالهلاك الأبدي من سَمِعَ آيات الله ﷻ أولاً، ﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ... كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
- ٣ - الأسوأ من تجاهل الحق، الإصرار عليه وروح الاستكبار، ﴿يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾.
- ٤ - علامة التكبر عدم المبالاة بالكلام الحق، ﴿مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾.
- ٥ - جذور الاتهام بالباطل والاستهزاء في كثير من الموارد ترجع إلى عدم المعرفة الكافية والوافية، ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَابَتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُمُورًا﴾. نعم المعرفة العميقة والواسعة تمنع من الاستهزاء.
- ٦ - لأن في الاستهزاء إهانة، كانت عقوبة المستهزين عذاب الذل، ﴿هُمُورًا... عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ﴾

### إشارات

□ وراء بمعنى الخلف، ويأتي أيضاً بمعنى الأمام. وفي هذه الآية الراء هو بمعنى الأمام كما في الآية ٧٩ من سورة الكهف حيث قال تعالى: ﴿...وَكَأَن وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، وهو قول الخضر للنبي موسى ﷺ.

كما نقرأ في الآية ١٠٠ من سورة المؤمنون أن الموت متى جاء الإنسان

العاصي والمذنب يطلب الرجوع إلى هذه الدنيا ويأتيه الجواب بالسلب، ثم يقول: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾، فإن كلمة وراء هنا بمعنى أمام.  
 □ تعرضت هذه الآية والآيات السابقة لأنواع من العذاب:  
 ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ و﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

### التعاليم

- ١ - المشركون في يوم القيامة لا ناصر لهم ولا ملجأ، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾.
- ٢ - اعتماد المستكبرين على ما يملكون أو على أصحابهم لا ينفعهم في الآخرة شيئاً، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾.
- ٣ - ينبئ القرآن عن الذل الذي سوف يلحق بالذين يستهزئون بآيات الله ﷻ ويهتكون حرمة هذه الآيات، ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ \* يَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾؛ (فإن المراد من العذاب المهين الذي ورد إلى جانب جهنم هو الذل الذي سوف يلحق بهم في الدنيا).
- ٤ - لا تنفع أموال الدنيا ومتاعها في الآخرة، ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾.
- ٥ - تذكّر الآخرة يُمكن أن يكون عاملاً أساساً في ترك التكبر والإصرار على الذنب، ﴿أَيُّهَا... يُمِرُّ... وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُ رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

### إشارات

□ الرجز هو الرجز أي إن الكفار سوف يعذبون بمواد ملوثة ومنفّرة.

### التعاليم

- ١ - القرآن كله هدى، من أوامر ونواهٍ وقصص وتشبيهات، ﴿هَٰذَا هُدًى﴾.
- ٢ - العذاب الإلهي لا يقع إلّا بعد إتمام الحجة، ﴿هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.



﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

### التعاليم

- ١ - الفعل الإلهي لا يصدر إلا عن حكمة ولهدف ولغاية، ولما فيه مصلحة الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ، لِتَبْتَغُوا، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
- ٢ - المنافع المادية ينبغي أن تكون مقدمة للارتباط بالله ﷻ، ﴿لِتَجْرِيَ... وَلِتَبْتَغُوا... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
- ٣ - تسخير البحار وتأثير العوامل الطبيعية كله خاضع للإرادة الإلهية، ﴿بِأَمْرِهِ﴾.
- ٤ - السعي في تأمين مصدر العيش أمر مدوح، ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾.
- ٥ - الفضل والرحمة وإن كانا من الله ﷻ، ولكن على الإنسان أن يسعى ويبذل جهده للوصول إليهما، ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾.
- ٦ - ليس للإنسان من حقٍّ على الله ﷻ بل كله من فضل الله، ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.
- ٧ - الالتفات إلى النعم الإلهية يُحيي روح الشكر في الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُمُ... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
- ٨ - سَخَّرَ الله ﷻ للإنسان المحيطات لعلَّ الإنسان يكون من الشاكرين، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
- ٩ - الإنسان حر ومختار، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (كلمة لعلَّ هنا لا تدل على الشك عند الله، بل تدلّ على أَنَّ الأمر تحت اختيار الإنسان فقد يكون شاكرًا وقد يكون كفورًا).

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣)

### التعاليم

- ١ - كلُّ ما في هذا الكون مسخَّر لخدمة هذا الإنسان، ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ...﴾.
- ٢ - تسخير كلِّ ما في الكون لا ينبغي أن يبعث على الغرور؛ لأنَّ كلَّ ما لدينا هو من عنده، ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾.
- ٣ - تكاتف أجزاء الوجود باتِّجاه واحد دليل وحدانيَّة الخالق، ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾.
- ٤ - التفكير في النعم الإلهيَّة نوع من الشكر لله ﷻ، ﴿تَتَفَكَّرُونَ... لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
- ٥ - يحثُّ الله ﷻ الإنسان على التأمل والتفكير، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
- ٦ - في تسخير الكون للإنسان العديد من الآيات لمن كان من أهل التأمل والتفكير، ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (لعلَّ العلاقة بين التفكير والتسخير هو أنَّ في الإنسان قدرة على جعل كلِّ ما في هذه الطبيعة من إمكانات تحت تصرفه، وهذه القدرة لدى الإنسان لا تظهر إلَّا عندما يلجأ إلى التفكير).
- ٧ - لا بدَّ من تحريك الأحاسيس وتحريك عمليَّة التفكير، ﴿تَتَفَكَّرُونَ... يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)

### إشارات

- المراد من أَيَّام الله هي الأيام التاريخية التي شهدت تحولات كبرى من العذاب الإلهي للظالمين أو الرحمة الإلهية للمؤمنين.
- عانى المسلمون في مكَّة من عداوة المشركين وأذاهم، وبدأوا يفكِّرون في

مقابلة ذلك بالمثل، ولكن الله ﷻ أمر نبيه بأن يوصي المسلمين بالصبر؛ لأنهم لا يملكون القوة، وأن الله يكفل أمرهم.

### التعاليم

- ١ - النبي ﷺ مأمور بأن يعلم المسلمين أسلوب التعامل مع الكفار، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.
- ٢ - العفو والصفح من لوازم الإيمان، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾.
- ٣ - الوصول إلى الأهداف الدينية العليا يتوقف على الصبر والاحتراز عن العجلة، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾.
- ٤ - الإيمان بأنّ العذاب الإلهي سينزل بالكفار يدعو الإنسان إلى العفو والصبر، ﴿يَغْفِرُوا... لِيَجْزِيَ قَوْمًا...﴾.
- ٥ - للعقيدة تأثيرها على العمل، وحيث لم يكن للكفار من أمل بالقيامة اتجهوا لارتكاب السيئات، ﴿لَا يَرْجُونَ... يَكْسِبُونَ﴾.
- ٦ - الإنسان مجازى بما عمل، ﴿لِيَجْزِيَ... بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
- ٧ - العذاب يكون على العمل السيئ الذي صدر من الإنسان عن علم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
- ٨ - الإصرار والاستمرار في خطئ الانحراف والضلال هو سبب العذاب، ﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

### إشارات

□ أشار القرآن وبعبارات مختلفة إلى المبدأ الذي يقول إنّ نتيجة عمل الإنسان ترجع إليه :

- قال تعالى: ﴿...وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿...فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا...﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

- ١ - نظام الثواب والعقاب الإلهي يقوم على أساس العدل وطبقاً لعمل الإنسان من خير أو شر، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا... وَمَنْ أَسَاءَ﴾.
  - ٢ - الله عَزَّ وَجَلَّ غني عن العمل الصالح من الإنسان، ﴿عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾.
  - ٣ - الناس سواسية أمام القانون الإلهي (فالإنسان مثاب ومعاقب طبقاً لعمله من كان العامل ومهما كان العمل)، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا... وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾.
  - ٤ - الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الإنسان حراً مختاراً، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا... وَمَنْ أَسَاءَ﴾.
  - ٥ - العدل الإلهي دليل على المعاد، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا... وَمَنْ أَسَاءَ... إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ﴾.
  - ٦ - المعاد أمل للصالحين وإنذار للفاستدين، ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.
  - ٧ - القيامة أمر جبري ولا تخضع لاختيار الإنسان، ﴿تُرْجَعُونَ﴾.
  - ٨ - الثواب والعقاب الإلهيين من مقتضيات الربوبية، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ﴾.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١٦)</sup>

### إشارات

□ المستفاد من مجيء قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ بعد قوله: ﴿ءَاتَيْنَاهُ﴾ أن الرزق الطيب إنما يكون له معنى إذا كان إلى جانب القانون الإلهي، والحكم الإلهي. وإلا فإن الرزق الخارج عن القانون الإلهي لن يكون من الطيبات.

(١) سورة لقمان: الآية ١٢.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤١.

□ لم يتمكن بنو إسرائيل من حفظ النعم الإلهية التي رزقهم إياها الله ﷻ، ولذا استبدلت العظمة والعزة التي كانوا عليها بالمذلة واللعنة: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ...﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - أفضلية المجتمع ترتبط بتطوره الفكري والاقتصادي المعتمد على القانون الإلهي، ﴿ءَاتَيْنَا... الْكِتَابَ... وَرَزَقْنَاهُمْ... فَضْلَنَا﴾.
- ٢ - كل ما لدينا هو من عند الله ﷻ فلا ينبغي أن نصاب بالغرور. ﴿ءَاتَيْنَا... وَرَزَقْنَاهُمْ... فَضْلَنَا﴾.
- ٣ - الأولوية للنعم المعنوية. فقد تعرضت هذه الآية للكتاب والحكم والنبوة قبل أن تتعرض للرزق والمعاش، ﴿ءَاتَيْنَا... وَرَزَقْنَاهُمْ﴾.
- ٤ - الدولة الدينية تاريخها عميق، ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.
- ٥ - الفكر المكتمل هو ما كان القانون فيه إلهياً، والحاكم فيه معصوماً، والقضاء فيه عدلاً، ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.

﴿وَأَتَيْنَاهُمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧)

### إشارات

□ استبان للناس حقانية النبي موسى ﷺ من خلال المعجزات، كما استبان للناس حقانية نبي الإسلام ﷺ من خلال الأوصاف التي وردت في حقه في التوراة والإنجيل، ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾.

### التعاليم

- ١ - أتم الله ﷻ الحجة على الناس كافة، ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾.

- ٢ - أعظم أنواع الكفر الاختلاف في الحق. فعلى الرغم مما آتاهم الله ﷻ من الفضل والغلبة على عدوهم، ﴿ءَاتَيْنَا... وَزَفَقْتَهُمْ... فَضَلْنَا﴾ ولكنهم اختلفوا بدل أن يشكروا، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾.
- ٣ - ذم القرآن الكريم للماضين عبرة للآتين، ﴿وَأَتَيْنَهُم بَيِّنَاتٍ... اخْتَلَفُوا... بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.
- ٤ - العلم بمفرده لا يكفي للنجاة، فكم من الناس يملك العلم؛ ولكن يقع بينهم الاختلاف بسبب الحسد، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلْوَلُ﴾.
- ٥ - الاختلاف بعد العلم بغْيٍ وظلم، ﴿بَغْيًا﴾.
- ٦ - يوم القيامة هو يوم الفصل في ما كانوا فيه يختلفون، ﴿يَقْضَى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

### إشارات

□ الشريعة هي طريق الوصول إلى الماء، ويطلق على ما كان إلى جانب الأنهار الكبيرة التي لا يمكن الوصول إلى الماء فيها بشكل مباشر. وحيث كانت أحكام الدين طريقاً لوصول الإنسان إلى الحياة الحقيقية أطلق عليها اسم الشريعة.

### التعاليم

- ١ - تعيين الشريعة التي هي طريق الدين بيد الله ﷻ، ﴿جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾.
- ٢ - من كان مسؤولاً عن هداية الآخرين وإرشادهم، لا بد من أن يكون صاحب بصيرة وإطلاع تام على طريق ذلك، ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾، (أي إن النبي ﷺ مسلط على طريق الشريعة).
- ٣ - رسالة نبي الإسلام ﷺ هي استمرار لرسالة النبي موسى ﷺ. (كان الحديث في الآيتين السابقتين عن النبوة والحكمة والكتاب السماوي لبني إسرائيل).
- ٤ - روح الأديان واحدة، وإن كان برنامجها العبادي مختلفاً. (كلمة شريعة وردت

نكرة، وهذا يدل على وجود طرقٍ متعدّدة، ولكن كلمة ﴿الْأَمْرِ﴾ وردت معرفة أي إن كافة الطرق ترجع إلى أمرٍ واحد).

٥ - حدوث الاختلاف والتحريف هو السبب في بعثة نبيّ جديد. (فالآية السابقة تحدّثت عن اختلاف بني إسرائيل، وهذه الآية تتحدّث عن بعثة نبيّ الإسلام ﷺ).

٦ - النبي كسائر الناس متّبع لهذه الشريعة، ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا﴾.

٧ - إذا لم يكن الطريق طريق الله ﷻ فإنه سوف يكون طريق هوى الذات وهوى الآخرين، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٨ - لا بدّ للقائد من أن يكون صلباً وأن لا يخضع لضغوط العناصر الجاهلة والمقترحات الجاهليّة، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٩ - أهواء الناس تبلغ من قوّة التأثير حدّاً يجعل النبي في معرض الخطر أيضاً، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

١٠ - للعلم والجهل تأثيرهما على ميول الإنسان، ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

١١ - العلم يسوق الإنسان لاتباع الشريعة الإلهيّة. كما أن اتباع الغرائز والهوى علامة على الجهل والعمى، ﴿شَرِيعَةٍ... فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ... الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيٌّ

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

### إشارات

□ الله ﷻ بصير: ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، والرسول على بصيرة:

﴿...أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ...﴾<sup>(٢)</sup>، والقرآن كتاب بصيرة: ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ﴾.

□ لعلّ معنى الآية بملاحظة الآية السابقة: أيها النبي اتّبع الشريعة المنزلة من عند

(١) سورة الاحزاب: الآية ٩.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

الله ﷻ ولا تتبع أهواءهم؛ لأنَّ أحداً من الناس مَنّ يقدّم قوانين وأنظمة لن يُغني عن الشريعة والقانون والوحي الإلهي.

### التعاليم

١ - اتّباع الناس الجاهلين لن يمنع خطر أيّ عذابٍ من عند الله ﷻ. (فالدّافع لاتباع الناس وما يرغبون فيه هو السعي للمتّع بحمايتهم عند مواجهة المصائب والمشاكل، والقرآن الكريم يرفع جذور هذا التفكير)، ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾.

٢ - السنخية بين الأفراد هي الوسيلة لجذب بعضهم إلى بعض، ﴿الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

٣ - اتّباع رغبات الجاهلين هو بمنزلة الرضا بولايتهم والدخول في عداد الظالمين، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ... وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

٤ - ابتعد عن هوى الناس ولا تستوحش من وحدتك في ذلك، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ - التقوى هي سبب تلقّي المدد والعون الإلهي، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٦ - من علامات التقوى الابتعاد عن هوى الناس، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٧ - أهل التقوى بعيدون كلّ البعد عن الظلم والظالمين، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٨ - لا بدّ من أن يكون التدبّر على أساس البصيرة، ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ﴾.

٩ - القرآن الكريم وسيلة للبصيرة في جميع المجالات سواء منها الفكرية، والأخلاقيّة، السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة والأسريّة، وغيرها، (بصائر وردت بصيغة الجمع).

١٠ - لا يمكن التعرّف إلى الكثير من المضامين إلا عن طريق الوحي ولا طريق للعقل والتجربة إليها، ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ﴾.



١١ - القرآن بصيرة للناس كافة، ﴿بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ﴾، وإن كان لا ينتفع من بصيرته إلا أهل اليقين، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

١٢ - القرآن كتاب جامع. (فهو بيان لطريق الحق، ﴿بَصِيرَةٌ﴾، ويسوق الإنسان إلى ذلك، ﴿...وَهُدًى﴾، كما أنه باب رحمة لهذا الإنسان، ﴿وَرَحْمَةً﴾).

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْنُهُمْ  
وَمَنْ يَكْفُرْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

### إشارات

□ الاجتراح من الجرح بمعنى الضرر الذي يصل إلى البدن. وحيث كان الذنب يجعل الروح جريحة، أطلق على الذين يرتكبون السيئات والذنوب أنهم اجتروا السيئات.

□ يعتمد القرآن الكريم كثيراً على أسلوب المقارنة ومن ذلك:

أ - المقارنة بين المؤمن والفاسق، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا...﴾<sup>(١)</sup>.

ب - المقارنة بين العالم والجاهل، ﴿...هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

ج - المقارنة بين من آمن قبل الفتح وهاجر وبين من آمن بعد الفتح وأنفق من ماله، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه الآية نلاحظ المقارنة بين من عمل السيئات ومن عمل صالحاً، ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ... كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾.

### المؤمن والكافر

في المقارنة بين المؤمن والكافر نجد أن المؤمن يطمئن لذكر الله ﷻ،

(١) سورة السجدة: الآية ١٨.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٠.

(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

ويرضى بعباء الله، ويأمل فضل الله، وطريقه واضح ويرى الموت انتقالاً من عالم إلى آخر، ولكن الكافر يدور في فلك الطاغوت، ومتبع لهواه وهوى الآخرين مستقبله مظلم ويرى الموت فناء.

ولذا يعتمد القرآن الكريم على أسلوب المقارنة؛ لكي يكون الأمر بيناً للناس، وليدرك الناس جميعاً ذلك على أي مستوى كانوا:

فالمؤمن يزداد إيماناً: ﴿...زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾<sup>(١)</sup>؛ ولكن الكافر يزداد كفرًا: ﴿...ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا...﴾<sup>(٢)</sup>.

الله ﷻ هو وليّ المؤمن: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، والكفار أولياؤهم الطاغوت: ﴿أُولِيَائِهِمُ الطَّاغُوتُ﴾<sup>(٣)</sup>.

الله ﷻ ينزل الطمانينة على قلوب المؤمنين: ﴿...أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ وأما الكفار فيلقي في قلوبهم الرعب: ﴿...سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ...﴾<sup>(٥)</sup>.

أهل الإيمان يتبعون الحق: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾؛ وأهل الكفر يتبعون الباطل: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾<sup>(٦)</sup>.

مستقبل المؤمن المحبة: ﴿...سَيَجْعَلُ لَّكُمْ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(٧)</sup>؛ ولكن مستقبل الكافر حقارة وذلة: ﴿...تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ...﴾<sup>(٨)</sup>.

الملائكة تسلّم على أهل الإيمان عندما يُسلمون الروح: ﴿...تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُوتَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾<sup>(٩)</sup>؛ ولكن يواجه الكفار تأنيب الملائكة: ﴿...تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ...﴾<sup>(١٠)</sup>.

جهاد أهل الإيمان في سبيل الله ﷻ: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ وأما الكفار

(٦) سورة محمد: الآية ٣.

(٧) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٨) سورة يونس: الآية ٢٧.

(٩) سورة النحل: الآية ٣٢.

(١٠) السورة نفسها: الآية ٢٨.

(١) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٤) سورة الفتح: الآية ٤.

(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.

فيقاتلون في سبيل الطاغوت: ﴿...يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الْأَظْغُوتِ...﴾<sup>(١)</sup>.  
 أجر المؤمن محفوظ: ﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾<sup>(٢)</sup>؛ ولكن غير  
 المؤمن عمله محبط: ﴿...حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>.  
 يرى المؤمن أن كل ما عنده هو من عند الله ﷻ: ﴿...هَذَا مِنْ فَضْلِ  
 رَبِّي...﴾<sup>(٤)</sup>؛ ولكن الكافر يرى كل ما عنده أنه من عند نفسه: ﴿...إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى  
 عِلْمٍ عِنْدِي...﴾<sup>(٥)</sup>.  
 عمل المؤمن باق: ﴿...فَلَنْ يُغَيَّلَ أَعْمَالُهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>؛ وأما عمل الكفار ففي ضلال:  
 ﴿...أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup>.  
 المؤمن لا يخشى أحدا إلا الله ﷻ: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾<sup>(٨)</sup>؛ ولكن غير  
 المؤمن يعيش الخوف من الناس: ﴿...يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ...﴾<sup>(٩)</sup>.  
 الملائكة تنزل على أهل الإيمان: ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾<sup>(١٠)</sup>؛ ولكن  
 غير المؤمن تنزل عليه الشياطين ﴿...تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾<sup>(١١)</sup>.  
 أهل الإيمان يعيشون الأمل ﴿...وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾<sup>(١٢)</sup>؛ ولكن الكفار  
 يعيشون اليأس: ﴿...إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾<sup>(١٣)</sup>.  
 وبكلمة موجزة، طريق الحق هو الأعلى: ﴿...وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْفُلْيَا﴾؛  
 وطريق الباطل هو السفلى: ﴿...كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى...﴾<sup>(١٤)</sup>.  
 فهل يبقى بعد هذا العرض القرآني أي موضع للشك والتردد؟

(٨) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

(٩) سورة النساء: الآية ٧٧.

(١٠) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(١١) سورة الشعراء: الآية ٢٢١.

(١٢) سورة الإسراء: الآية ٩.

(١٣) سورة الروم: الآية ٣٦.

(١٤) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(١) سورة النساء: الآية ٧٦.

(٢) سورة الكهف: الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

(٤) سورة النمل: الآية ٤٠.

(٥) سورة القصص: الآية ٧٨.

(٦) سورة محمد: الآية ٤.

(٧) السورة نفسها: الآية ١.

نعم، لا شك في الدين إطلاقاً: ﴿...لَا رَبَّ فِيهِ...﴾<sup>(١)</sup>؛ ولكن هؤلاء يوجدون الشك في نفوسهم: ﴿...فِي رَبِّهِمْ يَرَدُّوْنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم

- ١ - الله ﷻ عادل، ولا يتساوى لديه المحسن والمسيء، ﴿أَمْ حَسِبَ...﴾.
- ٢ - جذور الكثير من الانحرافات ترجع إلى الظنون التي يعيشها الناس، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ...﴾.
- ٣ - الذنب خطر؛ ولكنه أكثر خطراً لمن كان يطلب الذنب ويسعى إليه، ﴿أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾؛ (كلمة اجتراح تتضمن معنى الطلب).
- ٤ - يميل أهل المعاصي في فطرتهم إلى أن يكونوا من المحسنين، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ...﴾.
- ٥ - الإيمان والعمل الصالح وكذلك الذنب لهما تأثيرهما في حياة الإنسان ومماته، ﴿سَوَاءٌ نَّحْيِيَهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.
- ٦ - الحكم على أساس الخيال والظن مذموم، ﴿أَمْ حَسِبَ... سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢٢)</sup>

### إشارات

□ هذه الآية هي بمنزلة الدليل على الآية السابقة؛ ففي الآية السابقة ورد أن المسيئين يظنون أنه سوف يتم التعامل معهم كالمحسنين. مع أن هذا خيال باطل، ثم تقول هذه الآية: ألا يعلم هؤلاء بأن خلق السموات والأرض مبني على الحق، وفي النظام الحق لا يمكن معاملة المحسن كالمسيء.

نعم، لازم الخلقة إن كانت حقاً أن تكون المجازاة عدلاً.

- الحقَّ يُطلق على الشيء الذي يُبنى على أساس الحكمة والمنطق. فالخلق على أساس الحقَّ يعني أن يكون لأجل غاية وهدف.
- دليل المعاد هو الحكمة والعدل الإلهي، وقد أشارت هذه الآية إلى كلا الدليلين.

أما الحكمة: فلأنَّ الموت لو كان عدماً ونهايةً لهذا الإنسان، فإنَّ الخلق سوف يكون عبثاً ودون غاية، مع أنَّ الخلق كان على أساس الحكمة ولغاية، فهل يمكن لصانع الفخار أن يقوم بتحطيم ما صنعه بعد انتهائه منه، وهل يمكن أن يكون الموت هو النهاية؟

أما العدالة: فهي عقوبة كلِّ شخص يستحقُّ ذلك دون أن يُظلم. ولو لم يعاقب أو عوقب بالأكثر مما يستحقُّه لكان ظلماً.

### التعاليم

- ١ - نظام الوجود قام على أساس الحقَّ؛ ولذا سوف يكون التعامل مع الإنسان على أساس الحقَّ أيضاً، ﴿خَلَقَ... بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى﴾.
  - ٢ - القيامة والعقاب والثواب العادل هو لازم خلق هذا العالم. (حرف الواو في قوله: ﴿وَلِتُجْزَى﴾ دليل على أنَّ الخلق كان لغاية وإحدى هذه الغايات هو الثواب والعقاب).
  - ٣ - نظام الدنيا والآخرة يقوم على أساس الحقَّ، ﴿خَلَقَ... بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى... وَهُوَ لَا يَظْلُمُونَ﴾.
  - ٤ - الجزاء يقوم على أساس العمل لا الأمل والتمني، ﴿وَلِتُجْزَى... يَمَّا كَسَبَتْ﴾.
- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوًى وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْرٍ وَخَفَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

### إشارات

- أورد القرآن الكريم صفة «الختم» في حق طائفتين من الناس: إحداهما الكفار،

حيث قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، والأخرى من عبد هواه: ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾.

□ المراد من عبادة الهوى عدم معرفة التكليف واتباع الغريزة.

□ عبادة الهوى تعطل أجهزة المعرفة عند الإنسان، فلا العين تبقى تعرف الحقيقة، ولا الأذن تسمعها، ولا القلب يدركها.

□ من أسباب عبادة الهوى الميل إلى الماديات، كما ورد في آية أخرى: ﴿...أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾<sup>(٢)</sup>.

□ عبادة الهوى أساس المحنة: «الهوى أساس المحن»<sup>(٣)</sup>. وإِنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع<sup>(٤)</sup>.

□ عبادة الهوى تمنع من العدل: ﴿...فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا...﴾<sup>(٥)</sup>.

وهي سبب للانحراف عن سبيل الله ﷻ: ﴿...وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾<sup>(٦)</sup>.

وهي سبب سقوط الإنسان: ﴿...وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾<sup>(٧)</sup>.

وفي هذه الآية نقرأ كيف أَنَّ عبادة الهوى تكون سبباً للختم على القلب، ﴿اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾.

## التعاليم

١ - عبادة الهوى نوع من الشرك، وعابد الهوى يستحق الذم، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ...﴾.

٢ - على الرغم من أَنَّ الهوى أمر باطني؛ ولكن أثر عبادة الهوى تظهر في أعمال الإنسان، ﴿أَفَرَأَيْتَ...﴾.

(٥) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٦) سورة ص: الآية ٢٦.

(٧) سورة طه: الآية ١٦.

(١) سورة البقرة: الآية ٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

(٣) غرر الحكم.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٥٤.

- ٣ - الإنسان موجود عابد بذاته؛ ولكنه ينحرف في اختياره لمعبوده فبدل عبادته لله ﷻ يعبد هواه، ﴿أَتَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾.
- ٤ - عقوبة من ترك الله ﷻ ومال إلى هواه أن يضله الله، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾.
- ٥ - إذا كان الهوى هو الحاكم، فإن العلم لا ينفع الإنسان. فعبادة الهوى توجب الانحراف حتى عند العلماء، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ﴾.
- ٦ - عبادة الهوى سبب لسد أبواب الهداية في وجه الإنسان، ﴿مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ... فَمَنْ يَهْدِيهِ﴾.
- ٨ - عدا هدى الله، فإن كل طريق يؤدي إلى الضلالة، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ يُرِ بَعْدَ اللَّهِ﴾.
- ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

### إشارات

□ الدهر هو عمر الدنيا، وكانت عقيدة الماديين أن مضي العمر هو سبب الموت وهلاك الإنسان<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - عبادة الهوى تجعل الإنسان أعمى العين والقلب الأمر الذي يؤدي إلى إنكاره القيامة، فيرى أن الحياة تنحصر في الحياة الدنيوية القصيرة، ﴿أَتَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ... حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾.
- ٢ - ليس لمنكري المعاد من علم أو حجة في إنكارهم هذا، ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾.
- ٣ - ليس للظن والتخمين من قيمة في المسائل الاعتقادية، بل لا بد للعقائد من أن تُبنى على أساس العلم، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿وَإِذَا نُنَادِيَنَّا بَيْنَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِّمَّ يُمْسِكُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

### إشارات

□ لنظام الخلقة هدف وغاية، وهو يسير ضمن نظام وقانون جعله الله الحكيم، ونفي ذلك دليل الجهل وعدم العلم.

### التعاليم

- ١ - آيات القرآن واضحة وبينة، ﴿وَإِنَّا بَيْنَتُ﴾.
- ٢ - يلجأ الكفار إلى طلب إحضار الآباء والأجداد، بدل التأمل في آيات الله ﷻ، ﴿نُنَادِيَنَّا بَيْنَنَا... أَتُنَادِيَنَّا﴾.
- ٣ - متى استحضرنا كلام المنكرين، فاستحضر الرد عليهم معه، ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا لَلذَّرِ... قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم﴾.
- ٤ - آيات القدرة والحكمة والعدالة واضحة وبينة بنحو لا يبقى بعد ذلك من داع للشك في القيامة، ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾.
- ٥ - حياة الإنسان الأولى دليل إمكان القيامة، ﴿يُخَيِّكُم... ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾.
- ٦ - طلب إحياء الآباء في هذه الدنيا يقوم على أساس الجهل وعدم العلم، ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.
- ٧ - يقوم الشك في المعاد على أساس جهل الإنسان، ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُسْطَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

### التعاليم

- ١ - الإحياء والإماتة أمر سهل على الله ﷻ؛ لأنَّ عالم الوجود تحت يده، ﴿يُخَيِّكُم... يُيَسِّرُكُمْ... وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ...﴾.



- ٢ - الخسران الدنيوي ليس بشيء، بل الخسران في الآخرة هو الخسران المبين، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾.
- ٣ - أولئك الذين أنكروا القيامة، سوف يكونون من الخاسرين في يوم القيامة، ﴿وَيَوْمِذٍ يَحْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

### إشارات

- الجثو هو بمعنى الجلوس على الركب، وذلك عند الخوف والوحشة أو التواضع والتسليم.
- ذكر القرآن الكريم أن للإنسان ثلاثة أنواع من الكتب في يوم القيامة<sup>(١)</sup>.
- أ - لكل إنسان كتاب يُدرج فيه ما عمله في هذه الدنيا: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْفَمَةٌ طَعْمُهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾<sup>(٢)</sup>. ويُخاطب هذا الإنسان فيؤمر بأن: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ...﴾<sup>(٣)</sup>.
- ب - لكل أمة أيضاً كتاب تُدرج فيه أعمال المجتمع، قال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾.
- ج - ثمة كتاب لكافة الأمم وفيه كل شيء وعمل كل إنسان: ﴿...وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ...﴾<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم

- ١ - من أهوال يوم القيامة أنك ترى الناس جميعاً جاثين، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾.
- ٢ - المعاد جسماني، ﴿جَاثِيَةً﴾.
- ٣ - في نظام الوجود حساب وكتاب وضبط وتسجيل للأعمال، وفي القيامة يكون

(٣) السورة نفسها: الآية ١٤.

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(١) تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٣٤٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٣.

الحكم طبقاً للعمل وعلى أساس شهادة الشهود، ﴿تَدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾.  
 ٤ - جزاء كل إنسان في يوم القيامة مطابق لعمله في هذه الدنيا، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

### إشارات

□ ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا ذكر العبد ربه في قلبه، كتب الله له ذلك في صحيفة، ثم يعارض الملائكة يوم الخميس، فيريهم الله ذكر عبده له بقلبه، فيقول الملائكة: ربنا عمل هذا العبد قد أحصيناه، أما هذا العمل فما نعرفه، فيقول الرب: إن عبدي قد ذكرني بقلبه فأثبته في صحيفته، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>».

ونقرأ في دعاء كميل قوله عليه السلام: والشاهد لما خفي عنهم.

### التعاليم

- ١ - ليس في القيامة من شيء مخفي، بل الكل حاضر، ﴿هَٰذَا﴾.
- ٢ - كل شيء في القيامة مكتوب ومدون، ﴿كِتَابُنَا﴾.
- ٣ - صحيفة أعمال الإنسان تمتاز بالدقة والمطابقة للواقع ولا تحتاج إلى شرح ولا إلى تفسير، ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾.
- ٤ - دليل كون صحيفة الأعمال حقاً وتمتاز بالدقة هو أن الميثب لها هو الله ﷻ، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾.
- ٥ - الإيمان بأن أعمال الإنسان تدون بشكل دقيق رادع للإنسان عن فعل المعاصي، ﴿كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾.

٦ - عمل الإنسان يدون كما وقع، لا على أساس القرائن والشواهد والآثار، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾  
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

### إشارات

□ الفوز هو النصر والوصول إلى الخير سالماً وتحقيق الأمان والآمال. وقد وردت كلمة فوز في القرآن الكريم مرديفة بكلمات مثل: (مبين)، (عظيم) و(كبير).

□ ورد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾، ولم يقل: «يدخلون الجنة»، وذلك يعني أن أهل الإيمان والعمل هم في ظل الرحمة الإلهية الخاصة.

□ إلى جانب الإيمان يكون العمل الصالح وأما إلى جانب الكفر فلا عمل صالح.

□ إذا وردت كلمات الجمع مع الألف واللام فهي تعني في اللغة العربية تمام الأفراد. كما في كلمة مساجد، فإنها لو وردت مع الألف واللام فهي تعني كافة المساجد. وعندما ورد في القرآن الكريم بعد ذكر صفة الإيمان التعرض للعمل الصالح ورد بالجمع المعروف بالألف واللام أي إن كل عمل المؤمن لا بد من أن يكون صالحاً.

### التعاليم

١ - استقامة الإنسان تتحقق عندما يقترن إيمانه بالعمل الصالح، وعمله الصالح يكون عاماً وشاملاً، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

٢ - من غير الممكن تلقى الرحمة الإلهية بدون إيمان وعمل صالح، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا... فِي رَحْمَتِهِ﴾.

- ٣ - الثواب والعقاب من شؤون الربوبية، ﴿فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ﴾.
- ٤ - الجنة ونعيمها مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، ﴿فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَةٍ﴾.
- ٥ - أهل الاستقامة عاقبتهم الفوز، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾.
- ٦ - الإنسان يطلب الاستقامة بطبعه، والقرآن الكريم هو الذي يبين للإنسان طريق الاستقامة الحقيقي، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْحَقِيقِيُّ﴾.
- ٧ - جذور الكفر في التكبر، ﴿كَفَرُوا... اسْتَكْبَرْتُمْ﴾.
- ٨ - الاستكبار الفوري علامة على العناد، ﴿ثُلَىٰ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾.
- ٩ - جذور الذنب والمعصية في الكفر والتكبر، ﴿كَفَرُوا... اسْتَكْبَرْتُمْ... تُجْرِمُونَ﴾.
- ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَظْفَرِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا بَنِي إِدْرِسَ لَمَّا تَبَدَّلَ لَهُمُ الْآيَاتُ خَوْفٌ مِنْكُمْ وَكُرْهُ مِنَ الْعَرِبِ ﴿٣٤﴾﴾

### إشارات

- علامة الكافر التشكيك وعلامة المؤمن السؤال، والبحث والوصول إلى اليقين.
- قد يكون أحياناً لخلاف بسيط ضرر كبير. فلو أن شخصاً أطفأ الضوء في غرفة فإن ظاهره أنه لم يقم بأي عمل فيه معصية أو إثم، ولكن هذا العمل يكون من السيئات متى أوجب وحشة أو خوف من كان في تلك الغرفة، أو لو أضاء من كان في الغرفة ثوبه وحذاؤه، أو أدى إلى اصطدام الناس بعضهم ببعض، أو اصطدام الناس بالأعمدة التي في الغرفة. أو لو حدثت بعض السرقات أو المنكرات، فإن هذه كافة هي من آثار سوء العمل، ولذا في القيامة تظهر كل هذه الآثار السيئة للعمل.

□ المراد من نسيان الله ﷻ لهم أن الله ﷻ يتعامل مع هؤلاء الذين نسوا الله ﷻ

معاملة من ليس بموجود، فيتركهم وأنفسهم، وإلا فالله ﷻ لا ينسى أحداً: ﴿...وَمَا كَانَ رُؤْيَاكَ نَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم

- ١ - القيامة يوم ظهور كل ما كان خفياً، ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ﴾.
  - ٢ - تظهر في القيامة مضافاً إلى نفس الأعمال التي قام بها الإنسان، آثار تلك الأعمال والمفاسد التي تربت عليها، ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.
  - ٣ - العقاب الإلهي يتناسب مع سلوك الإنسان. فنفس ما كانوا يستهزئون به سوف يُحقيق بهم، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.
  - ٤ - الاستهزاء هو أسلوب المستكبرين، ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ... كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.
  - ٥ - كل من نسي المعاد، يُنسى في يوم المعاد، ﴿نَسْنَسُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ﴾.
  - ٦ - لا يكفي الإيمان بالمعاد؛ بل لا بد من ذكر المعاد، ﴿نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾.
- ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَوْنَهُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ

يُسْتَعْنَبُونَ ﴿٣٥﴾

### إشارات

- الاستعتاب بمعنى طلب ما يرفع الغم والمواخذه، كالاعتذار.
  - تعرّضت الآيات السابقة لبعض مواقف محكمة العدل في يوم القيامة:
- ١ - يجمع فيها كل الناس: ﴿يَجْمَعُكُمْ﴾.
  - ٢ - تظهر خسارة المبطلين: ﴿يَخْشَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾.
  - ٣ - لكل أمة كتاب تُدعى إليه: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾.

- ٤ - الكتاب ينطق عليهم: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾.
- ٥ - ينقسم الناس إلى صنفين من تناله الرحمة ومن يناله العذاب.
- ٦ - يلقن أهل جهنم أسباب نيلهم للعذاب: ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ... أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾.
- ٧ - العقاب يتناسب والذنب: ﴿تَسْكُرُوا كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾.
- ٨ - تحيط آثار المعاصي بالعصاة ولا تدع لهم سبيلاً للخروج والاعتذار.
- أهم سبب للخسران الاغترار بالدنيا والاستهزاء والتشكيك.

### التعاليم

- ١ - ينبغي إعلام المعاقب بسبب عقابه، ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُم...﴾.
- ٢ - الاغترار بهذه الدنيا والفرح والتعلق بها يدفع الإنسان للاستهزاء بالحقائق، ﴿أَفَعَدْتُمْ مَا بَدَتْ أَلْوَاهُ هُزُؤًا﴾.
- ٣ - لا تذم الدنيا، بل ذم الاغترار بها، ﴿وَعَزَّزْتُ الْخَيْرَ الدُّنْيَا﴾.
- ٤ - من يستهزئ بدين السماء لا طريق له للنجاة ولا للاعتذار ولا يقبل له عذر، ﴿لَا يَخْرُجُونَ... وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ﴾.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

### إشارات

□ في بداية هذه السورة كان الحديث عن نزول القرآن، والنعم، والله ﷻ العزيز الحكيم. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وفي ختام هذه السورة الحديث عن عقاب المستهزين، وورد أيضاً وصف الله ﷻ بالعزيز الحكيم. ولعل ذلك للإشارة إلى أَنَّ النعم، العقوبات، الرحمة والعذاب كلها تقوم على أساس القدرة والحكمة الإلهية.

## التعاليم:

- ١ - الله ﷻ وحده هو الذي يستحق الحمد والثناء، ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾.
- ٢ - رَبّ السماوات والأرض وكافة الوجود هو الله الواحد، ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ... وَرَبِّ... رَبِّ﴾.
- ٣ - السموات والأرض وكلّ شيء في الوجود تحت التدبير الإلهي، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ...﴾.
- ٤ - العزّة والقدرة الإلهية مقارنة للحكمة، ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

## الفهرس

٥٨ - ٥	سورة الصافات
١١٠ - ٥٩	سورة ص
١٧٢ - ١١١	سورة الزمر
٢٦٢ - ١٧٣	سورة غافر
٣١٢ - ٢٦٣	سورة فصلت
٣٦٧ - ٣١٣	سورة الشورى
٤١٢ - ٣٦٩	سورة الزخرف
٤٣٤ - ٤١٣	سورة الدخان
٤٦٦ - ٤٣٥	سورة الجاثية